

الأعمال الكاملة

أنسي الحاج

الشعر



المتوسط

نحنُ في زمنِ السَّرطان. هذا ما أقولُهُ ويُضحِكُ الجميعَ. نحنُ في زمنِ السَّرطان: هنا، وفي الدَّاخل. الفنُّ إمَّا يجاري، وإمَّا يموت. لقد جارى، والمُصابون هم الذين خلقُوا عالمَ الشِّعْرِ الجديدِ: حين نقولُ رامبو نشيرُ إلى عائلةٍ من المرضى. قصيدةُ النَّثْرِ بنْتُ هذه العائلة.

نحنُ في زمنِ السَّرطان: نَثْراً وشِعْراً وكلَّ شيء. قصيدةُ النَّثْرِ خليقةُ هذا الزَّمن، حليفتُهُ، ومصيرُهُ.

أنُسي

المتوسط

شكّل أُنسي الحاجّ حالة نادرة في تاريخ الشِّعْر العربي، مثل طفرة جِينية من داخله، لكنه ربمّا جاء في الزمن الخطأ أو قبل أوانه أو بعده. لا يمكننا التثبُّت من ذلك، ولكنَّا نحلم مثلما كان يحلم هو، لذا نُعيد نشر أعماله الآن، وأملنا أن نلفتَ انتباه الأجيال الجديدة لها وله، شعلة النار التي اتَّقدت في ستِّينيات القرن الماضي، والتي لا تزال متوهِّجة تحت أوراق الخريف. لعلَّنا نجد جواباً عن سؤاله: «*أمامَ أمواجِ السُّمِّ التي تُغرِقُ كلَّ محاولةِ خروجٍ، وتكسرُ كلَّ محاولةٍ لكسرِ هذه الأطواقِ العريقةِ الجذورِ في السُّخف، أمامَ بعثِ رُوحِ التَّعصُّبِ والانغلاقِ بعثاً مُنظَّماً شاملاً، هل يُمكنُ محاولةٌ أدبيَّةٌ طَرِيَّةٌ أنْ تتنفَّس؟*».

الناشر



منشورات المتوسط


الأعمال
أنسي الحاج
الكاملة
الشعر

أنجز هذا الكتاب بإشراف الشاعرة **ندى الحاج**، ابنة الشاعر.

الصور والرسومات: رسم الشاعر على الغلاف: **بول غيراغوسيان** / تخطيطات الداخل: **رائد وحش** / صور الشاعر: 1) البيوغرافي: **جورج سيميرجيان**. 2) الختام: **أنطوان بارود**. 3) الغلاف الأخير لأنسي يقرأ الشعر بتوقيع مصور غير واضح.

المؤلف: أنسي الحاج / عنوان الكتاب: الأعمال الشعرية الكاملة

الطبعة الأولى: 2023.

تصميم الغلاف والإخراج الفني: الناصري

ISBN: 979-12-80738-92-9



منشورات المتوسط

ميلانو / إيطاليا / العنوان البريدي:

Alzaia Naviglio Pavese, 120/ 20142 Milano / Italia

العراق / بغداد / شارع المتنبي / قيصرية المصرف - طابق أول / ص.ب 55204.

الإمارات العربية المتحدة / الشارقة / المنطقة الحرة / مدينة الشارقة للنشر / مركز الأعمال.

www.almutawassit.it / info@almutawassit.org



الأعمال

أنسي الحاج

الكاملة

الشعر



المتوسط

أنا وأُنسي الحاج

كنتُ حينها فتى في بداية بدايات كتابة الشِّعْر. كنتُ أخرج من بيتي في دمَّر، وأصعد جبل قاسيون، ثمَّ أهبط منه في ساحة الأمويِّيْن الدمشقية، وأدخل المكتبة الوطنية متجنِّباً النظر إلى تمثال حافظ الأسد الرابض في مدخلها. أُسلِّم على موظَّفة الاستقبال، وأعطيها ورقتي من الكُتُب التي أريدها: لن لـ أنسي الحاج، وكتابان آخران. يتكرَّر هذا المشهد لأيَّام عديدة، ولا يتغيَّر شيء أبداً سوى عنوانيَ الكتابَيْن الآخرَيْن. تسألني الموظَّفة بعد أيَّام من تكراره: ما قصَّتُكَ أنتَ مع كتاب لن هذا؟ أبتسم ولا أُجيبها. آخذ كُتُبي، وأدخل قاعة القراءة، أبحث عن الطاولة الأكثر عُزلة وأجلس. كنتُ أقرأ لن كاملاً كلَّ يوم، ثم أنسخ منه على دفتري قصيدة واحدة، ثم أكتب عشرات القصائد متعمِّداً تقليد تلك القصيدة، كان هدفي أن أتشبَّع بأُنسي الحاج، أن يسري شِعْره إلى نقيي عظامي، أن يدخل في تركيب الـ DNA خاصَّتي. أن أفوحَ شِعْراً مثله.

سمَّتْني الموظَّفةُ «لن». جاء «لن»، ذهب «لن»... إلى في يوم من الأيَّام لم يكن «لن» في قائمتي، بل استبدلتُهُ بـ «الرأس المقطوع». ولكم أن تتخيَّلوا وجهها! وهكذا مرَّت أيَّامٌ كثيرة حتَّى وصلتُ إلى «الرسولة بشَعْرها الطويل حتَّى الينابيع»، فبعد أيَّام من دخولي فيه،

وكنَّا دخلنا فصلَ الشتاء، قالت لي مها: تعرف أني قرأتُهُ بالأمس. تبادلتُ أنا وهي القبلة الأولى في غرفة أمانات الملابس، وثمَّ ربطتْني بها علاقة طويلة جدّاً، لكنها لم تصل إلى الينابيع. أساساً لم يكن شَعْرها طويلاً حتَّى. وكنتُ أنا قد وصلتُ إلى «الوليمة» التي أردتُ، كنت أمشي في الشارع وأنظرُ إلى المارَّة بعينَيْن قويَّتَيْن وأسألهم: تريدون شِعْراً؟

قراءة أُنسي الحاج حينها كانت حاسمة بالنسبة إليَّ لأتَّخذ درب الشِّعْر المنثور، وليس بسبب تنظيره له في مقدِّمة لن، بل بفعل نصوصه التي تقدِّم نموذجاً فريداً لما يمكن لشاعر أن يبعد في فرادته، بصعوبة بالغة تُناقِض تماماً تلك السهولة التي تقدِّمها القصيدة الموزونة، والتي على سهولتها تظلُّ أصعب من تلك المُقفَّاة. صعوبة لا يدرك كُنهها إلَّا مَنْ كان مثل أُنسي لديه القدرة على الرؤية. رؤية ذلك العصب الذي للهواء الذي نتنفَّسه، رؤية ما يكتبه ليس كلغة مكتوبة، إنما كأشكال مُتجسِّدة وحَيَّة، ولها حرارة أيضاً.

ومع أن أُنسي الحاج جاء من المستقبل، لكنْ، هناك شيء به يشبه إنسان ما قبل عصور التاريخ، فكأنه حين يكتب شِعْراً يرسم رسوماً على الحجارة أو على جدران الكهوف، ثمَّ يمضي. لأنني حين أقرأ شِعْره أشعر دائماً وكأن يدي تلامس سطوحاً حجرية، ولا أبالغ حين أقول لكم إنه لأكثر من مرَّة انتبهتُ وأنا أقرأ شِعْره بأن في يدي قبضة رمل، لا أعرف كيف جاءت. يكتب على هذه السطوح التي لم تُسَوَّ من قبل، والتي تختلف أحجامها وتملؤها النتوءات والانحناءات والمساحات

الهشَّة، أو القاسية جدّاً أو الرطبة أو الجافَّة، ومع ذلك، فإنه يكتب نصّاً يُقرأ بوضوح شديد، وكأنه تسرَّب في مسامَّات تلك السطوح الحجرية، وأصبحتْ مثل ما يصبح الوَشْم على الجِلد الحَيِّ. يقول:

بحَجَرٍ أَحْفُرُ الحَجَرَ: جَسَدي وردة

وفي قصيدة أخرى،

تُلاطفِين وجهَ الحَجَرِ، فيدفقُ نهر

ما ظلَّ معي حتَّى اليوم هو أُنسي الحاج. مجموعاته الشِّعْرِيَّة التي نسختُها على دفاتر نزعتُ عنها الغلاف، وعوَّضتُها بأغلفة من تصميمي أو «شخبراتي» بتعبير أدقّ حينها، المهمُّ كانت تلك هي المرَّة الأولى التي أكون فيها ناشر أُنسي الحاج، ناشره السرِّيّ. لا زلتُ حتَّى الآن أذكر تلك الأغلفة والدفاتر التي رافقتني لفترة لا بأس بها، إلى أن ضيَّعتُها «في صحراءِ اليقينِ المُظفَّر».

ها أنا الآن أصبح ناشره مجدداً، ولكن العلني هذه المرة، وبأغلفة ودفاتر لن تَضيع.

في أعماله الكاملة التي نُصدرها الآن، أسمينا الجزء الأوَّل (الشِّعْر)، وسيتضمَّن المجموعات الشِّعْرِيَّة الستَّة الأولى له، والتي يكون فيها شِعْره أميناً لمقدِّمته في ديوانه لن. ثمَّ سيصدر الجزء الثاني في مجلَّدَيْن، وسيتضمَّن مقالات أُنسي الحاج والمُعنونة بـ كلمات كلمات كلمات. ثمَّ الجزء الثالث، والذي سيشمل خواتم أُنسي الحاج،

وسيكون أيضاً في مجلَّدَيْن (خواتم 1+2) والجديد هو (خواتم 3). وخواتم هذه هي الجنس الأدبي الخاصّ بأُنسي الحاج، والذي يبدو أنه قد وصل له بعد أن وصلتْ روحه إلى الأقصى الممكن (حسب تعبير بودلير)، وكَتَبَهُ ليُجيب عن سؤاله هو نفسه في بادية آخر قصائد الوليمة: ومتى كان الشَّاعرُ يكتبُ شِعْرَاً؟. بعدها سيكون الجزء الأخير، والذي أسميناه (الترجمات) (إذا ما استطعنا الوصول إليها).

شكَّل أُنسي الحاج حالة نادرة في تاريخ الشِّعْر العربي، مثل طفرة جِينية من داخله، لكنه ربَّما جاء في الزمن الخطأ أو قبل أوانه أو بعده. لا يمكننا التثبُّت من ذلك، ولكنَّا نحلم مثلما كان يحلم هو، لذا نُعيد نشر أعماله الآن، وأملنا أن نلفتَ انتباه الأجيال الجديدة لها وله، شعلة النار التي اتَّقدت في ستِّينيات القرن الماضي، والتي لا تزال متوهِّجة تحت أوراق الخريف. لعلَّنا نجد جواباً عن سؤاله:

أمامَ أمواجِ السُّمِّ التي تُغرِقُ كلَّ محاولةِ خروجٍ، وتكسرُ
كلَّ محاولةٍ لكسرِ هذه الأطواقِ العريقةِ الجذورِ في السُّخف،
أمامَ بعثِ رُوحِ التَّعصُّبِ والانغلاقِ بعثاً مُنظَّماً شاملاً، هل
يُمكنُ محاولةٌ أدبيَّةٌ طَريَّةٌ أنْ تتنفَّس؟

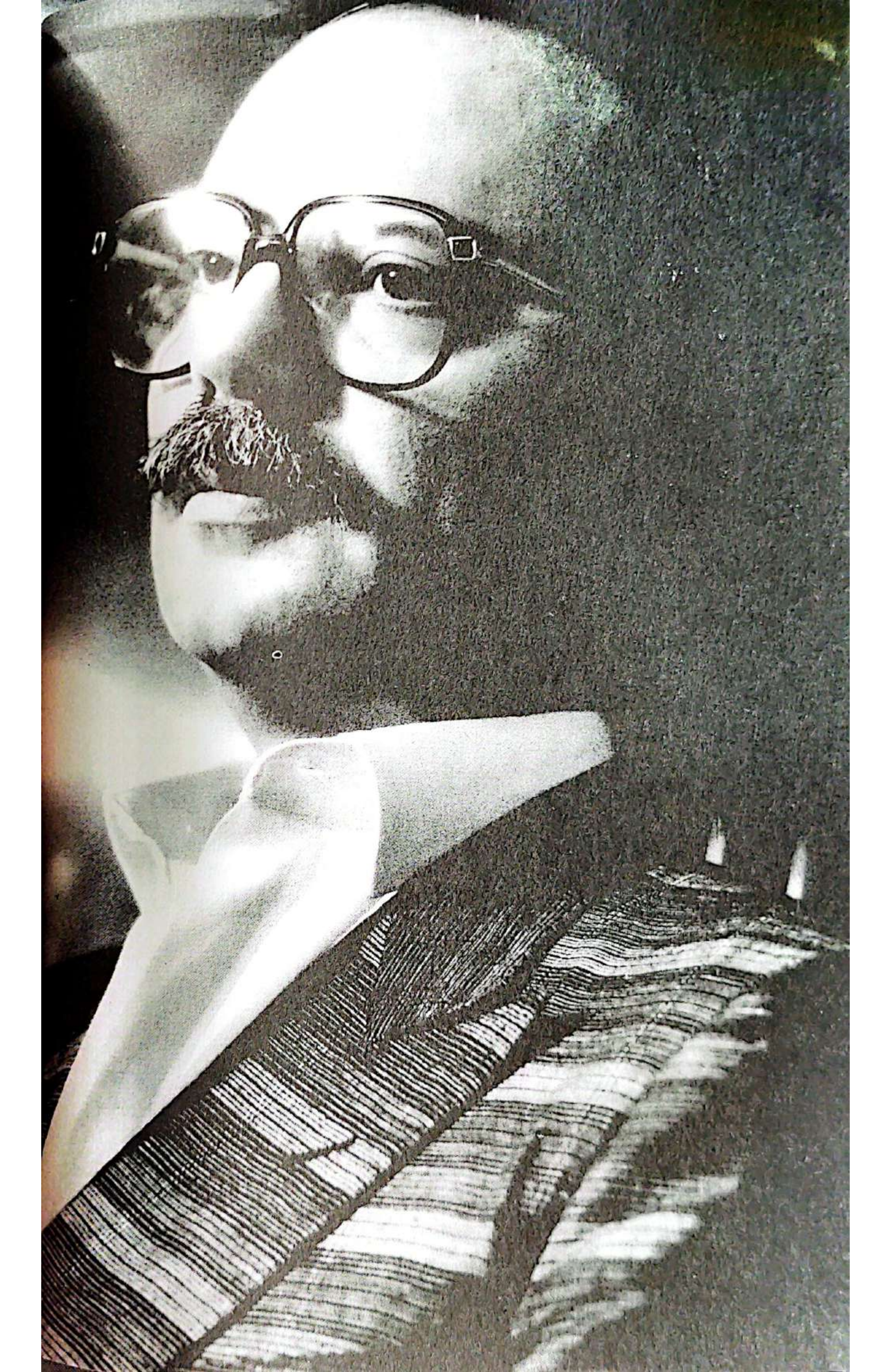
خالد سليمان الناصري

الناشر

دعوة إلى أنسي

تعالَ!
أدعوكَ إلى حفلٍ يليقُ بولائمِ شِعركَ
تعالَ وذُق من يدي زبيباً عتَّقتهُ لكَ
وارتوِ بكرومٍ عصرتُها براحتَيّ
لن أستبدلَ الخوابي بضجيج الكؤوس
تعالَ لمرةٍ آتية
وأعدُكَ، لن تكونَ ماضياً.

ندى أنسي الحاج



أنسي الحاج شاعراً وناثراً

لم تكن مجرَّد مصادفة أن يحمل ديوان أنسي الحاج الأوَّل عنواناً غريباً وغير مألوف «لن». فالديوان هذا الصادر العام 1960 كان بمثابة الصرخة الشِّعْرِيَّة الأولى التي أعلنت ولادة قصيدة جديدة، لم يعهدها الشِّعْر العربي من قبل، لا في مضمونها ولا في لغتها وشكلها. وإن بدت مقدِّمة «لن» منذ تلك اللحظة، بمثابة «البيان» الأوَّل لقصيدة النَّثْر العربية في مفهومها النقدي والتِّقْنِيِّ والجمالي، فإن فرادة «لن» لم تكمن فقط في كونه الخطوة الأولى التي رسَّخت قصيدة النَّثْر العربية، في ما تعني هذه القصيدة من معايير شِعْرِيَّة ولغوية، في منأى عن الشِّعْر المنثور وحتَّى الشِّعْر الحرِّ المتحرِّر من الوزن والقافية، بل تجلَّت أيضاً في الصدمة التي أحدثها هذا الديوان في الشِّعْر العربي، خالقاً جمالية جديدة، هي جمالية الهدم والهتك واللعنة والاحتجاج التي ترمز إليها مفردة «لن».

كان الشِّعْر العربي في العام 1960 لا يزال يعيش ثورة النظام التفعيلي، وكانت النزعة القومية العربية والسورية والوطنية، تدعو إلى الشِّعْر الملتزم رمزياً وجماهيرياً، عندما اكتشف أنسي الحاج قصيدته الجديدة، قصيدة النَّثْر المُشبَعَة بما يُسمِّيه بودلير «الطاقة الموسيقية» و«المادَّة النغمية» و«حركات النفس». اكتشف أنسي الحاج حينذاك اللغة المغرقة في الجحيم الديونيزي وفي «الجمالية

المتشنِّجة»، اللغة النقية والغريبة، المضطربة والصافية، اللغة التي تتناغم فيها المتناقضات، وتتآلف فيها عناصر الحياة والحلم، الخارج والباطن. غير أن هذا الشاعر المتمرِّد على الماضي المندثر والقِيَم الثابتة، عرف كيف يكون خير وارث للمدرسة الجمالية التي كانت نشأت في المقلب الأخير لعصر النهضة. وعرف أيضاً كيف يجمع بين لحظة الهدم ولحظة البناء، ناسجاً عالمه الجديد، بحسب ما تفترض المخيِّلة الخلّاقة واللعنة المقدَّسة والتناغم الخفيّ.

إلَّا أن أنسي الحاج الذي أصبح لاحقاً، بعد «لن» و«الرأس المقطوع» شاعر الحبِّ، ظلَّ هو نفسه الشاعر المتمرِّد الأبدي، المارق والقدِّيس، الشاعر الصوفي والنَّزِق في آنٍ واحد. وتمكَّن أنسي الحاج في ما كتبَ من قصائد حُبٍّ، أن يجعل من المرأة ذاتاً إنسانية، وأن يرتقي بالعشق إلى أرقى تجلِّياته، ليصبح أرض خلاص، وملجأ يقيه بشاعة الزمن وهول السقوط ووحشة الموت.

لم يُعرَف أنسي الحاج كشاعر فقط، بل عُرف أيضاً كناقد ومترجم في مجلَّة «شِعْر» التي كان أحد رُوَّادها، وعُرف كناثر أيضاً عبر زاويته الشهيرة «كلمات كلمات كلمات» التي انصرف إلى كتابتها طوال عشر سنوات في «ملحق» جريدة النهار، وكان أسَّسه في العام 1964. وكان قُرَّاؤه ينتظرون زاويته تلك أسبوعاً تلو أسبوع، ليقرؤوا المقالات الصارخة والمتمرِّدة بدورها، المقالات التي كانت ترافق هموم السياسة وشجون الثقافة، منتقدة ومعترضة ومحتجَّة وملتزمة قضايا الثورة والتحرُّر.

وُلد أنسي الحاج في بيروت2014 -1937. والده الصحافي والمترجم لويس الحاج ووالدته ماري عقل، من قيتولي، قضاء جزِّين في جنوب لبنان.

تعلَّم في مدرسة الليسه الفرنسية، ثم في معهد الحكمة. تزوَّج من ليلى ضو، ولهما ندى ولويس.

بدأ ينشر قصصاً قصيرة وأبحاثاً وقصائد منذ 1954 في المجلَّات الأدبية وهو على مقاعد الدراسة الثانوية. ثم بدأ العمل في الصحافة باكراً منذ العام 1956 كاتباً في جريدة «الحياة»، ثم في القسم الثقافي لجريدة «النهار». تولّى رئاسة تحرير العديد من المجلَّات إلى جانب عمله الدائم في «النهار» ، وبينها «الحسناء» 1966 و«النهار العربي والدولي» بين 1977 و1989.

بدأ في نشر «خواتم» بين 1988 و 1995 في مجلَّة «الناقد» الأدبية. ترأَّس تحرير جريدة «النهار» من 1992 إلى 2003. ونشر مقالاته الأسبوعية تحت عنوان «خواتم 3» في جريدة «الأخبار» من 2006 حتى نهاية 2013.

شارك أنسي الحاج في تأسيس مجلَّة «شِعْر»، وفي إصدارها لصاحبها الشاعر يوسف الخال، وكان أحد أركانها منذ 1957 حتَّى توقُّفها في عهدها الأوَّل، ثمَّ في عهدها الثاني. وفي أعدادها الأولى، ظهرت له كتابات نقدية، ثم راح ينشر فيها شِعْره وترجماته عن الفرنسية. في عام 1960 ظهرت مجموعته الشِّعْرِيَّة الأولى «لن».

وفي العام 1975 صدرت قصيدته الطويلة «الرسولة بشَعْرها الطويل حتَّى الينابيع» في كتاب مُرفَق برسوم للفنَّان بول غيراغوسيان. وفي المناسبة كَتَبَ المستشرق الفرنسي جاك بيرك كلمة نُشرت في جريدة النهار (1977/12/16) يقول فيها عن هذه القصيدة - الكتاب: «شكراً لهذا الكتاب الرائع، حيث عظمة الموضوع تتجاوب مع جمال الكلمة».

ساهم الشاعر في الستِّينيَّات، في إطلاق الحركة المسرحية الطليعية في لبنان، عن طريق الترجمة والاقتباس، وكانت إعادة كتابته لمسرحية «كوميديا الأغلاط» لشكسبير، لافتة جدَّاً بلُغتها الفصحى الحيَّة والمتحرِّكة، التي تمكَّنت من أن تكون همزة وَصْل بين الجمهور والمسرح الجادِّ، قديمه وحديثه. لكن نجاح هذه اللغة ظهر أكثر ما ظهر، مع ترجمته عام 1965 مسرحية «الملك يموت» لأوجين يونسكو. وترجم أيضاً أعمالاً كثيرة، ومنها «العادلون» لألبير كامو، «القاعدة والاستثناء» لبريشت، «احتفال بزنجي مقتول» لآرابال، «نبع القدِّيسين» و «رومولس الكبير» لدورنمات، «الآنسة جوليا» لستنرندبرغ. إلَّا أن أقوى اندفاعاته على صعيد المشاركة في الحركات الفنِّيَّة ربمَّا هي اندفاعته مع الأخوَيْن رحباني والمطربة فيروز.

تُرجمت له قصائد عدَّة إلى الفرنسية والإنكليزية والألمانية والإيطالية والإسبانية والبرتغالية والأرمنية والفنلندية وسواها، وصدرت بعض الترجمات في كُتُب، واختار بعض المسرحيِّيْن قصائد له، فأخرجوها مسرحياً، واستوحى كذلك بعض الموسيقيِّيْن قصائد له في أعمال

موسيقية، واستوحى كثيرون من الرسَّامين اللبنانيِّيْن والعرب شِعْره في رسوم.

انطوى في سنوات الحرب اللبنانية على نفسه، ورفض أن يُوقِّع كتاباته باسمه. فكان من حين إلى آخر يكتب عن الأدب والفنِّ تحت اسم «سراب العارف». رفض أنسي الحاج الحرب، ورفض منطقها، وآثر الصمت والعزلة.

مؤلَّفاته: «لن» (بيروت، دار مجلَّة شِعْر 1960)، «الرأس المقطوع» (بيروت، دار مجلَّة شِعْر 1963)، «ماضي الأيَّام الآتية» (بيروت، المكتبة العصرية 1965)، «ماذا صنعتُ بالذهب، ماذا فعلتُ بالوردة» (بيروت 1970)، «الرسولة بشَعْرها الطويل حتَّى الينابيع» (بيروت 1975)، «كلمات كلمات كلمات» (بيروت 1988، مع مقدِّمة من غسَّان تويني وتمهيد لخالدة سعيد)، «خواتم» (بيروت 1991)، «الوليمة» (بيروت 1994)، «خواتم2» (بيروت 1997).

كُتُبُه توزَّعت بين دار النهار ومؤسَّسة رياض الريِّس والمؤسَّسة الجامعية ودار الجديد التي أعادت طبع دواوينه. وصدرت أعماله الشِّعْرِيَّة الكاملة مع «خواتم» في ثلاثة مجلَّدات، في القاهرة عن الهيئة المصرية للكتاب.

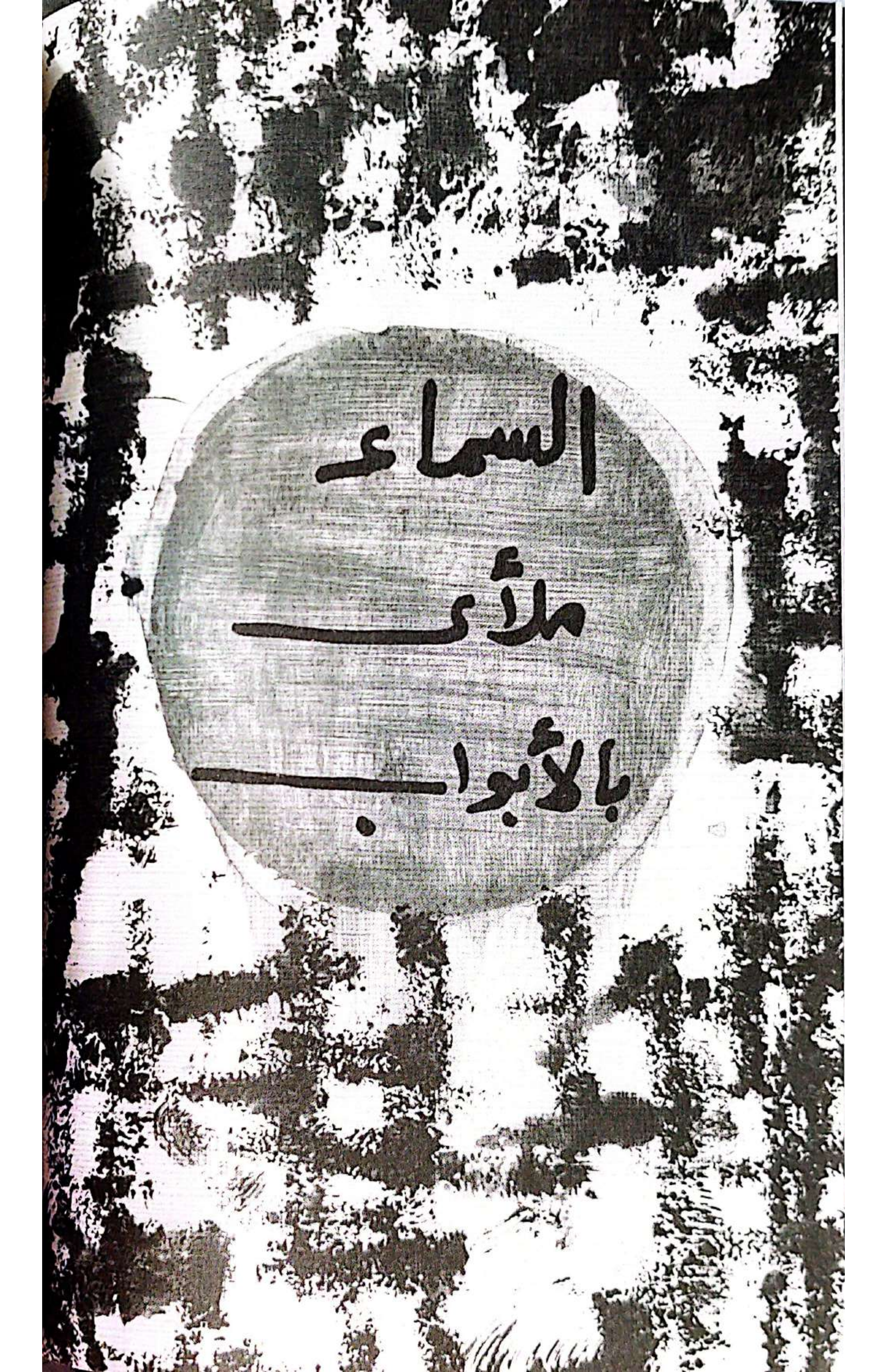
صدرت أنطولوجيا «الأبد الطيَّار» بالفرنسية في باريس عن دار «أكت سود» عام 1997 وأنطولوجيا «الحُبّ والذئب الحُبّ وغيري» بالألمانية مع الأصول العربية في برلين عام 1998. صدرت عام 2015

الترجمة الفرنسية لديوان أنسي الحاج «الرسولة بشَعْرها الطويل حتّى الينابيع» وقصائد أخرى عن الدار الفرنسية «سندباد - أكت سود» وتُوزِّعها في لبنان والعالم العربي دار « لوريان دي ليفر»، ترجمة عبد القادر الجنابي وماري تيريز هويرتا.

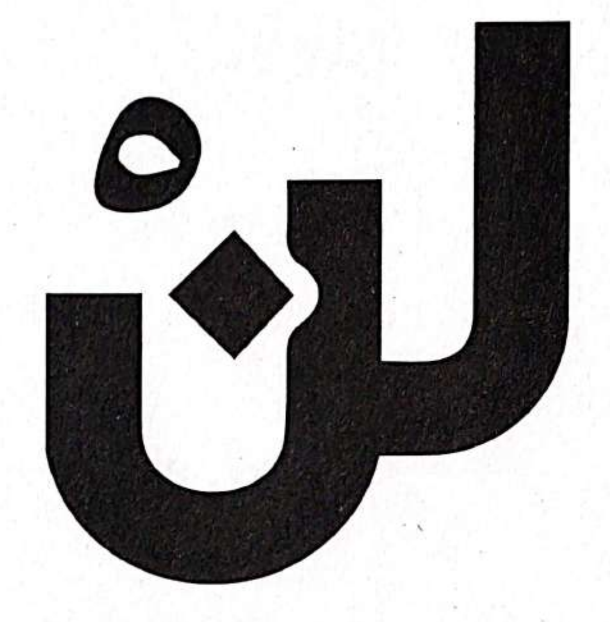
أصدرت مؤسَّسة أنسي الحاج بالتعاون مع موزار شاهين وإنتاجه، ألبوماً شِعْرِيّاً بعنوان «يكتب ويقرأ»، يضمُّ قصائد للشاعر بصوته وأصوات ممثِّلين لبنانيِّيْن محترفين.

جمعت ابنته الشاعرة ندى الحاج كتابات غير منشورة له، وأصدرتْها في كتاب «كانَ هذا سهواً» عن دار نوفل عام 2016 في ذكرى غيابه الثانية.


الأعمال
أنسي الحاج
الكاملة
الشعر


السماء
ملأى
بالأبواب

1960



إلى زوجتي

مُقدِّمة

هل يُمكنُ أنْ يخرجَ من النَّثرِ قصيدة؟ النَّثْر محلولٌ ومَرخِيٌّ، مُتفرِّقٌ ومبسوطٌ كالكفِّ، وليس شدُّ أطرافِهِ إلَّا من بابِ التَّفنُّنِ ضمنَه. طبيعةُ النَّثْر مُرسَلَة، وأهدافُه إخباريَّة أو بُرهانيَّة، إنّه ذو هَدَف زمنيٍّ، وطبيعةُ القصيدةِ شيءٌ ضدٌّ. القصيدةُ عالَمٌ مُغلَق، مُكتفٍ بنفسِه، ذو وحدةٍ كُلِّيَّة في التَّأثيرِ، ولا غايةَ زَمنيَّة للقصيدةِ. النَّثرُ سَرْدٌ، والشِّعْرُ توتُّرٌ، والقصيدةُ اقتصادٌ في جميعِ وسائلِ التَّعبيرِ. النَّثرُ يتوجَّهُ إلى شيءٍ، يُخاطِبُ، وكلُّ سلاحٍ خطابيٍّ قابل له. النَّثرُ يُقيمُ علاقتَهُ بالآخرِ على جسورٍ من المُباشرةِ، والتَّوسُّعِ، والاستطرادِ، والشَّرْحِ، والدَّورانِ، والاجتهادِ الواعي - بمعناهِ العريضِ - ويلجأُ إلى كلِّ وسيلةٍ في الكتابةِ للإقناعِ. الشِّعْرُ يتركُ هذه المشاغلَ: الوعظَ والإخبارَ والحُجَّةَ والبُرهانَ، ليَسبقَ. إنّه يبني علاقتَهُ بالآخرِ على جسورٍ أعمقَ غوراً في النَّفْسِ، أقلّ تورُّطاً في الزَّمنِ الموقَّتِ والقيمةِ العابرة، أكثرَ ما تكونُ امتلاكاً للقارئ، تحريراً له، وانطلاقاً به، بأكثرَ ما يكونُ من الإشراقِ والإيحاءِ والتَّوتُّر. أمَّا القصيدةُ، فهي أصعبُ مع نفسِها من الشِّعْرِ مع نفسِه. القصيدةُ، لتصبحَ هكذا، يجبُ أنْ تقومَ على عناصرِ الشِّعْرِ، لا لتكتفيَ بها، وإنّما لتُعيدَ النَّظرَ فيها، بحيثُ تزيدُ من اختصارِها وتكريرِها، وشدِّ حزمَتِها. القصيدةُ، لا الشِّعْرُ، هي الشَّاعرُ. القصيدةُ، لا الشِّعْرُ، هي العالمُ الذي يسعى الشَّاعرُ، بشِعْرِه، إلى خلقِه. قد يكونُ في ديوانٍ

ما شِعْرٌ رائعٌ، ولا يكونُ فيه قصيدتان، بل يكونُ كلُّه قصيدةً واحدةً. فالقصيدةُ، العالَمُ المستقلُّ الكاملُ المُكتفي بنفسِه، هي الصَّعبةُ البناء على ترابِ النَّثْرِ، وهو المُنفلِشُ والمُنفتحُ والمُرسَلُ، وليس الشِّعْرُ ما يتعذَّرُ على النَّثْرِ تقديمَهُ، فالنَّثْرُ منذُ أقدمِ العصورِ، وفي مُختلفِ اللُّغاتِ، يحفلُ بالشِّعْر حفلاً، إذا قيسَ بشِعْرٍ، النَّظْمُ يغلبُ عليه.

النَّثْرُ، تقولُ العربُ، خلافَ النَّظْمِ من الكلامِ. النَّثْرُ، يقولُ الفرنجةُ، كلُّ ما يُقالُ ويُكتَبُ خارجَ النَّظْم. القصيدةُ من أبياتٍ، بل يذهبُ العربُ إلى الاشتراطِ: ما فوقَ السَّبعةِ أو العشرةِ أبياتٍ؛ والتَّحديدُ الكلاسيكيُّ للقصيدةِ عندَ الفرنسيِّيْن هو أنْ تكونَ مجموعةً كبيرةً من الأبيات. بكلمةٍ: النَّثْرُ خلافُ الشِّعْرِ (لأنَّ الشِّعْرَ، لا القصيدةَ وحسب، هو النَّظْمُ في نظرِ التَّقليديِّيْن) والقصَّةُ، وهي كائنٌ نَثْرِيٌّ، خلافَ القصيدةِ التي هي كائنٌ شِعْرِيٌّ. وهنا يبدو البحثُ في قصيدةِ النَّثْرِ هَذَيَاناً.

لكنَّ التَّحديدَ الكلاسيكيَّ للأشياءِ خاضعٌ للتَّطوُّر، وما يشتقُّهُ أو ما يُبعِدُهُ التَّطوُّرُ، ويبقى حَيَّاً، أي مُلبِّياً لحاجاتِ الإنسانِ، لا محضَ موجةٍ، تكسرُها في إثرِها موجةٌ، يحتلُّ مكانَهُ إمَّا بجانبِ المفاهيمِ السَّابقةِ، وإمَّا على أنقاضِها. وما يجوزُ على المفهومِ يجوزُ على العطاءِ. قصيدةُ النَّثْرِ احتلَّتْ في أدبٍ كأدبِ فرنسا مكانَها الطَّبيعيَّ، حيثُ تمثِّل أقوى وجهٍ للثَّورةِ الشِّعْرِيَّةِ التي انفرجَتْ منذُ قرن. أمَّا عندنا، فأخَفُّ ما تُنْعَتُ به، على العمومِ، أنَّها هجينةٌ، وأرْصَنُ ما يقولُ فيها المُترصِّنُون إنَّها سحابٌ زائلٌ، يغشى السَّماءَ السَّرْمَدِيَّةَ.

خارجَ بضعةٍ من المرافقين المتفهّمين، يمُكننا أنْ نرى المُهلِّلَ الذي يُهلِّلُ لكُلِّ جديدٍ سعياً خلفَ إرواءِ ظمأ سطحيٍّ إلى إثارةٍ كإثارةِ الزِّيِّ، والصُّعْلُوْكَ الذي يَعْلَقُ كحشرةٍ بجسمِ كُلِّ انتفاضةٍ تعشُّقاً منه للتَّهريجِ والظهورِ، المُعرِضَ، المُهاجمَ، المُتشكِّكَ، والمُتشكِّكَ الذي يُرجِّحُ أكثرَ ما يُرجِّحُ، أخيراً في كفَّةِ الإعراض. هل للتَّحفُّظِ مُبرِّرٌ هنا؟ أجل، ما دامَ مُدَّعُو قصيدةِ النَّثرِ، ممَّنْ هم على جهلٍ تامٍّ بها، وإساءةٍ إليها، وإسفافٍ فيهم، يتصدَّرون الواجهةَ، وما دامَ لم يَنْقَضِ على معرفتِنا الجدِّيَّةِ بقصيدةِ النَّثْرِ عامان، وما دامَ العطاءُ الحقيقيُّ ضمنَها، لا التَّقريبيّ والصُّدَفيّ، لم يأخذْ، بعدُ، طريقَهُ إلى النَّاسِ. إنَّنا نتحفَّظُ؛ لكنْ، هل يحقُّ لنا رفضُ الشيءِ قبلَ رؤيتِهِ؟! أليس انغلاقاً على الذَّاتِ وغروراً أحمقَ وموتاً، أنْ نصرخَ: «قصيدةُ النَّثرِ غيرُ صالحةٍ!» و«قصيدةُ النَّثرِ ستموتُ!» وليس بين يدينا نتاجٌ للحُكْمِ؟ «الشِّعْرُ، يقول قائلٌ، هو المُوسيقى كعنصرٍ أوَّل، والنَّثْرُ خُلُوٌّ من المُوسيقى التي يخلقُها الوزنُ والقافية. مُوسيقى الوزنِ والقافيةِ هي التي، في الدَّرجةِ الأُولى، تُحْدِثُ في القارئِ الهزَّةَ الشِّعْرِيَّةَ». لكنْ، لا. مُوسيقى الوزنِ والقافيةِ مُوسيقى خارجيَّة، ثمَّ إنّها، مهما أمعنَتْ في العُمْقِ، تبقى مُتَّصفةً بهذه الصِّفة: إنّها قالبٌ صالحٌ لشاعرٍ، كان يصلُحُ لها، وكان في عالمٍ يُناسبُها ويُناسِبُه. لقد ظلَّت هذه المُوسيقى كما هي، ولكنْ، في عالمٍ تغيَّرَ، لإنسانٍ تغيَّرَ، ولإحساسٍ جديد. حتَّى في الزَّمانِ الذي كان زمانَها، لم تكنْ مُوسيقى الوزنِ والقافيةِ وحدَها، ولا أهمّ ما يُزلزلُ القارئَ. وقارئُ اليومِ لم يعدْ يجدُ نفسَهُ في هذه الزَّلْزَلَةِ السَّطحيَّةِ الخدَّاعةِ لطبلةِ أُذنِه. ثمَّ إنّ الشَّاعرَ يأتي قبلَ القارئ، لأنّ العالمَ

المقصودَ هو من صُنعِه. والشَّاعرُ أعلمُ بأدواتِه، والشَّاعرُ الحقيقيُّ لا يُفضِّلُ الارتياحَ إلى أدواتٍ جاهزةٍ وبالية، تكفيه مَؤونةَ النَّفضِ والبحثِ والخَلْق، على مشقَّةِ ذلك. والشَّاعرُ الحقيقيُّ، اليومَ، لا يُمكِنُ، بحالٍ من الأحوالِ، أنْ يكونَ محافِظاً. إنّ مُعارضةَ التَّقدُّمِ عندَ المُحافظين ردَّةُ فعلِ المُطمئنِّ إلى الشَّيءِ الجاهز، والمُرتعِبِ من الشَّيءِ المجهولِ المصير. التَّقدُّمُ، لمَنْ ليس مؤمناً بما يفعل، مُجازفةٌ خرقاء، وهكذا يبدو للمُقلِّدين والرَّاكدين. وبين المجازفةِ والمُحافظةِ لا يتردَّدُون، فيحتمُون بالماضي، ويسحبُون جميعَ الأسلحةِ من التَّعصُّبِ إلى الهُزءِ إلى صليبيَّةِ المنطقِ التَّاريخيِّ، بل إلى صليبيَّةِ منطقٍ تاريخيٍّ، زوَّرُوه بمقتضى سفينَتِهِم، فلم يروا في تاريخِ الشِّعْرِ غيرَ ما يُؤيِّدُ رجعَتَهُم، ويحكُّ العواطفَ القشريَّةَ للجماهير، وجعلُوا يستخدمون المنطقَ - منطقَ اللُّغةِ والتَّراكمِ الأدبيِّ وحاجاتِ الشعوبِ العربيَّةِ وظروفِها السِّياسيَّةِ والاجتماعيَّةِ والرُّوحيَّةِ - وفقاً لما يدعمُ نظرتَهَم المبتسَرَةَ إلى الأشياءِ، إرادَتَهم البقاء حيثُ هم، وإنقاذاً لأنفسِهم من عجلاتِ النَّهضة.

أيّ نهضة؟ نهضةِ العقلِ، الحسِّ، والوجدان. ألفُ عامٍ من الضَّغط، ألفُ عامٍ ونحنُ عبيدٌ وجهلاءٌ وسطحيُّون. لكي يتمَّ لنا خلاصٌ، علينا - يا للواجبِ المُسْكِر! - أنْ نقفَ أمامَ هذا السَّدِّ، ونُبُجَّهُ.

بين القارئِ الرَّجعيِّ والشَّاعرِ الرَّجعيِّ حلفٌ مصيريٌّ. هناك إنسانٌ عربيٌّ غالبٌ يرفضُ النَّهْضَةَ والتَّحرُّرَ النَّفْسيَّ والفكريَّ من الاهتراءِ والعَفَن، وإنسانٌ عربيٌّ أقلِّيَّةٌ، يرفضُ الرّجعةَ والخمولَ والتَّعصُّبَ

الدِّينيَّ والعُنصريَّ، ويجدُ نفسَهُ بين محيطِيْه غريباً، مُقاتَلاً، ضحيَّةَ الإرهابِ وسيطرةِ الجهلِ وغوغائيَّةِ «النُّخبة» والرُّعاعِ على السَّواء. لدى هذا التَّشبُّثِ بالتُّراثِ «الرَّسميِّ» ووسطَ نارِ الرّجعةِ المندلعةِ، الصَّارخةِ، الضَّاربةِ في البلادِ العربيَّةِ والمدارسِ العربيَّةِ والكُتَّاب العرب، أمامَ أمواجِ السُّمِّ التي تُغرِقُ كلَّ محاولةِ خروج، وتكسرُ كلَّ محاولةٍ لكسرِ هذه الأطواقِ العريقةِ الجذورِ في السُّخف، أمامَ بعثِ رُوحِ التَّعصُّبِ والانغلاقِ بعثاً مُنظَّماً شاملاً، هل يُمكنُ محاولةٌ أدبيَّةٌ طَرِيَّةٌ أنْ تتنفَّس؟ إنّني أجيبُ: كلَّا، إنَّ أمامَ هذه المحاولةِ إمكانَيْن، فإمَّا الاختناقُ وإمَّا الجنون. بالجنونِ ينتصرُ المُتمرِّدُ، ويفسحُ المجالَ لصوته، كي يُسمَع. ينبغي أنْ يقفَ في الشَّارعِ، ويشتمَ بصوتٍ عال، يلعنُ، ويُنبِئُ. هذه البلادُ، وكلُّ بلادٍ مُتعصِّبةٍ لرجعتِها وجَهلِها، لا تُقاوَمَ إلَّا بالجنون. حتَّى تقفَ أيُّ محاولةٍ انتفاضيَّةٍ في وجهِ الذين يقاتلُونها بأسلحةٍ سياسيَّةٍ وعنصريَّةٍ ومذهبيَّة، وفي وجهِ العبيدِ بالغريزةِ والعادة، لا تُجدي غيرُ الصَّراحةِ المُطلقة، ونهبِ المسافات، والتَّعزيلِ المحموم، والهَسْترَةِ المُستميتة. على المحاولين، ليَبُجُّوا الألفَ عام، الهَدْمُ والهَدْمُ والهَدْمُ، إثارةُ الفضيحةِ والغضبِ والحقد؛ وقد يتعرَّضون للاغتيال، لكنهم يكونون قد لفظُوا حقيقَتَهُم على هذه القوافلِ التي تعيشُ، لتتوارثَ الانحطاط، وها هي اليومَ تطمحُ إلى تكريسِ الانحطاطِ، وتمليكِهِ على العالم.

أوَّلُ الواجباتِ التَّدميرُ. الخَلْقُ الشِّعْريُّ الصَّافي سيتعطَّلُ أمرُهُ في هذا الجوِّ العاصف، لكنْ، لا بُدَّ. حتَّى يستريحَ المُتمرِّدُ إلى الخَلْق،

لا يمكنُهُ أن يقطنَ بركاناً، سوف يُضيِّعُ وقتاً كثيراً، لكنّ التَّخريبَ حيويٌّ ومُقدَّس.

هل يُمكنُ أن نُخرِجَ من النَّثرِ قصيدة؟ أجل، فالنَّظمُ ليس هو الفرقَ الحقيقيَّ بين النَّثرِ والشِّعْر. لقد قدَّمتْ جميعُ التُّراثاتِ الحيَّةِ شِعْراً عظيماً في النَّثْر، ولا تزالُ. وما دامَ الشِّعْرُ لا يُعرَّفُ بالوزنِ والقافيةِ، فليس ما يمنعُ أن يتألَّفَ من النَّثْرِ شِعْرٌ، ومن شِعْرِ النَّثْرِ قصيدةُ نَثْر. لكنّ هذا لا يعني أنّ الشِّعْرَ المنثورَ والنَّثْرَ الشِّعْرِيَّ هما قصيدةُ نَثْر، إلَّا أنهما - والنَّثرُ الشِّعْرِيُّ المُوقَّعُ على وجهِ الحصر - عنصرٌ أوّليٌّ في ما يُسمَّى قصيدةَ النَّثرِ الغنائيَّة. ففي هذه لا غنى عن النَّثْرِ المُوقَّع. إلَّا أنّ قصيدةَ النَّثْرِ ليست غنائيَّةً فحسب، بل هناك قصيدةُ نَثْرٍ «تُشبهُ» الحكاية، وقصائدُ نَثْرٍ «عاديَّة» بلا إيقاعٍ كالذي نسمعُهُ في نشيدِ الأناشيد، أو في قصائدِ شاعرِ كَسَان جون برس. وهذه تستعيضُ عن التَّوقيعِ بالكيانِ الواحدِ المُغلَق، الرُّؤيا التي تحملُ، أو عُمقِ التَّجربةِ الفذَّة، أي بالإشعاعِ الذي يُرْسَلُ من جوانبِ الدَّائرةِ أو المُربَّعِ الذي تستوي القصيدةُ ضمنَهُ، لا من كُلِّ جملةٍ على حِدَة، وكُلِّ عبارةٍ على حِدَة، أو من التقاءِ الكلماتِ الحلوةِ السَّاطعةِ بعضها بالبعضِ الآخرِ فقط. ولعلَّكَ إذا قرأتَ قصيدةً من هذا النَّوعِ (هنري ميشو، أنتونان أرتو ...) قراءةً لفظيَّةً، جهْرِيَّةً، للالتذاذِ والتَّرنُّح، لعلَّكَ تطفرُ وتكفرُ بالشِّعْر، لأنّكَ ربّما لا تجدُ شيئاً من السِّحْرِ أو الطَّرب. التَّأثيرُ الذي تبحثُ عنه ينتظرُكَ عندما تكتملُ فيكَ القصيدةُ. فهي وَحْدَةٌ، ووَحْدَةٌ متماسكةُ الشُّقوقِ بين أضلاعِها، وتأثيرُها يقعُ ككُلٍّ لا كأجزاء، لا كأبياتِ

وألفاظ. ومن هنا ما قالَهُ إدغار ألن بو عن القصيدة، (أيّ قصيدة)، إذ أنكرَ عليها أنْ تكونَ طويلة. إنّ كلَّ قصيدةٍ هي، بالضَّرورة، قصيرة، لأنّ التَّطويلَ يُفقِدُها وَحْدَتَها العُضويَّة. وهذا ينطبقُ أكثرَ ما ينطبقُ في النَّثْر، لأنّ قصيدةَ النَّثرِ أكثرُ من قصيدةِ الوزنِ حاجةً إلى التَّماسكِ، وإلَّا تعرَّضتْ للرُّجوعِ إلى مصدرِها، النَّثرِ، والدُّخولِ في أبوابِهِ من مقالةٍ وقصَّةٍ وروايةٍ وخاطرةٍ ...

لكنْ، هل من المعقولِ أنْ نبنيَ على النَّثْرِ قصيدةً، ولا نستخدمَ أدواتِ النَّثْرِ؟ الجوابُ أن قصيدةَ النَّثرِ قد تلجأُ إلى أدواتِ النَّثرِ من سَرْدٍ واستطرادٍ ووَصْفٍ، لكنْ، كما تقولُ سوزان برنار، «شرطَ أنْ ترفعَ منها، وتجعلَها تعملُ في مجموعٍ، ولغاياتٍ شِعْرِيَّةٍ ليس إلَّا». وهذا يعني أنّ السَّرْدَ والوَصْفَ يفقدان في قصيدةِ النَّثْرِ غايتَهُما الزَّمنيَّةَ، يُبطِلان أدواتِ الرِّوائيِّ والخطيبِ والنَّاقدِ، تُوصِلُهم، عبرَ تسلسلِ من الآراءِ والحججِ، إلى هدفٍ واضحٍ ومُعيَّن، إلى الحسمِ في شيءٍ.

هنا العناصرُ النَّثْرِيَّةُ تدخلُ في «كتلةٍ لا زمنيَّة» هي قصيدةُ النَّثْرِ، وتغدو مجرَّدةً من وظائفِها السَّابقة.

كلُّ هذا بحاجةٍ إلى تفصيلٍ وتحديدٍ أوضح، لا يتَّسعُ لهما المجال. النَّثْرُ وارتفاعُ مُستواه[1] كان، عندَنا، التَّمهيدَ المباشِر. وممَّا ساعدَ، أيضاً، ضَعْفُ الشِّعْرِ التَّقليديِّ وانحطاطُه، والإحساسُ بعالَمٍ مُتغيِّرٍ، يفرضُ موقفاً آخر، الموقفَ الذي يفرضُ الشَّكلَ على الشَّاعر. ثمَّ

1) فؤاد سليمان خاصَّة. وأعتقد أنّ نَثرَ إلياس خليل زخريَّا أقربُ إلى مفهومِ القصيدةِ من مُعظمِ نَثرِ فؤاد سليمان.

هناك الوزنُ الحُرُّ، القائمُ على مبدأِ التَّفعيلةِ لا البيت، الذي عملَ منذُ عشر سنين على زيادةِ تقريبِ الشِّعْرِ من النَّثْر، ونلاحظُ هذه الظَّاهرةَ بقُوَّةٍ عندَ جميعِ الشُّعَراءِ العربِ الشُّيوعيِّيْن والواقعيِّيْن، الذين اقتربُوا من النَّثْرِ، لا في أسلوبِهم ولغتِهم فحسب، بل في الجوِّ والأداء، بينما نلاحظُ عند فئةٍ أُخرى، هي فئةُ شُعَراء «المُستوى» اقتراباً من النَّثْرِ على صعيدِ تبسيطِ الجملةِ والتَّركيبِ والمُفردة، وتبقى التَّجربةُ أو الموقفُ في «عصمتِهما» الفنِّيَّةِ الصَّعبة[1].

هذه العواملُ وسواها، كالتَّرجماتِ عن الشِّعْرِ الغربيِّ خصوصاً، جَعَلت بروغَ النَّوعِ الجديدِ مُمَهَّداً بعضَ الشَّيء، على صعيدِ الشَّكلِ بالأقلِّ، وإن لم تتهيَّأ له الأذواقُ حتَّى الآن التَّهيُّؤَ الطَّبيعيَّ.

يحتاجُ توضيحُ ماهيَّةِ قصيدةِ النَّثْرِ إلى مجالٍ، ليس متوافِراً. وإنّني أستعيرُ بتلخيصٍ كُلِّيٍّ هذا التَّحديدَ مِن أحدثِ كتابٍ في الموضوع، بعنوانِ: قصيدةُ النَّثْرِ من بودلير إلى أيَّامِنا للكاتبةِ الفرنسيَّةِ سوزان برنار[2].

لتكونَ قصيدةُ النَّثْرِ قصيدةَ نَثْر، أي قصيدةً حقّاً، لا قطعةَ نَثْرٍ فنِّيَّةً أو مُحَمَّلةً بالشِّعْر، شروطٌ ثلاثةٌ: الإيجازُ (أو الاختصارُ) التَّوهُّجُ، والمجَّانيَّةُ. فالقصيدةُ، أيُّ قصيدة، كما رأيْنا، لا يُمكنُ أنْ تكونَ طويلة، وما الأشياءُ الأُخرى الزَّائدة، كما يقولُ بو، سوى مجموعةٍ من المُتناقضات. يجب أنْ تكونَ قصيدةُ النَّثْرِ قصيرةً، لتُوفِّرَ عنصرَ الإشراق، ونتيجةَ التَّأثيرِ الكُلِّيِّ المُنبعثِ من وَحْدَةٍ عضويَّةٍ راسخة،

---

1) النقيضان في هذا المعنى شاعرٌ كعبد الوهاب البيَّاتي من الأوَّل، ويوسف الخال من الآخرين.

2) كان أدونيس أوَّل مَنْ تناول هذا الموضوع بالعربيَّة، في العدد الرابع عشر من مجلَّة شِعْر، 1960.

وهذه الوَحْدَةُ العضويَّةُ تفقدُ لازَمَنِيَّتِها إنْ هي زَحَفَتْ إلى نقطةٍ مُعيَّنةٍ، تبتغي بلوغَها أو البرهنةَ عليها. إنّ قصيدةَ النَّثرِ عالَمٌ «بلا مُقابل».

وفي كُلِّ قصيدةِ نَثرٍ تلتقي معاً[1] دُفعةٌ فوضويَّةٌ هدَّامةٌ، وقُوَّةُ تنظيمٍ هندسيٍّ. لقد نشأتْ قصيدةُ النَّثرِ انتفاضاً على الصَّرامةِ والقَيْد؛ أليست هي، وحتَّى الآن، تلك التي طالبَ بها رامبو حين أرادَ «العثورَ على لغةٍ (...) تختصرُ كُلَّ شيءٍ، العطور، الأصوات، والألوان»، وبودلير، عندما قال إنّهُ من الضَّروريِّ استعمالُ شكلٍ «مَرِنٍ ومتلاطمٍ، بحيثُ يتوافقُ وتحرُّكاتِ النَّفْسِ الغنائيَّة، وتموُّجاتِ الحُلْم، وانتفاضاتِ الوجدان»؟ إنّها الرَّفضُ والتَّفتيش، تَهدِمُ وتَنسِفُ الغلافَ، القناعَ، والغلَّ. انتفاضةٌ فنِّيَّةٌ ووجدانيَّةٌ معاً، أو إذا صحَّ، فيزيكيَّة وميتافيزيكيَّة معاً. لكنَّ هذه الفوضويَّةَ كانت لتبقى بجناحٍ واحدٍ عندَ رامبو، لو لم يُعطِها الجناحَ الآخَرَ: الهيكلَ. ومن الجمعِ بين الفوضويَّةِ لجهةٍ والتَّنظيمِ الفنِّيِّ لجهةٍ أُخرى، من الوَحْدَةِ بين النَّقيضَيْن تنفجرُ ديناميكيَّةُ قصيدةِ النَّثرِ الخاصَّة.

هذه الملامحُ تسمحُ لا بتبيُّنِ النَّوعِ الجديدِ فحسب، بل كذلك بتجنُّبِ ما ليس قصيدةَ نَثرٍ. على أنّ ثمَّةَ وجوهاً نسبيَّةً ظهرت وتظهرُ مُتبدِّلةً وفقاً للتَّطوُّر، وهذا التَّبدُّلُ هو من ضمنِ ما تُوفِّرُهُ قصيدةُ النَّثْرِ من حُرِّيَّةٍ شاسعةٍ وإمكاناتٍ لا تُحصَرُ في عملِ الخَلْقِ وطَلَبِ اللَّانهائيِّ والمُطْلَق.

---

1) أوّل وأفضل مثال على ذلك قصائد رامبو النَّثريَّة.

لا نهربُ من القوالبِ الجاهزةِ، لنُجهِّزَ قوالبَ أُخرى، ولا ننعى التَّصنيفَ الجامدَ، لنقعَ بدورِنا فيه. كُلُّ مُرادِنا إعطاءُ قصيدةِ النَّثْرِ ما تستحقُّ: صفةَ النَّوعِ المُستقلِّ. فكما أنَّ هناك روايةً، وحكايةً، وقصيدةَ وزنٍ تقليديٍّ، وقصيدةَ وزنٍ حُرٍّ، هناك قصيدةُ نَثْر. لا نريدُ ولا يُمكنُ أن نُقيِّدَ قصيدةَ النَّثْرِ بتحديداتٍ مُحنَّطة. إنّ أهمِّيَّتها لا بالقياسِ إلى الأنظمةِ المُحافظةِ في الشِّعْرِ وحسب، بل بالقياسِ إلى أخواتِها من الانتفاضاتِ الشِّعْرِيَّةِ كالوزنِ الحُرِّ، هي أنّها أرحبُ ما توصَّلَ إليه توقُ الشَّاعرِ الحديثِ على صعيدِ التِّكنيك، وعلى صعيدِ الفحوى، في آنٍ واحد. لقد خَذَلَتْ كُلَّ ما لا يعني الشَّاعرَ، واستغنَتْ عن المظاهرِ والانهماكاتِ الثَّانويَّةِ والسَّطحيَّةِ والمُضيِّعةِ لقُوَّةِ القصيدة. رَفَضَتْ ما يُحَوِّلُ الشَّاعرَ عن شِعْرِه، لتضعَ الشَّاعرَ أمامَ تجربتِهِ مَسؤولاً وحدَهُ، وكُلَّ المسؤوليَّةِ عن عطائِه، فلم يبقَ في وسعِهِ التَّذرُّعُ بقساوةِ النَّظْمِ، وتحكُّمِ القافيةِ، واستبدادِها، ولا بأيِّ حُجَّةٍ برَّانيَّةٍ مفروضةٍ عليه. ومن هنا ما ندعوهُ القانونَ الحُرَّ لقصيدةِ النَّثْر. فعناصرُ الإيجازِ والتَّوهُّجِ والمجَّانيَّةِ ليست قوانينَ سلبيَّة، بمعنى أنّها ليست للإعجازِ، ولا قوالبَ جاهزة، تُفرِغُ فيها أيَّ تفاهةٍ، فتُعطي قصيدةَ نَثْر. لا، إنّها الإطارُ أو الخطوطُ العامَّةُ للأعمقِ والأساسيِّ: موهبةُ الشَّاعر، تجربتُهُ الدَّاخليَّةُ وموقفُهُ من العالَمِ والإنسان. وهذه «القوانينُ» نابعةٌ، كما يُخيَّلُ إليَّ من نَفْسِ الشَّاعرِ ذاته. لقد استُخْلِصَتْ من تجاربَ الذين أبدعُوا قصائدَ نَثْر، ورُنيَ، بعد كُلِّ شيءٍ، أنّها عناصرُ «مُلازِمة» لكُلِّ قصيدةِ نَثْرٍ نَجحَتْ، وليست عناصرَ مُخترعةً لقصيدةِ النَّثْرِ، كي تنجح.

لكنْ، حتَّى هذا الانسجامُ بين الشُّروطِ والشَّاعرِ ليس نهائيَّاً. ليس في الشِّعْرِ ما هو نهائيٌّ. وما دامَ صنيعُ الشَّاعرِ خاضعاً أبداً لتجربةِ الشَّاعرِ الدَّاخليَّةِ، فمن المُستحيلِ الاعتقادُ أنّ شروطاً ما أو قوانينَ ما أو حتَّى أُسُساً شكليَّةً ما هي شروطٌ وقوانينُ وأُسسٌ خالدة، مهما يكنْ نصيبُها من الرَّحابة والجمال. القاعدةُ القديمةُ: العالَمُ لا يتغيَّرُ، باطلةٌ. ومثلُها جميعُ المُواضعاتِ المُتعلِّقةِ بالإنسان. الشَّاعرُ ذُو موقفٍ من العالمِ. والشَّاعر في عالمٍ مُتغيِّر، يضطرُّ إلى لغةٍ جديدةٍ، تستوعبُ موقفَهُ الجديد، لغةٍ «تختصرُ كُلَّ شيءٍ» وتُسايرُهُ في وثبةِ الخارقِ الوصفِ إلى المُطْلَقِ أو المجهول. أقلُّ عقدةٍ شكليَّةٍ تُعطِّلُ انطلاقَهُ، وتحرفُ وجهتَهُ. أبسطُ هَمٍّ خارجيٍّ يسرقُ من وَحْدَةِ انصبابِهِ على الجوهر. وأخطرُ من ذلك كلِّه العقدُ والسُّننُ حين تكون جاهزةً، وذاتَ تراثٍ طويل، أي ذاتَ قُوَّةٍ أقدرَ على إيقاعِ الشَّاعرِ في حبائلِها بما لها من إغراء (إغراءِ الرَّاحة) ومن سلطانٍ (سلطانِ التُّراثِ الطَّويل). وهذا ما يحصلُ للشَّاعرِ العربيِّ مع الوزنِ والقافيةِ وشِعْرِهِ القديم، وقَطْعُ هذه المرحلةِ يقتضي جهاداً فائقاً، لا من أجلِ الرَّفضِ النَّظريِّ لها فقط، بل كذلك للنَّجاحِ في التَّخلُّص من رواسِبِها، ورواسبُها شكليَّةٌ وضمنيَّة. وإذ يجتازُ الشَّاعرُ عقبةَ العالمِ الميت، يفرُّ من الأقماط. غير أنّ أبوابَ الشِّعْرِ الصَّافي، عالمِهِ الجديدِ الذي عادَ إليه، لا تنفتحُ أمامَهُ ما لم يُحسِنْ مخاطَبَتَهَا. أو هي، إذا انفتحَتْ، لا بُدَّ للشَّاعرِ أنْ يضيعَ في الدَّاخلِ، ما لم يكنْ يعرفُ تبيُّنَ عالمه وبلورَتَه. اللُّغة ... إنّه في حاجةٍ دائمةٍ إلى خَلْقٍ دائمٍ لها. لغةُ الشَّاعرِ تجهلُ الاستقرارَ، لأنّ عالمه كتلةٌ طليعيَّة. أجل.

في كلِّ شاعرٍ مخترعُ لُغة. وقصيدةُ النَّثْر هي اللُّغةُ الأخيرةُ في سُلَّمِ طموحِهِ، لكنّها ليست باتَّة. سوف يظلُّ يخترعُها.

ما يُسمُّونه الأزمنةَ الحديثةَ هو انفصالٌ عن زمنِ العافيةِ والانسجام. إنّه تكملةٌ للسَّعي الذي بدأ منذُ قرنٍ، لا من أجلِ تحريرِ الشِّعْرِ وحدَهُ، بل أوَّلاً لتحريرِ الشَّاعر. الشَّاعرُ الحُرُّ هو النَّبيُّ، العرَّافُ، والإلهُ. الشَّاعرُ الحُرُّ مُطلَقٌ، ولغةُ الشَّاعرِ الحُرِّ يجبُ أنْ تظلَّ تلحقُهُ. لتستطيعَ أنْ تواكبَهُ عليها بالموتِ والحياةِ كلَّ لحظة. الشَّاعرُ لا ينامُ على لغة.

شاعرُ قصيدةِ النَّثْرِ شاعرٌ حُرٌّ، وبمقدارِ ما يكونُ إنساناً حُرّاً، أيضاً، تَعظُمُ حاجتُهُ إلى اختراعٍ مُتواصلٍ للُغةٍ، تُحيطُ به، تُرافِقُ جَرْيَه، تَلتقطُ فكرَهُ الهائلَ التَّشوُّش والنِّظام معاً. ليس للشِّعْرِ لسانٌ جاهز، ليس لقصيدةِ النَّثْر قانونٌ أبديٌّ.

نكتبُ لنقطعَ مرحلة، وما نكتُبُهُ يُطوَى، يُحرَق. ما لم نكتبْهُ ولم نعرفْهُ ولم نَغُصْ، بعدُ، فيه، هو الهَمُّ.

يجبُ أنْ أقولَ أيضاً إنّ قصيدةَ النَّثرِ - وهذا إيمانٌ شخصيٌّ، قد يبدو اعتباطيّاً - عملُ شاعرٍ ملعون. الملعونُ في جَسَدِهِ ووُجدانِهِ. الملعونُ يَضيقُ بعالَمٍ نقيٍّ، إنّه لا يَضطجعُ على إرثِ الماضي. إنّه غازٍ. وحاجتُهُ إلى الحُرِّيَّةِ تفوقُ حاجةَ أيٍّ كان إلى الحُرِّيَّة. إنّه يستبيحُ كلَّ المُحرَّماتِ ليتحرَّرَ. لكنّ قصيدةَ «النَّثْر» التي هي نتاجُ ملاعين، لا تنحصرُ بهم. أهمِّيَّتُها أنّها تتَّسعُ لجميعِ الآخرين، بين مُباركٍ ومُعافى. الجميعُ يَعبرون على ظهرِ ملعون.

نحنُ في زمنِ السَّرطان. هذا ما أقولُهُ ويُضحِكُ الجميعَ. نحنُ في زمنِ السَّرطان: هنا، وفي الدَّاخل. الفنُّ إمَّا يجاري، وإمَّا يموت. لقد جارى، والمُصابون هم الذين خلقُوا عالمَ الشِّعْرِ الجديدِ: حين نقولُ رامبو نشيرُ إلى عائلةٍ من المرضى. قصيدةُ النَّثْرِ بِنْتُ هذه العائلة.

نحنُ في زمنِ السَّرطان: نَثْراً وشِعْراً وكلَّ شيء. قصيدةُ النَّثْرِ خليقةُ هذا الزَّمن، حليفتُهُ، ومصيرُهُ.

أ. ح
خريف 1960

هُوِيَّةٌ

أخافُ.

الصَّخرُ لا يضغطُ صندوقي، وتنتشرُ نظّارَتَاي. أتبسَّمُ، أركعُ، لكنْ، مواعيدُ السِّرِّ تلتقي، والخطواتُ تُشعُّ، ويدخلُ معطف! كُلُّها في العُنُق. في العُنُق آذانٌ وسَرِقة.

أبحثُ عنكِ، أنتِ، أين، يا لذَّةَ اللَّعنة؟! نسلُكِ ساقطٌ، بصماتُكِ حفَّارة!

يُسلِّمُني النَّومُ، ليس للنَّومِ حافَّة، فأرسمُ على الفراشِ طريقة: أفتحُ نافذةً وأطير، أختبي تحتَ امرأتي،

أنفعلُ!

وأشتعلُ! ...

تعالَ أصيحُ. تعالَ أصيحُ. إنّني أهتفُ: النَّصرُ للعِلْم! سوف يتكسَّرُ العقربُ، وأتذكَّرُ هذا، كي أُنجِبَ بلا يأس.

تمُطِرُ فوقَ البحر

أُناديكَ، أيُّها الشَّبحُ الأجردُ، بصوتِ الحليفِ، والعبدِ، والدَّليلِ، فأنا

أعرفُ. أنتَ هو الثَّأرُ العائدُ، صَلْباً كالرِّبَا، فاحشاً، أخرسَ، وخُططي بلا مجاذيف. أُسدِلُ رأسي على جبيني، فتحدجُني عينُكَ الوحيدةُ من أسفل؛ النَّهارُ يتركُني، اللَّيلُ يحميكَ. النَّهارُ يدفعُني «لكَ اللَّيلُ!» فأركضُ، اللَّيلُ رَجُلٌ! أهربُ أين وأنا الأُفق؟

الحياةُ حَيَّة. العينُ دَرَج، العينُ قَصَب، العينُ سوقٌ سوداء. عينيَ قِمْع، تقفزُ منه الرِّيحُ، ولا تُصيبُه. هل أعوي؟ الصُّراخ بلا حَبْل. هناك أريكةٌ، وسأصمد.

سوف يأتي زمنُ الأصدقاءِ، لكنَّ الانتظارَ انتحر. الجيادُ تُسرِعُ، عَبَثاً عَبَثاً، الخوفُ رَقْمٌ لا نهائيّ.

السَّقفُ ينحلُّ في قلبي، والأرضُ لا مكانَ لها. أُهرولُ وأُقذَف، يكنسُني الصَّدى، صدى! الأرضُ بعيدةٌ بلا طريق، الأرضُ تنزلُ بلا عَتَبَة.

أُطلَقُ على الهواءِ، أغرزُ الهواءَ بأليافي.

بلا تَعَتُّه، الحركةُ ليست ضدَّ اللَّيل، الحركةُ عمياءُ، تَرى باللَّيل. قُمْ! المصباحُ خادمٌ، ويدُكَ خادمة. (أضحكُ منِّي) قُمْ! هوذا أنا، البابُ يُطرَق.

البابُ: هنا الموت. وجهُهُ وجهُ القَدَر، وظَهْرُه الضَّياع. يُطرَقُ ولا ينتفض، فهو يبقى.

يجبُ أنْ أبكي. كيف نسيتُ أنَّ الدُّموعَ تُعكِّرُ المرايا؟ المرآةُ غابةٌ،

لكنِ، الدَّمعةُ فدائيّ. فلأسمعْ جَلَبَتَكِ، أيَّتُها الرَّفيقة! فَلأرفعْ لواءَكِ، حتَّى تتقطَّعَ أوتارُ كتفي!

تمُطِرُ فوقَ البحر

لمْ يعدْ في العالمِ دمعة

والحزن؟

ما سعرُ رجلٍ حزين! التَّغضُّنُ علامة، الغضبُ إبحار. دُرَفُ الصَّرْعِ تذيعُ الربيع، وعندَ الصباحِ تتعانقُ المذبحةُ والظَّفَرُ، وحسداً أخْلَعُ وجنتَيَّ.

لكنِ، الخوف!

ما

الخوف؟

لا تبدأ. سأضوِل، وأصمتُ. جناحُكَ. عينُكَ الأُفقيَّة! مولاي: لا! خُذْ قبلي الآخرين! ...

دمٌ حديث.

أُسلُوبٌ

حلْمَتَاي ومَثَلي الطَّيِّب. أقولُ هذا: لولا قوَّةُ فَرَحِكِ، لأسْرَعْتُ أقتطعُ جوعاً أو أملاً. لَغْوُكِ الأشقرُ ينتظرُني عندما تنتابُني الوداعةُ، فيُعيدُني إلى الأصواتِ البعيدةِ. ثمَّ يَدَاكِ تركضان دائماً على ثيابِكِ؛ الطَّبيعةُ زاخرةٌ ومُباحةٌ، لكنَّني أقتادُ بسهراتِكِ، ومن تحتِ سقفِكِ أعضدُ انهياري. يا دليلَ الوقوعِ! اخترتُكِ بين محرِّضيّ، لأُحِبَّكِ وأبصقَ. أقولُ هذا: لأعبُدَكِ وأدلَّ عليكِ: إنّني نهرُها! أيُّها المُنتظرُون لأنصجَ، أُسفِّهُكُم بهذا النَّبعِ، فهو أميرُكُم. على أصفى أراضيكُم أشكُّ يأسي. وغداً تقولُون: أعماهُ شَعْرُها الطَّويلُ! واللَّيلةُ أفضحُ باطلَكُم. أقولُ هذا: «مليئةٌ بالأجنحةِ»، أقولُ أيضاً: «مصطفقةٌ بالزَّيتِ». بلا شرفٍ أمرُّ على وجهِ العالمِ. ظلال العُقم على جوانبي، إنّ مَسرَّاتٍ هائلةً يحلمُ بها باعةُ قراري، ولكنَّهم سيذُوقُون العارَ والحَيْرَةَ. إنّني أمضي، فقد صَرَختُ آخرَ صرخةٍ. الطَّبيعةُ قدوةٌ وراغبةٌ، لكنْ، على الجناحِ وطَّدتُ خنجري، واتَّكأتُ عليه. أحكمُ بثقةٍ وموتٍ مُشرَعٍ.

الغزوُ

كان يتأمَّلُ من الثَّقْب، ليرى إذا الحربُ ستقعُ. خَرَجَتْ أنفاسُهُ، هَجَمَتْ لتفتحَ البابَ وهي تصرخُ «الصَّبرُ قبرٌ!» فَرَفَعَ ذراعَيْه، ليخطبَ، لكنّها لَبَطَتْهُ في قطبِهِ، وكادَ يتراجعُ لولا الفضيحةُ، فعادَ إلى المقاومةِ، وخاطبَ أنفاسَهُ «الصَّبرُ قبرٌ... لكنِ، الحربُ قريبة! انتبهي إلى عينَيَّ، فضحكتْ، وأرادَ أنْ يقولَ شيئاً، لكنْ، القطبُ ارتفعَ إلى مستوى الحَدَثِ، وجَعَلَ يقولُ «مَنْ ضَرَبَنِي على خُصْيَتِي اليُمْنَى أصَابَ، لأنّني أضعتُ اليُسْرَى. مَنْ وَجَدَ لي خُصْيَتِي اليُسْرَى، فليأكلْها، لأنّي سأفقدُ اليُمْنَى، وطارَ صوابُهُ، فَوَضَعَ النَّصفَ على الأنفاسِ، والآخرَ على القطبِ، وحاولَ قَمْعَ الثَّورةِ، لكنْ، دون عبثٍ، فقد استيقظتِ البشريَّةُ في جسمِهِ، وراحَ الجميعُ يطلبون المجاعةَ. وإذا كان تحتَ الغزوِ ينهارُ، انهارَ البابُ من ورائِهِ، وحُمِلَ إلى الخارجَ.

الحربُ، لقد انتصرتْ شعوبُ جسمِهِ.

البطولةُ. الحربُ معطفُ الشَّهوةِ.

الحُرِّيَّة،

سوف يَفترِسُ في الطَّريقِ أوَّلَ امرأة.

في إثْرِكِ

كلمةٌ سمراءُ تحتَ يدي

ووجهُكِ أسمر

أين أنا؟

كلمةً كلمةً نحوكِ أعرج،

أتَصَهْصَه.

قائدي، يا قائدي

نَيْشِنِّي!

لأبقى

أصدقاؤُكِ هيَّؤوكِ لعهدي
أحبَّاؤُكِ عتَّقُوكِ، لأنتشرَ فيك
لآكلَكِ، عُشَّاقكِ أنضجُوك
ها أنا!

- حين أسترخي جوارَكَ، لمَ لا تأكلُني، يا سيِّدي؟ هذي ليلتي الثَّانية، للآن لم تَلْمسْني. أمَا أفتنُكَ، آهٍ! لماذا لا تأكلُني؟

- لأبقى في انتظارِكِ. ابعدِي.

خُطَّةٌ

كُنتِ تصرخين بين الصَّنَوْبَرَاتِ، يحملُ السكونُ رياحَ صوتِكِ إلى أحشائي.

كُنتُ مُسْتتراً خلفَ الصَّنَوْبَرَاتِ، أتلقَّى صُراخَكِ، وأتضرَّعُ، كي لا تَريني.

كُنتِ تصرخين بين الصَّنَوْبَرَاتِ؛ تعالَ، يا حبيبي!

كُنتُ أختبئُ خلفَ الصَّنَوْبَرَاتِ، لئلَّا تريني، فأجيءَ إليكِ، فتهربي.

رحلةُ تفقُّدٍ

كانت تهربُ على فَرَسٍ بنصفِ جسد، يثبُ عليها. راهقتْ بعذابٍ طويلاً، طويلاً ترامتْ إلى الوراءِ.

انتهى.

رَشَدتْ، ولدتْ للدَّمِ. من ملايين السِّنين، وهي تتراجعُ؛ انتهى.

هوذا دهرُها، وهي المُعافاةُ الآن وحدَها. لا تسمعُ، بدأتْ، ولن تفهمَ. خزائنُ الرَّحمةِ مَاعَتْ، جَرَفَتْها دموعُ المُفترَسين الأُوَّل. البرُّ البحرُ الفضاءُ جُمعت في الإصابةِ والعنين؛ لا ثقةَ بها. الصُّلبان طُبِعَتْ بالنَّار، ودُقَّتْ على الصدورِ، لم تقوَ، دُحرِجَ هذا، جُنِّزَ، العالمُ صندوق!

ليلَ نهارٍ تُقرَعُ أجراسُ النَّجدةِ في الأحشاءِ، والسُّوسةُ عُريانةٌ، تقطعُ الصوتِ. بجلودِنا مُرصَّعةٌ، مُرتديةٌ تاريخنا، معروكةٌ بدمٍ هاطلٍ بالسُّمِّ فائضٍ لا أمل. آدم! لا أمل. سوسةٌ أو عقربٌ، نخرٌ وامتصاص، أشباحاً نهوي تحتَ حوافرِها.

داخلةٌ أنتِ فينا، لا كَوباءٍ، أيَّتها العُروةُ الأصليَّة. إنكِ تعقدينا فيكِ إلى الأبدِ، لأنَّكِ عَمَلُنا، وأنتِ تَفتَّحُنا، أيَّتُها الرَّائحةُ، وقد أعْدَمْتِنا الشُّعورَ بعطرِ سواكِ. أطلقناكِ بالمَنِيِّ والفمِ والفسادِ والشَّهوة،

لن نقدرَ أن نهربَ، سنتلقَّاكِ، لأنكِ اكتملتِ! إني باسمكِ أُطلِعُهُم على السِّرِّ، باسمِكِ أُميتُهُم. ملفوفٌ بأجنحتِكِ حتَّى أصيرَكِ، لا نوى وراءَكِ في شيءٍ. كم تَفَلْفَلُوا! يا ملكَتي، كم عيونُهم نقَّبَتْ، وانهاروا أمامَها، وغصُّوا! تناسَلُوا مُتواعدين على الغَلَبَة، وسقطُوا بلا عيونٍ، لا نسل، ولا فجر. ينتظمُ الانهيارُ أسواراً جديدةً ستبقى. وَصَلتْ أمواجُ الدَّمِ الأسودِ إلى الحواجبِ، أنتِ تفرزين، ونحن نَسْبَحُ، نغرقُ، ويحتلُّ الأطفالُ دوائرَنا. بعدَكِ لا جدوى من الخضوعِ، فلنقطعِ الرُّكبة، ونصبَّ العُنقَ عمودِيَّاً. لا خضوعَ، آدم! يا موت! بعث، يا كفاح! لا شيء. فَرِّخي كثيراً لتُوحُّدِكِ جميعَ الأقاليم، وأنا حَيٌّ.

حوارٌ

I

قولي: بماذا تُفكِّرين؟

أُفكِّرُ في شمسِكَ التي لا تُنيرُني، يا عاشقي.

قولي: بماذا تُفكِّرين؟

أُفكِّرُ فيكَ، كيف تستطيعُ أنْ تصبرَ على برودةِ قلبي.

قولي: بماذا تُفكِّرين؟

أُفكِّرُ، يا عاشقي، في جبروتِكَ، كيف أنّكَ تُحِبُّني، ولا أُحِبُّكَ.

II

قُل: بماذا تُفكِّرُ؟

أُفكِّرُ كيف كُنتُ، وأحزنُ من أجلِكِ، يا حبيبتي.

أُفكِّرُ في شمسي التي أذابتْكِ، وفي جَلَدِي الذي خَضَّعَكِ، أُفكِّرُ في حُبِّي الذي رَكَّعَكِ، ثمَّ مَلَّكِ، يا حبيبتي.

أُفكِّرُ في المراثي، يا حبيبتي.

أُفكِّرُ في القتل.

الثَّأرُ

مررتُ بالأرضِ التي سَكَنْتِها مُذ هَجَرتِها، فَسَقَطتُ في شَعْرِكِ. تسلَّقتُ شجرةً، نظرتُ إلى القريةِ التي رأتْنا أنتِ تهزِّين رأسَكِ (أوَّاه. أضنيْتُكِ!) وأنا أُقنعُكِ أنّ العودةَ شاسعةٌ، لا تسعُ الحُمَّى، قريةُ حَمْلَتي الأزليَّةِ نظرتُ إليها، فرأيتُ الأهالي سُعداء.

نزلتُ وانحنيتُ على الأرض

قرَّرتُ عَقْرَها بمُخيِّلتي.

حالةُ حصارٍ

لسانُ جرَس - يا أطعمةَ اللَّحمِ، أنساكِ! - في رأسي، وحدي وأسيحُ عبرَ العَرَقِ والخشوعِ، العارُ وراءَ أُذُنيَّ، وأرسمُ الهواءَ.

رأيتُ مِخْرَزاً يحفرُ بطنَ حاملٍ، وخنزيراً تُراوِدُهُ فراشةٌ. بصوتٍ مرتفعٍ ذهبتُ في الطَّريقِ. نُكِحْتُ من بُؤْبُؤَيَّ، وعلى الورقةِ كتبتُ بياضاً. العصافيرُ صارت، بهذا السَّبب، تدعوني لتغييرِ طريقي. إنّ حكايَتي سخيفةٌ، أيُّها الحدَّاد! انتبهْ، وتَوَقَّفْ عن الضَّوضاءِ. قلتُ: الموتُ عَلَمُ الثَّأر، وقلتُ له: الويلُ لكَ من ألوانِنا الغامقةِ.

إنّني حقّاً مُتلعثمٌ وصغيرٌ. لقد كان في فمي سهامٌ وسمومٌ أقْتَلُ!

رأيتُ طفلاً يُخصَى، لأنّه تعرَّى والشمسُ تراه.

اللهُ ويَدَاه وَشْمٌ على مُنتصفِهِ. الله إليتُه.

تُبْ إلى الرَّبِّ كَسَدْتَ

هَجِّرْ شياطينَكَ، مُتْ

صُراخُكَ مطعونٌ، هيَّا!

لأنْ لعازر قلتَ له هَلُمَّ لعازر خارجاً؟ مُرْني فأبقى. إنّني أعتصمُ بالقبرِ، فعلى القبرِ السَّلامُ، وفي القَهْرِ المَسَرَّةُ.

أغصانُ أبَدِكَ جماجمُ قتلى، مُجونُك جَلْدٌ وسَحْن. رائحتي مُستديرة، فما أدقَّ أنفِكِ! جميلةٌ نظراتُكِ، رقيقةٌ ألفاظكِ.

وتفرُّ

تُراودكَ صلاة.

لا أُعاتَب، فقد ناديتُكَ طويلاً، والسَّماءُ تَلْبَخُني بالأرض، قلْ لي ما يُزعجُكَ أمَوتي أم حياتي؟

أرى الغيمَ عَلَقاً مَدهُوناً بالزُّجاجِ (أسناني!) أرى الطُّوفانَ خلاصَ البرِّ، أرى نوح تريكة، قُبَّعتي يُوسُف الحَسَن، فابْعدْ فابْعدْ وعينُك عليَّ، أدوخُ على انهزامِكَ ووراءَكَ كلابٌ مُحرَّرة. أدوخُ على انهزامِكَ، ثمَّ أفيقُ، وأرنبةُ أنفي ساحةٌ لكَ! ومئةُ ألفِ ملاك.

والملاكُ يطيرُ، وأنا

أغوص

أُعْلِنُ العَهْرَ الحقيقة.

البيتُ العميقُ

البيتُ والدخانُ يتعانقان، والظِّلُّ غائبٌ، أبسُطُ قامتي على الشَّمسِ، فأصبحُ من أشعَّتِها. لا حاجةَ للزَّرعِ والنَّجدةِ، لا حاجةَ لعَرَقِ الهاربِ، لا حاجةَ للقَرْعِ للقَرْعِ للقَرْعِ، البيتُ العميقُ خالٍ ومتلألِئٌ، وأبديًّا يَزْلِجُ على اللَّحمِ!

نَدفِنُ اللَّحمَ، ولا نثأرُ له.

الموجُ ضعيفٌ، والرِّيح.

الموجُ لا يُغرِقُ البحرَ، والرِّيحُ فجوة.

نَدفِنُ اللَّحمَ، ولا نبكيه. نَدفِنُ اللَّحمَ، ولا نعرفُه.

نَدفِنُ اللَّحمَ، ولا نقلعُ البيتَ العميقَ، الرُّوحَ العميقَ، اللهَ العميقَ.

نَدفِنُ اللَّحمَ، ونأكلُه

نأكلُهُ، ونبصقُه

نبصقُهُ، ونزرعُه

نزرعُهُ، لنخنقَه

اللَّحم!

البيتُ والدخانُ يتعانقان، البيتُ واللهُ، البيتُ والرُّوحُ، البيتُ والكلمةُ، البيتُ والنَّقصُ

والشَّمس.

اللَّحمُ الملءُ خَطَفَ الظِّلَّ، واختنق.

إحساسٌ مُرْهَفٌ

جميعُ الفلَّاحين يُحبُّون المُغلَقِين والمُغلَقُون يقطعُون الصِّلة، «تعالَوا إليَّ ...» مَنْ أنتَ؟ ها أنذا أجيءُ، لكنْ، أسدُّ أنفي. أضواءُ السِّيْر جبالُ الدّرَن، والنَّكباتُ محفوظات!

مالكٌ تحتَ برٍّ ما، أتخلَّفُ لأتجمَّعَ، وعلى حينِ غِرَّةٍ أصعق. أيَّتُها الأرضُ المزُلْزَلَة! نيرانُكِ سهرةُ البرد، الشتاءُ حانةُ البِحار، أمَّا أنا، فأصبُّ من ذُعري. أقول للأرضِ لا يهزُّها زِلزالُها.

أيُّها الحكيمُ! إليكَ وصفي؛ إنّني مَطوِيٌّ كعجوزٍ بالٍ عفريتٍ، مكسورٍ كملكٍ مَغلوبٍ وحقودٍ. أنا لكي أقولَ: هِهْ!

عفافُ يباسٍ

فقد تملَّكَني الرُّعبُ، لا أذكر.

لا أذكرُ كيف تكوَّنَ الدَّمُ على فخذَيَّ، وحَمِيَتْ أُذُناي من الوَهْلَة. ماذا تظنُّ أنّني، أنا؟ ولا مرَّة إلَّا حلمتُ أنْ يكونَ شَعْري أجعد، لأنّ الأملسَ شَعْرُ عاهرٍ سرِّيٍّ، أنَّ مَجْدُورٌ كالقلعةِ، عميقٌ بالشَّظَفِ والعسكر.

في مُنتصفِ اللَّيلِ طفلةٌ تموءُ، وشهوانيٌّ عُزلة.

كُلّ ما أذكرُ أنّني في الخندقِ ألتهمُ جسدِي، فيموتُ، فأحشو جثّتي ندماً، فيحيا. ولم يكن البابُ مسدوداً. كُنتُ أختبِئُ وأتصوَّرُ، وهكذا أطمئنّ. لكنّها دَخلتْ، وانتشرَ الدَّمُ كالقهوةِ، وللمرَّةِ الأولى اغتسلْتُ. وصَرَخَتْ في وجهي: حصلتُ عليكَ! فقبَّلتُها أُسوةً بالشّاذِّين، ورحتُ أستبعدُ مقابر المدينة.

آهِ، فقط لو هناك لصٌّ آخرُ! أُراهنُ أن الغريقَ لا يغرقُ بلذَّةٍ وهو وحيدٌ في البحر. ما أقسى كلامي؟ لا تُوزِّعوا حرارَتكم عليَّ، تُغِيروا مثلَ القيءِ، تُوَقِّعوا خُطاكُم في ضميري كالشَّهادة. لعبتُ لامحاً المُستقبلَ، مُفكِّراً أنْ الثِّمارَ لا تَعقدُ الأشجار.

غُموضٌ وكلَبٌ! تلك الواقعةُ يُغطِّيها حَرُّ التَّفكيرِ فيها. لن تقفَ على الشَّاطئِ، لتتأمَّلَ البحرَ، بل لتخوضَ بأحلامِكَ في الأُفق. لمَ لا يُقابَل العالقُ بينهما؟ آهٍ، الجدار! الفكرُ فاقدُ الاسم والزِّئبقُ مات، والكلماتُ بنات!

صَرَعْتُها تلك المحبَّات. يجبُ ألَّا تكونَ العاقبةُ دماً، ابحثُوا عن طريقة؛ إنْ هذا الفتحَ أقوى من قلوبِنا.

طريقةٌ ناشفة.
اِخْتَرِعُوا لنا عفافاً بلا دم.

فَصْلٌ في الجِلْد

فليذهبْ ملكوتُ القُشَعْرِيرَة. أبا الهَولِ! أبا الهَولِ! خُذْ صمتِي،
وامنحْني. يسوع.
دِيكُكَ لا يصيح
دِيكُكَ لا يصيح
يسوع!
دِيكُكَ لا يصيح
رَيِّش بسِحْرِكَ تنديمَهُ، أُعْتُقْ لسانَهُ، نَجِّه
يسوعُ، أَنْقِذْ نفسَكَ، إنيّ
أرضع
ريقَ
التَّماسيح.
النِّهاياتُ سَفَرُ الطَّيرِ، شهقةٌ كالقطارِ، ودمع
والبَدَنُ ينهض!
الجِلدُ يرتفعُ كغطاءِ التَّابوت
يُسرِع!
يُنَفِّشُ كمنخارَيْن

الكُلُّ يُثيرون الجِلْدَ، الجِلْدُ حماسيٌّ أحمق. هاتِ السَّوطَ! السَّوط! السَّوط! الجِلْدُ يُربىَّ بالقُوَّة.

أي! الضَّرْبُ يُثيرُ الجِلْدَ، يُثيرُ الضَّرْبُ الفاجعةُ القُشَعْرِيْرَة.

تُرَشُّ النَّجاسةُ بالسُّخرية!

أي!

أغاني الحُرِّيَّة زَرْعُ الهُزْءِ

وريقُ التِّمْسَاحِ عِبارة!

ألحِمْنِي بكَ، أيُّها الجبلُ، لعلَّ الجمادَ. خُذْ صمتِيَ، أيُّها الجبلُ، وامنحْني!

ملكوتُ القُشَعْرِيْرَة، يا سيِّدي

أنتَ الطريدةُ، يا سيِّدي

كلاميَ هَذَرٌ، والشِّعْرُ قَهْرٌ مشدودُ النَّواجذِ، يخنقُهُ الحنين

أنتَ هو الشّمال

فَلْتَتَغَرْغَرُ حَنْجَرَتُكَ

ولْيَأْتِ مَلَكُوْتُكَ

رياحُكَ أبداً تُنهِضُ الجِلْدَ، وإنيّ أبداً تَحْتَه.

للدِّفءِ

عوضَ أنْ تُقبِلَ من أُمِّكَ، تزَوَّجْها.

الأحرفُ تتلاحقُ. عوضَ ذلك يجبُ أنْ تتداخلَ، الصَّمتُ يُشبهُ حروفاً، يسكنُ، يركبُ بعضُها بعضاً بالتصاقٍ تحتَ غارة. ليستِ الحروفُ قطاراتٍ. عوضَ أنْ تصمُتَ مُتْ.

- تحتيًّاً.

تحتَ الحَلْقِ. وراءَ قشرتِكَ.

مجيءُ النِّقَابِ

جاءتِ الصُّورةُ؟ لماذا تتأخَّرُ! كلَّا، لم تجئْ. لم تَجِئْ؟ وكيف أتجنَّبُ النَّظرَ؟ مَنْ يُنقذُني من آلامِ الرِّحلةِ؟ أين؟ وراءَ، في الوراء. في وراءٍ. وراءَ الصَّوتِ. اللِّيفةُ، اللُّبُ، الصُّلبُ. هل أتخلَّى؟ مُتأخِّرٌ، أرفعُ الجلسةَ، أُؤجِّل. لم أُكلَّف. لِمَ أنا؟ فَلْيدفعُوا. فَلأَطْمَحْ للصُّورة!

يتضاربُ ذهني، أحلفُ، أُحَيِّي، وأُغنِّي. أقرأ. كُلُّ شيءٍ في الهواءِ، وأنا. رُحْ إلى الشَّطِّ، أيُّها الفِكْرُ، تَحَلْحَلْ. الحياةُ ذُبابةٌ ذُبابةٌ، طاقتي عينان رياضيَّتان، أرفضُ العصرَ! لا تشدُّوني! آخرون آخرون. أنا كظلٍّ، أُريدُ هذا، مرحباً! أنتَ أيضاً؟ ليس هُناك واحد؟

السجنُ القبرُ الكوبُ، بُؤبُؤي ورأسُ مسمارٍ، أغرزُ، أُعمِّقُ، أتوغَّلُ، مِسمارٌ إلى الفوز!

جاءتِ الصُّورةُ؟ كلَّا، لمْ. جاءتِ الصُّورةُ؟ كلَّا، لم، جاءتِ الصُّورة؟

أجل، اِسترِحْ.

قواطعُ

لحظةَ أُلجِئُكِ إلى حُبِّي أقلبُ اللَّحظة.

في وجهِها الآخرِ أتَّسِعُ، أستريح.

لِوَجهِها الآخرِ فجوة

أقعدُ فيها، لأبدأ،

الأَخْذُ يُراقِبُ اليد

حَذِرٌ ليَغدر

منطقيٌّ كدُمَّلَة.

قواطعُ

لحظةَ أُلجِئُكِ إلى حُبِّي أقلبُ اللَّحظة.

في وجهِها الآخرِ أتَّسِعُ، أستريح.

لِوَجهِها الآخرِ فجوة

أقعدُ فيها، لأبدأ،

الأخذُ يُراقِبُ اليد

حَذِرٌ ليَغدر

منطقيّ كدُمَّلَة.

نحوَ لا أدري

احملُوني، كلَّا! ستفعلون .. إليكِ أتوجَّهُ، احملِيني إلى الفُسْحَةِ التي تطوي نفسَهَا، وتنشرُها، هودجيَّةً وسريعةً، بلا نهايةٍ ولا انفعالٍ، في أقصى العيدِ، حيثُ ينعدِمُ الطَّقسُ، وتُبْرأ اللَّفظة.

نحنُ الاثنَينْ، تحملينني بحُنُوٍّ وفَرَحٍ، ننطلقُ بلا ماءٍ، نعودُ إلى التَّحليقِ، حيثُ لا جرحَ على محلٍّ قلبَيْنا.

ترتيلةٌ مُبعثَرةٌ

لن أُسمِّيَكِ اسماً مُوسيقيّاً، لن أتبرَّعَ لكِ بمُفاجأة
إنّني شَغُوف بعُرِيكِ، حيثُ يأخذُ هذياني مجدَه
إنيّ جائزةٌ باسمِكِ.
ما معنى الرَّمز؟ فمٌ في الماء
لكنّي فمٌ أصلعُ، وأعمالي مُخْترَقةٌ، وبلا هَدَف.
الرّمزُ غيب
وسُرَّتُكَ تُغيِّب العالمَ كدوَّار الماء
الرَّمزُ قُوَّةٌ، ووَهْجُكِ كسلٌ مُسلَّح
وأنا جُرثُومةٌ مُدلَّلةٌ بين نهدَيْكِ.
لقد عمَّدُوهُنَّ بأسماءَ غريبة
إذ دعوتُكِ شيئاً، فسأنساه.

هناك كُتُبٌ لها رائحةُ الغُرف، وأناديها يا كُتُباً، لكِ رائحةُ الغُرف.
هناك شِعْرٌ كالزُّجاجِ المكسَّرِ أناديه: أيُّها الزُّجاجُ المُكسَّرُ. لكنْ، لم أُمسِكْ لكِ بمنادى. أنتِ واضحةٌ، تتعقَّبُني سُمرتُكِ ولُهَاث رَحِمِكِ يسكُنُني.

تُؤدِّين أدوارَكِ في عينَيَّ، وتفتحين شبابيكَ في نُخاعي.

الحُلمُ في مخدعِكِ، ومخدعُكِ حيلةٌ واعية!
ولسوفَ أدعوكِ
آهِ! ماذا؟
ولسوف أكتشفُ لكِ سجناً
آهِ
مَنْ يُخرِجُني منه؟!

فُقَّاعَةُ الأصلِ أو القصيدةُ المارقةُ

شارلوت على الإصبعِ تندفعُ بيضاءَ وحدَها، حيثُ يتخثّرُ الفحمُ، ويَغْرَقُ، حيثُ تصيرُ الفواكه.

وسأروي حكايَتي. ففي أحدِ أيَّامٍ، نمتُ، وحينما نمتُ، وحينما نمتُ أيضاً، كان المطرُ يُحقِّقُ في الأرض، وظَلَلْتُ أبكي حتَّى نامَ المطرُ، فقمتُ إلى الحمَّامِ، ولاحظتُ ظاهرةً غريبةً. كُنتُ ما أزال مُتوارياً، وكُنتُ سأخرجُ من الحمَّامِ طبيعيَّاً ومألوفاً، لولا شارلوت. كانت تخرجُ من إصبعي بجهدٍ ونعومةٍ، حاولتُ أنْ أساعدَها، لكنّها سريعةُ العَطَبِ، وسرعانَ ما أيقنتُ أنها سريعةُ العَطَبِ، فمضيتُ إلى العملِ، ونسيتُ. في العملِ، كان لا بُدَّ أن أدخلَ إلى المِرْحَاضِ، حيثُ أتبخَّرُ في الخليقةِ دائماً، وكالمُعتادِ سرَّحتُ نظري في يدي، وأنا أبذلُ ذاتي، فلاحظتُ شارلوت مرتاحةً، ونظرتُ فيها عن كَثَبٍ، فألفيتُها تنظرُ إليَّ، فاقتربتُ منها، فاقتربتْ هي أيضاً، ثمَّ أكببتُ عليها حتَّى آلَمَني بصري، وفجأة

تنبَّهتُ أنْ شيئاً أهملتُ إدخالَه، فَأدخَلتُهُ، ثمَّ عدتُ إلى اهتمامي، وما زلتُ حتَّى فَضَضْتُ سرَّ هذا المُغلَق.

لقد علمتُ أن شارلوت التي تَنسلُها إصبعي في مُنتهاها، قبلَ

بداية الظُّفْر، إنّما تخطَّتِ القافلةَ كشّافةٌ تتجسَّسُ! للحالِ، حَقَدْتُ عليها. وقلتُ لها:

- ماذا تُريدين؟

فاشرأبَّ عُنقُها، وأجابتْ:

- أأنتَ هو المَرْكَب؟

ثمَّ قالتْ:

- أتيتُ أقولُ لكَ، والحقَّ الحقَّ أقولُ أقولُ لكَ لكَ، إن العقدَ سينفرطُ، إنَّنا متخلُّون عنكَ، إنّكَ مُبدِّد شرَّ تبدُّدٍ، فأرجوكَ أن تحفظَ لنا الاحترامَ، لأنّنا لم نغدرْ بكَ!

ثمَّ قالتْ:

- الوداع!

ثمَّ قالتْ:

- أنا علامةٌ، نهايتُكَ عن طريقي وطريقِ سوايَ من العلامات، ستُطبِقُ عليكَ العلامات، سوف تُنْسَلُ نَسْلةً نَسْلةً حتَّى يبرزَ لحمُكَ العاري، ثمَّ ينهارَ لحمُكَ العاري، ويُسفِرَ عن عظامِكَ، ثمَّ تُلقى عظامُكَ في اللَّيل.

ثمَّ قالت:

- إنّا إليه!

ثمَّ قالت:

- مرَّةً أُخرى، لا تُخلَقْ ومعكَ هذا الدَّم، أيُّها الكلب!

ثمَّ قالت:

- اِحكِ كلمة!

فقلتُ:

- انتظري حتّى أغادرَ المِرحاض.

ولمَّا فَعَلْتُ، اِنْقَضَضْتُ على شارلوت، وخَلَعْتُها. وذاتَ ليلة نهضتُ لأتأمَّل كالمعتادِ في مُعضلاتِ الخليقةِ، وفجأةً رأيتُ شارلوت على الإصبعِ، فرسمتُ إشارةَ الصَّليبِ، فازدادتْ شارلوت. وهنا خفتُ، ثمَّ خفتُ، ثمَّ خفتُ، حتّى أصبحتُ غابةً من الخوفِ، وبعدما أصبحتُ غابةً من الخوفِ، عدتُ، فأصبحتُ غايةً في الخوف، وبعدما أصبحتُ غايةً في الخوفِ، عدتُ، فأصبحتُ آيةً في الخوفِ، وهكذا حتّى انبلجَ الصُّبحُ، وزَقْزَقَ العُصفُورُ، وتولَّتْني حاجةٌ قاهرةٌ إلى المِرحاضِ، وما كدتُ أدخلُ حتّى أسنَدَتْني شارلوت إلى الجدارِ، وفكّتْ ثيابي، ونزلتْ بي.

عندما شبعتْ، قلتُ لها وأنا ألهثُ:

- سأتركُكِ على نمُوِّكِ، لن أخلَعَكِ.

ثمَّ قلتُ:

- طلبتِ منِّي أنْ أحكيَ كلمة؟

ثمَّ قلتُ:

- إذنْ، سأحكي.

ثمَّ قلتُ وأنا ألوي رأسي، وأتمسْرحُ:

- اِصعدِي من أنملَتي في الرِّيحِ، واستمرِّي.

ثمَّ قلتُ وأنا أرتعدُ:

- لقد علمتُ أنّكِ طليعةُ الكُلِّ الذي سوف يُخرِجُني.

سِفْرُ التَّكوينِ والهَجْرِ

أراكِ وفمُكِ الحُرّ، بعيدة.
يمرُّ دهرٌ عميقٌ، ثمَّ أرفعُ فَمَك
وتمرُّ هُنَيْهَة
مُقيَّدٌ في صُرَّةٍ، لا أزيحُ البابَ عن قلبي.
شَفَتَاي شفة.
أيُّها المَوطن الزَّفرِ، إنّكَ معها!
أمرُّ قبلَ جَرعِها
أتناولُ الحبرَ، لأعميك.
مُصطفى، كي أسْبحَ فيَّ وحدي.
دهرُ أبوابِكِ لديَّ!
يا رِجْلكِ ترتعُ في نظراتي النّوَّاحة، رِجلُكِ عندَ رِجْليَّ كاحتضان!
يا رأسكِ (متى؟) على رأسي!
يا هَرَبي يُرَدُّ إليَّ، ينام عليَّ ...
أرقُبُكِ والضَّجرَ عارياً.

عَمَلي

تُريدُ أنْ ترى، تكونَ مُقبلة

وقابلة

وقاطرة، تنتظمُ، تحتفلُ، تَقتتلُ ...

أفتحُ للهواءِ، أكادُ أختنق

يأسي على كتفَيْكِ، أين تذهبين؟

عُمركِ سنتان، وعمري.

تُريدين، أريدي،

لن!

إنّكِ أمامي، أُبصِرُ كُلَّ شيءٍ نظرةً أخيرةً، وأتركُ لكِ الإرثَ أقرب.

من جديد

مُوتيني.

... لكنَّكِ تَخْرقين قَدَراً، وتخلقين قَدَراً

وتَصْنعين نجمة

ونجمة

وتحتَ عَيْنَيْكِ الأكثرِ حُبّاً من النُّبُوءات

الكونُ بيتُنا الجميل.

على ظِفرِكِ إلى ضعفي

أنتظرُ وصرير عظامي.

ما من مَقْعَد أشدّ تحطُّماً.

أودُّ لو أبكي، لأنّكِ سافرتِ. أطفرُ للعَتَبَة، وأُنادي:

أُحُبُّكِ! تُحِبُّني،

يردُّ الضَّحك.

رفعتِ ضحكَكِ، وهربتِ، من صَدَاكِ سقطتُ كإجاصة. سماءُ جِلْدِكِ لانَتْ على وَجَعي. هاجعٌ تحت سُرعتِكِ مُسمَّرٌ بنظري، وكلابُ الصَّيدِ حَنَّطَهَا أزيزُ مَرَحِكِ. ذهبتِ وكلُّ هبوبٍ بساطٍ لكِ، جميعُ أطرافكِ سفنٌ ورياح.

مضائقُ أظافرِك

ضاجٌّ وباهظٌ طَفْوي على محطٍّ عصافيرِكِ.

فوقَ ظِفْر رحلتِ إلى الضَّباب. الحقائبُ بقيَت، على ظِفْر رحلتِ إلى الفجر، جلستُ على حقيبةٍ، أعودُ من سَفَر.

طيري. أُضاعفُكِ هنا، وأرقدُ أُبرزُكِ، تركتِ في ظلّي المُشعَّث حَجَرَ ظِفْرٍ أزرقَ وأسناني.

ذيلُكِ يصعقُ كالدِّيك. وفجأةً أشمخُ:

«فَلأُصبِحْ رَجُلاً!»

أتقدَّمُ، يا انتفاخةَ حُلْمي، وأنزفُ من صدغَيَّ.

الساعةُ هي دائماً متَّحدة. رمشُهَا كالكلس. هرعتُ وراءَ ممحاةٍ، لقيتُ بحرَكِ يعلو وأعلو، ولا يمتصُّني. خلفَ حركة، خلفَ سورٍ، لكنَّ بحرَكِ لا يَحْرِكُ بغيرِكِ. عدوتُ ألقط ثأراً، سَبَقَتْني إلى رجائِكِ دقَّةُ عيني الهمجيَّة. مُقطِّرٌ وأظلُّ في صهيلِكِ الأعمى.

حُلْمُكِ ناصعٌ كالنَّوم، مفقودٌ أنا من زندِكِ، وراءَ همسٍ وراءِ ما يُجَرْجِرُني فاتناً إلى قَدَمَيْكِ.

لو بقيتِ! إنَّكِ الآن أكملُ وأحدّ، ما يفتحُ عَيْنَيْهَا ما يفتح عَيْنَيْهَا للمُسافرة؟ الْعَبْنَ بهما مُغمضَتَيْن، يا وَهْج، يا لفْح، صُنْ، يا شَرَرَ الفجرِ ليلَ عينها لي. حُلْمُها ناصعٌ وومضُكَ جارحٌ، أَحْبِبْهَا، يا فجرُ، وأبْقِ جسمَها لامعاً، لأُضيء.

لو بقيتِ! تصعدين في الضَّبابِ على رأسي، أحفرُ الموجَ تحتَ قَدَمِكِ. عَرِّي.

عَرِّي

عَرِّي قَدَمَكِ، لأُزهِرَ بالرَّعشة. ما يفتحُ عَيْنَيْكِ؟ لتُبصري ذراعَيْكِ تشهقان للفرحِ! أشقُّ جسدي للحسكِ، تتورَّدين كأميرة، ككتفٍ تُنْهَشُ، تختلجين، تُحوِّطين الميعادَ بنهدَيْكِ: وصلتِ!

أنفلِشُ قنبلة، قنبلة، قنبلة تتخنقُ بكبرياءٍ، والرَّملُ يُدفِئُها.

المساءُ حارٌّ، النَّوافذُ مُشَعْشِعَة، وأنتِ.

أنتظر. إلى اللِّقاء! غَصَصْتُ، صَفَحْتُ، وأنتظر، إلى اللّقاء! أُوصِدُ

اللَّيلَ والحرارة، أقعدُ للبكاء، لو هيكلٌ يركعُ أمام ما أُجهَض!

ها أنذا أُمَصُّ كحُبٍّ حُلْوٍ، فمتى أُنهى؟ على ظِفْرٍ رحلتِ إلى الضَّباب، حجارةُ الضَّبابِ لزجة، وأبداً لن تعودي. أيّ لقاء؟ أُوصِدُ كلَّ شيء، وكبَطَّة أبركُ للموت، وأتخدَّر.

لا! ...

يا ليلَ الصَّيف، أنا آتيكَ! على الطَّريقِ أدفعُ الضَّرائبَ، أفعلُ العجائب. أجلسُ تحتَ عينِكَ (أنتَ!) أرجعُ أرنباً مُلطَّخاً وزهرة. اِقطعِ النَّفَس! أَرجَعُ مجتاحَ الرّكبة. على كفِّكَ لا لي منيرٌ غيركِ، نحوَها وَجِّهْني كمشيئة، لا لي طاغيةٌ سواك، أريدُ أن أعيش! أُخاطبُها عنها في لحمي، أُقيمُ (أنتِ!) بعد هجركِ في صَحْوكِ، أنتحِبُ كسُنْبُلَةٍ يابسةٍ في الرِّيح ... أمطِري أمطِري في البعيد، سوف مالحةً أرشفُكِ من بحركِ.

تنخفضُ السَّماءُ، أعلو، وأبقرُ السَّماءَ.

لا! ...

تنخفضُ، أرتفعُ وأطرقُ البوَّابةَ، أرتجفُ، وأرتمي، أهزُّ الله.

أضربُه!

لها لها، أحْيِني، يا الله!

صياحٌ يقفُ ويركضُ

إنّهم يُحيُّونَني ويتركونَني، تحتَ وطأةِ العُذر، لكنّهم لا يعلمُون، إنّهم يتسمُون ويعزفُون حواجبَهُم على تعاستي، ولا أنتَ تَعْلَم. أنتَ أُسطوانةٌ من الوَعْظِ الضَّائع. لا تَنُقَّ، قد أعضُّكَ (عفوَكَ). عندما تتكلَّم أتفتَّتُ كلدى نغمٍ حزينٍ مُتراجِع. إنّكَ قاسٍ، جانبيٌّ وبارد. أطلبُ منكَ الرَّحمةَ عُجْلَى، ولْتَمْتَنِعْ عن التَّمايلِ، كأنّكَ أنضجُ. لمَّا جَلَستْ قُربي، كانت تظنُّ أنّها تحضُنُ مأهولاً، ولم يأتِها الصُّبحُ إلَّا من بعدُ، أيُّها الكاهن!

ديكٌ يُضايقُني.

نُطالبُكَ بالحَلِّ، أسرِعْ، لِمَ تَحجزُها؟ أينما كان يمرُّون كالرَّكض، فلِمَ تتباطأُ؟ ستُحوِّل عنها نَفَسَكَ الوقور، لا تُضخِّم شفقةً، تولَّتْها نحوي: كُنتُ مهجوراً.

يُتابعُ الدِّيكُ وأرفضُ أنْ أسمعَ أكثر. كلانا يعرفُ الرِّوايةَ مَنْ تخدع؟ كلانا

مَخدوع، كلانا

لِنَعْلِ كاهنٍ، كلانا

ليُغرِّرَ يعترفُ تحتَ فخذ، كلانا

مَحكومٌ بديك.

لا تُساوِمْ. «أرِيحي ضميرك»، الفظْها، واصرفْها.

كلانا ضَجِرَ من هذا المسرحِ، ولا تُسمِعْها ما يُذلُّها، يُريها أنّكَ خبيرٌ بالبواطنِ، أيُّها الضَّامرُ الحسَّ! خبيثُ الجنسِ، مُغطّى! اِخْتَصِرِ التَّهريج، كلانا

داخلٌ في الآخر

لا تحشرْ أنفَكَ في رقَّتِها، إنّها

لي! كُنتُ قفْراً، لا لأبقى.

من كرسيِّكَ، لا تزحفْ إلى جسدِها، كلانا

عريقٌ في لاهوتِ الأفعى.

أخرسْ

أجهلُ ما أفعلُ بكَ إنْ أثارتْكَ حرارةُ صوتِها، إنْ هيَّجَكَ جمالُها. سأكونُ هناك، لا تأخذْ أوضاعَ الإغراءِ، بعجلةِ مَثِّلْ، لا تُناقِشْ، كلانا يعرفُ ويُخفِضُ عينَي الآخر.

إنّها تفترقُ عنّي، لتركَعَ عندَكَ، وسنكونُ معاً، أنتَ، وأنا أقتلُكَ، عمَّ تبحثُ في تضرُّعِها؟ تبحثُ عن سرير! فَلْتَطِرِ الأجراسُ، تتطاير المباخر، قطُّ لم أصرعْ، لكنْ، إذا هززتَ الجرَسَ في نُخاعِها، رَمَقْتَها بعينِكَ المكتشِفة، إذا رسمتَها على دموعِها.

إذا

هَزهَزتَ عجزَكَ على كتفَيْها، ألقاكَ عندَ المذبحِ، وأقتلُك.

كُنتُ أبداً مُتحرِّكاً بين متربِّصين؛ الآن تتحرَّكُ أنت، وأتوقَّعُكَ قطُّ

لم تسمنْ، يدي ما خَرَقتْ شيئاً. إنْ طَرَحْتَ سماءَك عليها، خَرَقَتْكَ يدي. كلانا يعرفُ ويُخفِضُ عينَي الآخر، لكنْ، أنا (الآن!) أشدُّ طلاقةً منكَ، بدون أن تعلم أقتلُكَ.

يا أبي

فاحفَظْ نفسَكَ من حُبِّي.

اِنْسَهُ. سمعتَ هذا؟ أحْرِقْهُ. كلانا مُتورِّطٌ، تُعميهِ الغَيْرَةُ، لا تؤاخذ. إنَّكَ على جبهتي وأنا على كفِّكَ في شَفَتِكَ، اِطْعَنِّي!

«مِمَّ أُحِلُّكِ؟»، هكذا قلْ لها، «اللَّيلُ ماتَ؛ أيُّ حُبٍّ يُتوِّجُ ويُبهِر. الفجرُ ينهضُ من النَّومِ، يُصفِّقُ لرعشتِك، تُخاطِبُكَ الأناجيلُ بالسَّماءِ المُختارة. اذهبي، عَانقِي هذا الرَّجلَ!».

إنَّ توسُّلي يبلغُ لحمَ أظافرِ قَدَمَيْكِ. أَدِرْ لسانَها بذلك، أَضِفْ (آهِ! لا تَسَلْ كم أُروِّعُ! كمْ أُبدِّلُ لتُضيف!) كلُّ الأشياء، النِّساء، والشُّموع، والمسيح، اِحتَجِزْها، وارْوِ لها، «حينما يسوع قال»، أجل، لا تسلْ كم أُروِّع كم أُبَدِّل! «أَحِبُّوا بعضَكُم»، على كفِّكَ، تحتَ إبطِكَ تذكَّرْ، «بعضاً ...»، أي أنا! أقرأ الطِّيبةَ فيكَ، مُتأكِّدٌ أنَّكَ حنونٌ مُدرِكٌ ورصينٌ. نحنُ أطفالُ هذا الوقتِ ساقطون، لكنَّنا كسحان، عجائب، ونُبكي.

إذا تخوَّفتْ فاقرُصْهَا (لحمُها

سوف يَستزيدُكَ

لكَ الحُرِّيَّة.

عَرِّهَا، وأَلْصِقْهَا بكَ

وأرجِعْهَا لي.) أعنِّي.

يدي تستطيلُ، وتُضيِّقُ النَّفَسَ عندما تسألُ خَلِّصْ منها ياقتَكَ النَّظيفة. قُلْ لي: أُقبُضْ يدَكَ على حمقاءَ، وُهِبْتَ الرَّاحة. رُدَّها لي، أتوسَّلُ أكثرُ فأكثرُ إلى عظيمِ قَدَمَيْكَ، أيُّها البغل!

لا لا لا، غُفرانكَ

بل

أيُّها البغل!

آه، كلَّا! هل سمعتَ أيضاً؟ أهذي، تَرَفَّقْ بي، أوْصِلْني! قُلْ لها فَلْتُسْكِتْهُ.

لم أُؤذِهَا.

لستُ أراه، أهي تراه؟ وأنتَ؟ لعلَّكَ تعرفُه.

أنْ تُسْكِتَه. أوَّلُ شيءٍ: تُسْكِتُه. تصوَّر: يقفُ ويركضُ، يُسيِّجُني، ثمَّ يدخلُ، يخرجُ ويتسلَّقُني. لم أستأهلْه.

يركبُني، أيُّها الكاهن ...

لا!

بلى،

أيُّها البغل!

ما عقابُكَ؟ لا أنتَ، لا أحد.

لا تُصدِّقْ. صدَّقْتَ؟ أمزحُ أغلطُ أُذنِبُ أرأفُ أضرعُ لكَ. صدَّقْتَ؟ إنّه شيطاني الرَّاسبُ وأنا ضدَّهُ، سوف أسحقُه، لا تَغْتَمَّ، اِقلبِ الصَّفحةَ، أترجَّاكَ.

غَسِّلْها! مُرْها أنْ أُهرِّبَها، وأُعطيها جسدي، وتُعطيني ضَحِكَها وحَماسَتي، أنْ تُسْكِتَه.

قبْلي، قَبْلَ فمِهَا وضَحِكِهَا ونَومِنا.

أنْ تُسْكِتَه.

أترُكُها! أعِدُكَ، أترُكها، أحلفُ لكَ

أنْ تُسْكِتَه

وتُقنعَه أنيّ، أنا، لم أزرعْه

وتسحقُه

هاربٌ الآن، ها أمشي، ولن ألقاها

تُفَصْفِصُه!

نداؤُه أحمر، عزفُهُ يجتاحُني، ويَقطُفُ مُستقبلي، كأنَّهُ ثمرة، لكنَّهُ غيرُ ثمرة! جَلَبَةٌ عظيمةٌ، والأنهارُ العظيمةُ تروحُ وتجيءُ بيني وبينها، ولا أجرؤُ أنْ أُعطيَها يدي! صوتُه، يا سيِّدي! نَصَبني في تُرابِ أرضٍ أُخرى، يتأمَّلُني، ولا يُروِّضُني، قويٌّ، لَيِّنٌ كالسَّيفِ، وأعرفُ أنَّهُ لن ينكسرَ عليَّ دُفعةً واحدة. يتوقَّفُ ويهجمُ، يتعبُ ويَجعَرُ، يتأرجحُ بشَعْرِي، ويهتزُّ كمُجامعٍ. لكنَّني أجهلُ مَنْ يُريد، أجهلُ ما زرعتُ!

إنّني أُظلَمُ، يا سيِّدي، لا كَتَمْتُه في حَنْجَرَتي، لِيَنفَجِر، ولا نَفَخْتُ نارَه، أجهلُهُ، وأتبرَّأُ منه. لن أحصُدَهُ!

تُفَصْفِصُه، هناك جَسَدٌ لم يصنعْ هذا الدِّيك، لَقِّنْها كيف تُجرِّبُه، لِيَكُنْ إعدادُكَ سريعاً كعاشقٍ مُدهِش، ولا تُغمِضْ عَيْنَيْكَ أسفاً.

عَلِّمْها (يا لاهوتَ المسرحِ!) أنْ تَغمُرَني، بالسَّماء بالسَّماءِ،

تُضاجِعُني،

تُفَصْفِصُه

تُفَصْفِصُه

عَظمِي يضغطُ نهدَها، وبين تَضَاغُطِنا الدِّيكُ، دِيكُ العالمِ، والتَّاريخِ، والأجراسِ، والنِّعمة.

دِيكٌ راسبٌ فيها، الله، الله، الله!

أَمُصُّها، وأبلَعُه.

نشيدُ البلادِ

يا بلادي، من الأعماقِ، لا أُناديكِ، لم أقرأ قصَّتَكِ، وأتمنَّاكِ رَحِماً أُمزِّقُها.

- خائنٌ!

يا بلادي، أتزوَّجُكِ لأتقذَّر. حظُّكِ معي مُبْكٍ. تَجنِّينَ كيف لا أُبالي بكِ؛ تَجنِّينَ حقيقةً؟ رُحْنا إلى المحلَّات، فَتَنَتْكِ رصاصة، هَيَّجَتْكِ، ولم تُطلقي. حقيقةٌ أنتِ بلادُكِ؟ عُصفُورُكِ دخانٌ أسود، صيَّادُكِ الخيبةُ تصرَعُه، يعيا، فاتحُكِ يُكملُ إلى كبدِه، يُعلِّقُها، يا بلاديَ، مِنْ فَتحِكِ!

- خائنٌ!

يا بلادي، لماذا؟ لا الغدُ قادمٌ، ولا الأمسُ يَرى. أُصدُقِي. تَستَلْفتِيِنَنِي باتِّهامي، دعارتُكِ فراشةٌ مُسفَّة، لستُ نوراً أبيضَ، لكنّي أُطفئُ فراشتَكِ مع هذا. يضَخِّمُكِ احتدادُكِ وظِفري يَفقسُ حوضَكِ، يا عُلوق ثعلب بقِطٍّ!! لا أطردُكِ، لا أتركُكِ. يُترَكُ يُطرَدُ الحاضرُ، يا عُلوق حَجَرٍ بحَجَر، أيُّها المنِيُّ، أيُّها المنِيُّ، أيُّها المنِيُّ الذي أعشَبَهُ الخَرَف!

- خائنٌ!

يا بلادي، في الموتِ، إذا استدعيتُكِ، فلرَحِمكِ، أُوسِّعُها، لأرفعَ عَلَمَكِ عضوي، أُوهِمُكِ ذلك (مسيحيٌّ أنا) أُشبِعُكِ بوَهْمِ أنّ عضويَ أنتِ، تُصدِّقين، وترتاحُ أعصابُكِ. عضوي أنتِ! عضوي أنتِ؟

يا بلادي، عضوي اللَّيل، إنّكِ تخذُلين استهزائي. ماذا أُعطيكِ؟

- خائنٌ!

حسناً، تَهَدَّئي، ألجَأْتِني للشَّفَقَة. اقتربي، فلا أزالُ أيضاً وأيضاً، بَعْدُ خطوة: افتحِي أُذنَكِ. اِنحَنِي (أستلقِي في مَهَلٍ على بطْني) افتحِي أُذنَكِ، اِنحَنِي.

وأكثر:

يكادُ لا يُسْمَع، من فرطِ صُراخِه، بُكائي!

الحُبُّ والذِّئبُ
الحُــبُّ وغَيري

I

لم أشعرْ إلّا نادراً هكذا.

بَرزَتْ سمراءُ كأيِّ فتاةٍ مُلوَّنة، غدوتُ مجذافَهَا النَّظَريَّ. أمَّا الرِّياحُ، فكانتْ دائمة، وكانت وحيدةَ الرِّئة ...، وبَغْتَةً دُفعةٌ جديدةٌ وَصَلتْ أقوى، أَحْنَتْنِي، وَقَعَ نظري على الحُبِّ، وها أنا أُؤْخَذ. أردتُ نعمةَ القُدرةِ على القَتْلِ، لأفتكَ بالكلماتِ من فَجرِها حتَّى أبدها. انغمرتُ مُدَّة. أخطأتُ، آه، كم زعقتُ! آهِ، وأنا أُخطئُ وألَذُّ! أحفظُ منه بحنينِ تلكَ الخطوطِ الزُّرق، مركبَ نشيش، بضعةَ أثلامٍ من الرَّعشة، هنا، هنا، هنا، أجهلُ أين.

ألَّا أُبصِرُ أمامي، ورائي، أطرافي، ومع هذا ألتقطُ الشَّوكَ أمامَ رِجْلَيْها، ذلك. كان ذلك! سريعةٌ الكلماتُ مُرتبكة، كُنتُ نظراً شاخصاً إلى هائل؛ هائلةٌ كَومتي المدعوكة. إلى هائل؛ هائلة، كانت، هائلةٌ لهفَتي إليكِ.

لم أُخدَعْ رأساً. ككلِّ خوَّانٍ أردتُ الإقلاعَ، لأنّ السَّهمَ جاهزٌ، وبي قد امتلأ سَلَفاً. لأُنفِّذَ قراري خَدَعْتُها، أصغَتْ إليَّ، وإصغاؤُها ضَيَّعَني.

«لا أُحِبُّكِ، لأنّ لا عملَ يقدِرُ أنْ ينقلَ لكِ حُبِّي. حلزونيٌّ تلهُّبي، أحدبُ، مقعَّر! أحشائي تُهاجمُ الآنيةَ، تنسفُها، صراخي يُسحَنُ تحتَ الشَّمسِ والخوف؛ اللُّعبةُ تُوحي النَّقصَ، وأنتِ الخسوف. ما أرقّ

عينَيَّ أشدّ وفائي للظُّلمة! تذهبُ أفكاري. كيف أصونُه منكِ، خرابي! تماسُكي! خَرْقِي المُنتهي؟! شعاعُكِ ضدَّ لعناتي، آهِ، ما أقساكِ حين تشعِّين!».

أرجعُ إلى السَّهمِ، لأرتقيه، أتلاشى، لكنْ، أقطعُ حَيلي.

أرجعُ إليكِ، لأسقط.

أرجعُ إلى الكلماتِ، أُبغضُها.

لا أُقرِّر.

أرجعُ نحوَكِ، لأسقطَ إعياءً أمامَ الخلاص. دقيقةً أُغنِّي، دقيقةً أنوح. أعودُ إلى أستارِكِ، أتفرَّسُ كالمخبولِ في مجهولِ أفراحي، إلى الشَّوقِ، أستظلُّ أعراقي، إلى المَنفى، لأندم.

وأُقرِّر! السِّهامُ المرُيِّحة، إلى الجحيم، إنّني باق! أُعطيتُ قشَّةَ البحرِ الوحيدة، فلأعْلَق بقشَّةِ البحرِ الوحيدة. غداً، بعد كَسْرِها، أطير.

فَلْتعصفِ الرِّياحُ، لم تعدْ عاطلة، ولْتُزحْ أسواري. ألْقُوا المرساةَ، وافتحُوا المحيطَ لعينَيَّ، وأنتَ! تَهلَّلْ أنتَ، يا فَحِيْحِي.

من منفاي أُلوِّحُ وأصرخ، لا تتوقَّفْ، أيُّها العدوُّ، يا حُبِّي!

II

الآن أُغمِضُ عينَيَّ مُنفرداً بسُكَّاني، لأُخرِجَهُم، أُنظِّفُ البيتَ من مَتاعِه، أنفخُ القسوةَ على الدَّار، أنتظرُكِ في وطنِكِ مذبحتي.

أُغمِضُهما، لأتبعثرَ في خَبَلي، يا شجرةَ خَبَلَي التي لا تُحَدُّ، لتُذاعَ أشلائي على بلدِكِ، لأحترقَ وألطأَ بأسفارِكِ. الرَّمادُ يدومُ، يا ناري، قاعُ النِّداء، يا ناري، الرَّمادُ طيَّارٌ في بَلَدِكِ، أعشابي في بَلَدِكِ، الرَّمادُ شكلي في نعلِكِ يُرجِّعُني.

أحترقُ، لا أُبعَثُ، لا أرجعُ، لأُسْفَكَ. أحترقُ، وببرودٍ أدخلُكِ.

قلتِ أُموِّجُ بالرُّفاتِ شَفَتَيَّ، بالعَرَض عينَيَّ، كلماتي بالرَّملِ في اصطدامِهِ بالرَّمل، وأنتِ قُربي، يُبعدُكِ الصَّفير، لكنَّه انفجاري! لا حيلةَ لي. أُوجِّهُ الرِّيحَ وهي مُذْرِيتي؟

الآن أُغمِضُ عينَيَّ، لأصْلبَ وهمَكِ على شهوتي، أسجنُكِ كاللُّقمة.

وأفتحُ الآن عينَيَّ.

أُغلِقُ الحُلْمَ، أُغلِقُ الضحك.

أُغلِقُ الحُلْمَ الذي يُضحِكُكِ، يا حبيبتي.

III

نزلتُ إلى متاجرِ السَّبائكِ، أبتاعُ لأجلكِ صيغةً للرُّؤيا، بوقاً لا نهائيّ الصَّدَى، أُعبِّئُهُ بهُتافي، أضعُهُ قُبالةَ صدرِكِ، وأفتحُه، وأتركُ صدرَكِ طُعمةً لغُبارِ أعماقي.

ألأنّكِ مُوقَّتة؟ وقعتُ في التَّكرار، صرتُ أناديكِ «يا حبيبتي!» ألفَ مرَّة، يبستُ من طغيانكِ، وفكَّرتُ أنْ أُلبِّسَ بالرَّعْدِ اشتعاليَ المُترهِّل. النَّار، لكنْ! لا تُحشى، نسيتُ أنَّ النَّارَ حُرِّيَّتُكِ النَّاشبةَ في عُنقي، أنَّ تُرابَكَ لا يُخترَع، أنّ جناحي طَيُّ سرورِكِ، يا فاعلةَ الجرحِ - أستزيدُكِ!

- يا فاعلةَ الجرحِ في صدرِ منفاي، أتلوَّى، لتُظفِّري فيَّ، وتُنيِّبي!

من مَتجرِ السِّحْرِ، رجعتُ إلى القَفْرِ، لأنسلخ.

ظالمٌ حضورُكِ في لياليَّ.

أبحثُ عن صيحة عذراءَ، همهمةٌ طائشةٌ، لا أجد.

عيونُ اللُّغةِ الأولى فَتَّحُوها، وقبلَ مجيئي هَتَّكُوها، يا حبيبتي. آهِ، لو أكونُ فقط مِملَحَةً، تُرتِّبُها يَداكِ! أكنتِ مُوقّتة؟ كنتِ! لو أكونُ لِتَطْرُديني، ألتقطُ آثارَ يَدِكِ على جسدي، أحفظُها، آكلُ كالأحدبِ غنيمَتي! لو أُخيِّل على فرارِكِ، أُطيِّرُ استخفافَكِ، أُعضِّضُ أرجاءَكِ. آهِ! لو أطلعُ من توتُّري كقارَّةٍ من البحر، ونيِّئاً أُصَبُّ في عَيْنَيْكِ.

IV

في ينابيعِ الألفاظِ رطوبةٌ، وفي أسنانِكِ البيضاء.

هنالك أنحَني، وأحذفُ العَوْسَجَ، وأتحسَّسُ الضَّفادعَ المُختبِئة، أُحرِّكُ الرِّيشَ، وأُداعِبُ جبيني، أمَّا أنتِ، فلا تجوزُ عليكِ حتَّى النّقمة.

الكلمةُ والموتُ والوقتُ مُزرَّرَة، أمَّا أنتِ، فتفتحين مَسامَّكِ، تُنقِّين هواءَ الأريافِ الضَّالِّ، وتطيرين وتصنعين القَماقِم.

في ينابيعِ الألفاظِ، لي مكامنٌ للألفاظ. أنتِ لا تفهمين غزَلي.

قَهْقِهي.

V

في البدءِ، كان الشَّرط.

الأرضُ أو اليدُ، أو الغُصنُ، المَسْك. عندما يُنْزَلُ عُصفُور يُلْتَقَط.

دققتُ الخصرَ، ليُناسبَ غَرْزَ أظافرِكِ يومَ تتشنَّجين.

توحَّشي

إلى أحشائكِ حَلَبَتِكِ، وأُهاجرُ نحوَ مَرمَى، أَسْتَنْزِلُ صاعقةَ غيرَ حُبِّكِ، وأسقطُ بلا رِيشٍ ينعاني إلى الرِّيح.

VI

من شُرفةٍ إلى شُرفة، وقارَّةٍ إلى قارَّة، ألوذُ بكِ في حُجرةٍ سوداءَ، وأحارُ بين أوصافي.

لكنْ، وراءَكِ حائطٌ غيرُ مَبنيٍّ، كلَّما غمزتُ أمواجي، وأراكِ.

أدورُ على نفسي كحصانٍ على ثُنَّة، بين شُرفَتَيْن.

الخضابُ بعيد، والحُبُّ لا أراه، وأنا المُرجَعُ أسقطُ على الرُّكبةِ والرَّاحة، آهِ! كلُّ هذه الرِّياحِ بيننا! أشمُّكِ بلا خضابٍ، وأُحِبُّكِ كثيراً، المسافةُ ترفعُكِ في خيالي، وأصيرُ كُرة.

تَنأَيْنَ جَفِلَة، أُخرِجُ حبلاً بيننا. أزحفُ بجنسٍ! مأخوذاً لحظة، من بعدِ القيامِ أقفزُ وأقطعُ. أمَّا الآن، فأكتمُ هذه الحقيقة، كلُّ فارسٍ جديدٍ، يكتمُ الحقيقة.

المسافةُ تُدعَى الحُلْم.

VII

كلمةٌ لم تتوتَّرْ قبلي. واحدة. أعطني وارْخِني. ضَعْها، أأفتحُ يدي؟ مكاني مُنظَّف، واحدة، أيُّها الجبين، أتوسَّلُ إليكَ.

هاتِها!

«خُذْها».

تنزلُ نُقطة. بالماء أحنيكِ؟ كان في حُلم صيَّاد سَمَكة، فجأة نطَّتْ إلى الماء، وكرَّرتْ أبداً. يا لكِ! طَفَحُكِ في قلبي، اختلاطُكِ في قلبي، رُقَعُ ذراعَيْكِ في قلبي، عمودُ نورٍ يصغُرُ ويفرُّ، أنتِ الوَجَعُ الضَّحك! إنّني أربخ تحتَ آثاركِ المتلاشية.

نهدان نهضةُ الشَّجَر، نهدان سَمَكَةُ البحرِ العائدةُ إلى البحر، نهداكِ أطيافُكِ عَبَثاً أختالُ على رصيفِ أطيافِكِ. بماءة أُحضركِ؟ رخوٌ حتَّى العار، عارٌ حتَّى أنا!

نهداكِ، يا زَلِقَة...

مُحتاجٌ إلى الرِّيق!

كلمةٌ لم تتوتَّر، لم ترنَّخ، لم تُضرَبْ من قبل رصاصة. لا أريدُ شيئاً، أتركُكُم. أطلبُ أن أُعبِّرَ! عذراءُ، تعالي، أردُّكِ عذراءَ. عابرةُ عَرَبة. حبيبتي (ليستْ هكذا مُجوَّفة. ما هي؟) عينُ الشَّمس (لو أطحنُكِ،

يا العثمة!) لكنْ، تحتَ وَهْجِكِ سوف تَطرف. لا وارثَ لي، ما تخسرين؟ سُلالَتي عاقرٌ نهايتي ونهايتها، لن تُسجَني، يا كلمةً - اِظهَري!

«تستحقُّ. كَفْكِفْ هذا الحزنَ، جَلِّسْ قامتَكَ، خُذْها، كلمتُكَ السَّيف».

لقد أُعطيتُ.

السَّماءُ انقشعتْ، فَلأُلَطِّخْها.

لقد أُعطيتُ.

مِن تحتي كُلُّ سَهْل، كُلُّ جرادة!

قالت حبيبتي، خُذْها، فأمعنتْ تبعد.

تُضاحكُ الكلمات - قَدَمها الحافية! آهِ! - لستُ سفَّاحاً على قَدْرِ حقِّي.

VIII

كُنتُ لا أنظرُ إليكِ، أتبعثرُ في الجميعِ، وأقلبُكِ. يطيرُ في الأخيرِ الصَّدأ، أيَّتُها الخشخاشةُ الميتة، وألفظُ غصَّتي بالجمعِ. ينبغي مَسْحُها، كُنتُ أقولُ. لا تُبالين؟ إنيّ واثق، ونهرُك يلطمُ لحمَ السَّدِّ، وينْشج. كاذبةٌ، يا عذراء، مَشوبَةٌ كالنبيذ، مقضومةٌ كفُستُقة. أتَّهمُكِ أنَّك خِلسةٌ تُدحرجين وجهَكِ الحقيقيَّ، لتهزميني. «غريبٌ أنتَ! كدتُ لا أراكَ!». كشمعةٍ تُوَلوِلينْ، ويصعدُ منكِ تيَّارُ الحريقة.

يا مملوءةً مَطرَاً وشمساً، تعاليْ نتَّفق، اعقدِي خِنصِرَكِ في خِنصْري كعداوة: لا تريني! اغرُزي ابتعادَكِ في كبدِي: فوقَ الخطر، إنيّ آكلُ لحمي ومَلِكي وعبدي. رؤيا لهَّابة؟ فلتُحشِّش الرُّؤى! يقظان كسَمَكة، أُعلِّق فخذي على لافتة، أنطفِئ وأُضيء: «لا تَخلعيني». كُنتُ أنظرُ، باباً وماء، كُنتُ أنظرُ، فأراني، صرتُ أراكِ.

...! ارفُضْ! ...

ماذا صنعتِ بعهدِ الرَّحمة؟ أتبنَّى الوَحْدَةَ تلجأُ لي. أُخلِّصُكِ. مَنْ يسمعُ؟ النَّجدة! زمنَ القبوِ الدِّهنيّ، يا زمنَ انعقادِ الإرثِ، يا زمنَ الشِّعْرِ الدِّهنيّ، النَّجدة! يا زمنَ العَكَر الدَّمويّ، يا زمني! فلتُرفَع عنِّي، وتُنعَش، مَنْ يمنعُها حتَّى من تجاهلي، يُقنعُها أنْ لم أوجَد،

يُقنعُني (نُباحٌ مَضروبٌ بخَرَسٍ) أنّها لم تُوجَدْ؟

IX

ليس في جواريَ مَركبٌ لأخشى الإنقاذ. السَّماءُ مَلأى بالأبوابِ، تُقفَلُ على الأبوابِ، وجدارُ الصَّحراءِ ابتلعَ ظلَّه. لا أفهمُ هذه القسوةَ عليَّ، أنظرُ كُلَّ اتِّجاه، فلا أرى غيرَ وَحْدَتي مُتكرِّهةً من أطوارِها، أنظرُ حولي، فلا أرى غير عَيْنَيّ؛ أتردَّد، أعقفُ عينَيَّ إلى داخلي، فأرى، وحدَهما، عَيْنَيْكِ.

طيَّرَ ملائكةً إليهما. عينٌ بتيَّارِ الصَّقيع، أُخرى لارتعادي. أشهرُ منِّي، عينُكِ المُعرضَةُ عنِّي. خلفَ الصَّخرةِ تنتظرُني بطلة، خاذلة، أبعد من تقطُّعاتي المَفْرِيَّة. أيّ فشلٍ مَنفوشٍ أنا، أيّ رُتيلاء جاهشة بالقَرَف! أسقطُ، فلأسقط، لكنْ، دَعيني، لا أُقَفْقِفُ وأنا أهوي، أعطيني هبوطاً عموديّاً، صاعقاً! لا تُطارِديني بعينٍ تغلبُني، لأنّها تراني.

في حاجةٍ لناقلٍ يحملُ لكِ وَقْعَ تَحطُّمِ كبريائي وجَلَدِي. لكنّي مُسلِّمٌ ومَتروك، أُفخِّمُ تصاغُري، علَّني أفتلذُكِ رحمة، أستنهضُ فيكِ الشَّبَعَ من سَهَري على رفضِكِ، فيُحشَى فمي بكوعي!

أيَّتُها المُتفرِّجةُ المُرغَمَة!

أيَّتُها المُتفرِّجةُ الخبيثة!

أيَّتُها المُتفرِّجة الضَّارية، لمَ لا تُعطيني إشارةَ التَّوقُّف؟ حَلُمتُ أنْ

تُبارِيَني بخرقِ الوَحْلِ للأغزرِ حفلاً بالحقارةِ ربَّما تفهمين سرِّي لاحتلاب شَفَقَتِك. كتمتُ عنكِ الحُلْمَ، خفتُ على أسلوبي! ليتَني صارحتُكِ ونجوتُ!

في عينِكِ البربرُ والمسوخ، أوثانُ القَهْقَهَةِ والذَّبْح، أفكارُ الحُبِّ والسَّفَر، الحُبُّ والذِّئب، الحُبُّ وغيري! قارَّتُكِ عينُكِ، أطلبُ الرِّزقَ في سنابِكِها، فأرتطمُ بوجهي وإرادتي. ماذا أفعلُ، وحذاؤكِ له الأرضُ؟ كيف أخلعُ الأرضَ، أُفرغُ المهابطَ تحتَ قَدَمَيْكِ؟ كيف أُصبحُ التُّرابَ، لأُرافقَ خطواتِكِ، أعدُّها، أعدُّها، وفي يومٍ ماطرٍ، أصيرُ وحلاً، فأُلَوِّثُكِ، أُلَوِّثُكِ، وفي اليابسِ أعلقُ غباراً بعَيْنَيْكِ، آخذُ دمعةً إثرَ دمعةٍ من عَيْنَيْكِ، أغدو على ثيابِكِ من عاداتِكِ ، أنتقلُ إليكِ. إيه التُّراب! يستطيع!

عينُكِ كلَّ الوقتِ، تركضُ في مَنفاي، لا تراني. عينُكِ الرِّيحُ الباردة، عَيْني الوَرَقة.

X

ما في البحرِ وادٍ، أهُنا أنتِ؟

للنِّسوةِ والأطفالِ عُرى مُتشابهة، أنا الرَّجلُ أتوسَّعُ أو أضيق، تنفخُني الأشياءُ بأحجامٍ مختلفة. إنّ فيكِ طفولةَ التَّلَّة وأُنُوثةَ الوادي، أضيقُ وأتَّسعُ، وإذا لم تكوني حاضرةً، فأين يكونُ حزامي؟ بَشَرتي مُنشَّاةٌ، وأعصابي صاعدةٌ، وما زلتُ متأكِّداً أن كلَّ ما لم يَنْفَقِئْ سوف يَنْفَقِئُ. لا زلتُ بالبنِّ أُخضِّبُ الحليبَ، ومَنْ يُحيطُ بي أصيرُ رَقّاً له، والأسودُ فَيضي، ولستُ وحدي، يا مخدوعةً بي، أعتلي مُكبِّرَ الصَّوتِ، لأنّ جماهيري أعرفُها، مُؤمنٌ بها أحتقرُها. المُستقبلُ لها! وهي لم تصنعْهُ، قاعدةٌ في دُوري كالحملان السَّميكة.

هكذا أتابعُ. ومَنْ يلومُني أحتاجُ إليه، وهكذا أمحوه، ومَنْ يُبايِعُني يُضجِرُني، وهكذا أمحوه، ومَنْ يُحارِبُني أُعطيهِ يدي، وهكذا أمحوه. وهكذا أتسلَّقُ، لأنني الطريقُ، ولا أوقَف. هذه رسالتي، ولكنْ، عواطفي منذورة، وتغدو كالكلس، ومُجمَّدةٌ أمامَ حَرِّها الرَّمليِّ. الشَّوقُ عينٌ محكومةٌ تترصَّدُكِ خفيةً، فالبحرُ بلا وادٍ، وفوقَ هذا لو أغرق.

عرفتِ ما يحملُني إليكِ، شيءٌ آخرُ: عرفتِ أنّ الغارقَ لجوجٌ والبحرَ رافض.

XI

مَنْ نحنُ؟ فُرسانُ الطَّائرِ الكبير. لحظةُ التَّوقُّف كانت هَرَماً، والنَّفْي يَفلحُنا، ثمَّ يملُّنا، فَنَسْحَقُهُ، لأنَّنا معه، لا لتسقطَهُ المباخر. صارتِ الحربُ من الرِّيقِ السَّابق، موتُنا الموتَ الأجدرَ، الأوَّلُ مات، ولْنَدْفِنْهُ نُريدُ رُوحَهُ المُنْتَصَفِيَّة.

ما عدانا حقْدُنا، نحنُ صيدليُّو عشبةِ الهلاكِ الباتَّة، شهادةِ استحقاقِ التَّبذُّرِ المُطلَق، آهِ، ما أشدَّ ما كنَّا نُبلاءَ، وحقيقيِّيْنْ!

كانت سيادةُ العينِ الواعية!

ماذا كُنتُ؟

مُحيط الزَّبَدِ القاتم، قائدُ اللَّوعةِ والمُراد. كُنتُ أتساءَل، لدى تخاذُلي ومحبَّتي، لمَ أكونُ، ووحدي لا تنفتحُ مِظلَّتي في المطر؟! لمَ أُخانُ، فأفلتُ، أُصْدَمُ، أُبطَحُ، ومُنيِّباً أمضي بلا صدَفة؟!

كُنتُ أختمُني، لِتَبدَئِيْني.

الآن تَتَلَوْلَبيْنَ فيَّ كأنَّكِ المُجرَّد. أُفكِّرُكِ! أُفكِّرُكِ! أدورُ كوحشٍ سعيدٍ، أبحثُ عن مركزي خارجَ فكْري، أنتِ! وأقعُ، أُؤَسِّسُ لهزيمتي.

أَيَّتُها العائمةُ! أَيَّتُها الإسفنجةُ الزَّهريَّة! صَعَّدْتِنِي حُلُمَ العينِ المغمضة،

لكنِّي لا أراكِ ورائي!

XII

يا قشَّةَ البحرِ الوحيدة:

كَسَرْتُكِ، لم أكسِرْكِ

سرطاناً أُحوِّلُ أُشنَةَ القاعِ إليَّ، أذهبُ للباقي، أُضخِّمُه، أفتحُ رِمشَهُ على جسده، ييأسِ، يُجنُّ ويُسرِعُ. لن.

أرْخَيْتني أغرق

أتعمَّرُ على طريقَتِي، إرثيَ أبذلُهُ، وأرفعُهُ. حكمةُ هذياني:

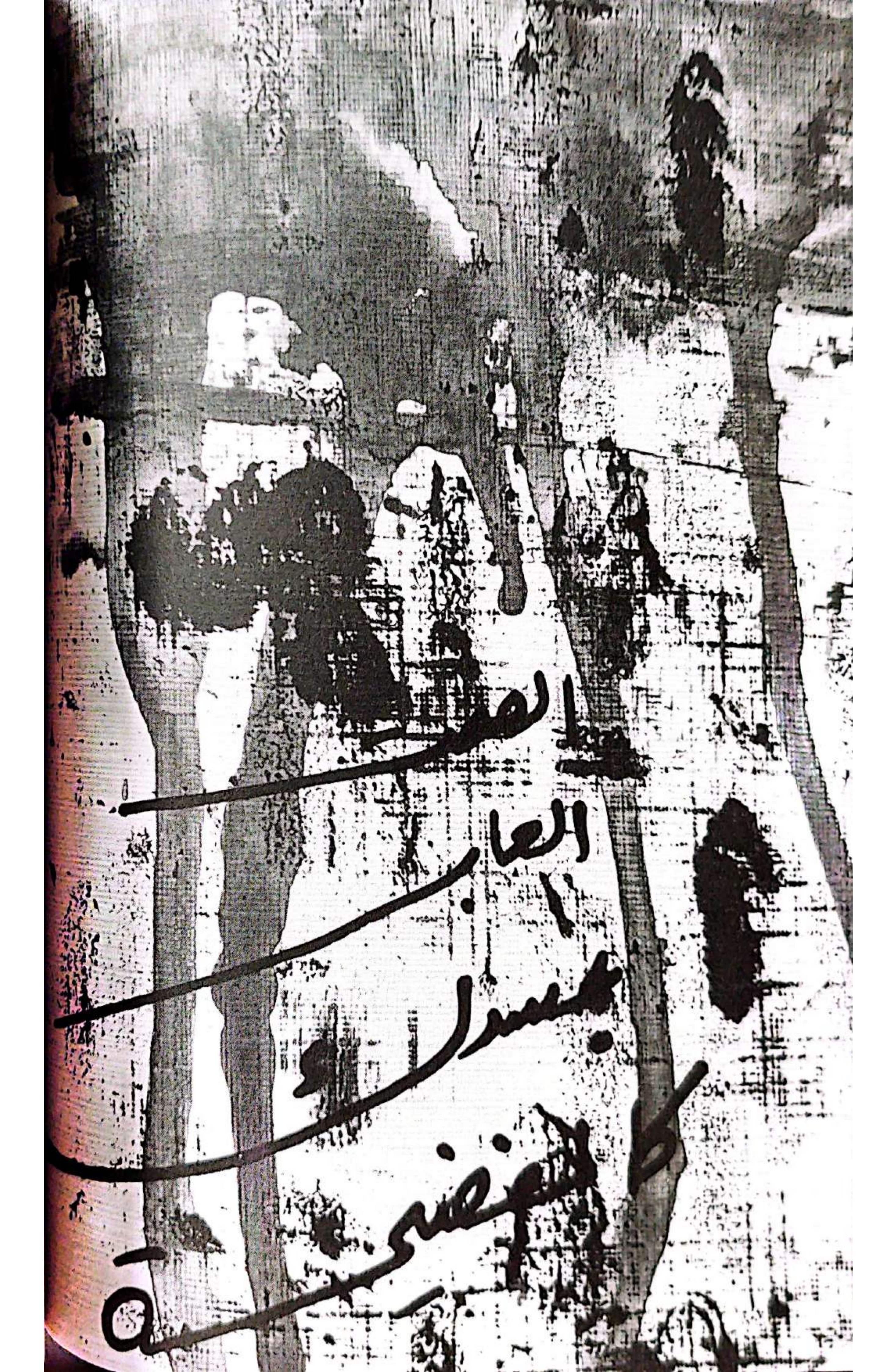
لن،

يا جدارَ العيونِ، أيُّها المَوعُودُ، لنْ، يا آخر كُرِيَّة، أنتِ هو الشَّلَّال. بكِ أفتتحُ النَّظَرَ، وأختُمُهُ، فيكِ أزعقُ وأرقصُ. يا يدي على السِّرِّ، يا مُطلِقَتي، أيَّتُها المُطْلَقَة. على الشَّمس، لنْ، على صخرةِ اليومِ الثَّالث، على الدَّم. يا زهرةَ الجِلْد، ملايين ونحنُ بالعضوِ نسقيكِ، وبالعَرَق، وها تَنْبتِين بارتياحٍ، يا مملوءةً لعنة! أُغنِّيكِ، فَلأكُنْ رنَّتَكِ، وحبَّةَ زيتونكِ، يا معصرة. لن!!! اِختَرَعْنا موتَنا، يُرجَعُ موتكَ أنت. صَنَعْنا مَوتَنا وطريقَه، ولوناً له!

أرخيْتِني، يا قشَّةَ البحر، لم تُرخِيْني، لا فرق. أغرقُ، فهذا هو. أغرقُ

أو أُحلِّقُ، أو أنامُ. لا وجهةَ، لا وجهةَ! أُسَرْطِنُ العافيةَ، أهتكُ السَّتْرَ عن غَدِ السَّرَطَان

حُرِّيَّة!



1961

الرَّأسُ المقطُوع

اِلحَقُوا السَّهْمَ

الفَيْض

ذَهَبَ غُراب
يُحوِّمُ فوقَ المِسكِ المَمْضُوغِ والأجناسِ المُطفأة.
أشْعَلَ الغُلامُ المُطِلُّ لِفَافَةَ الاستمناءِ الكبيرة.

لَمْ

لمْ يَذْكُرْ
أنّه شاشَةٌ حمراء
لأنّ قلبَ العالمِ أبيض
لم يَقُلْ
إنّني أسْوَد
من أجلِ اللّيل
حين تَرْجعُ العصافير.

هُم والحُواةُ والمُصارعُون

أنْزَلْتُهُم عن الورقةِ، لأُلَمِّعَ زُجاجَ فتاة.
يُوجَدُ درب. صرتُ أُناوِل قُرباني.
طَلَعتُ من الصُّخُورِ، وتركْتُ الأرضَ لدَبابِيْسِ الوَرَق.

الخِنْزِيْرُ البرِّيُّ

عاريةً أُهيِّجُ رياحَ أنفِكَ، لكنْ، لُعبةُ الكأسِ لا تمشي عليكَ، لأنَّ بطنَكَ لم يَعُدْ يفرحُ بالسَّفَرِ والتِّجارةِ، وأنتَ مَكبوسٌ بالشَّمسِ والرِّيح.

أعرفُكَ مَلَّاحَ الفُروجِ: عَبَقْتَ بالجُثث، نخيرُكَ أهْلَكَ القَمَر. سيِّدَ المركبِ الفارغِ نَهَشتَ في الوَحْدَةَ أسنانَ خيالِكَ.

هذه فُتحةُ الحزامِ الأُرجوانيِّ! إنّي جميلةٌ جائعةٌ. ستندلقُ على ظَهرِكَ أقواسُ قُزَح. المياهُ تعلو، لكنْ، سترحلُ، تتأبَّطُني فوقَ المياهِ، لأنّ في حنيني جُرُوحَكَ، فلتبقَ. غَنِّ لِجِلْدِكَ المُحيطِ بالموت. تَعْبُدُني.

عبادتُكَ تتفتَّحُ من قَفَص. رَقْصُكَ على سلاسلِ قَدَمَيْكَ. نيرُ الظِّلِّ يحني دَنَسَكَ. أتمسَّحُ بكَ. تتعقَّبُني، فأُحمِّلُكَ نارَكَ. تَسمعني، وتُضاجِعُ. عاريةً، وتُرخِي غصونَ عَيْنَيْكَ. يا جُبنَكَ السَّاحِرَ، يا تقزُّزَكَ البارَّ، يا عارَكَ، يمنحُ الجَسَدَ صباحَهُ الأبديَّ الرُّوحَ الجسدَ الأبديَّ النَّارَ النَّارَ الأبديَّة. صارعْتَ الخَرْقَ غَدْرَ المُلك، جاوزتَ رُفاتَ الصَّباح.

نُسْغُهُم شَاسِعٌ، الصَّيَّادون، ملائكةٌ وزواحفُ. الأقبيةُ والحليبُ والهاويةُ لهم، على الرِّيشِ ينقضُّون، يُربُّون الغابة. لهم التُّرابُ والماء.

أيُّها الخِنْزِيْر

أيُّها الخِنْزِيْرُ البرِّيُّ الأبيض

فَلْتَنفَجِرْ.

فَخْذُكَ في وطن، دِمائي مَنفِيَّة إليَّ، لِمَ الوُحوشُ تخافُ علينا؟ يترصَّدُنا النَّمل!

ها الذين ثلَّجُوا الحُلْمَ، الذين يَرْشَحُون الوَحلَ، يَنْضَحُون الحَرَسَ، اعتمروا اللِّبْدَةَ المُعلَّبة! ها الذين عفَّنُوا العُهْرَ، دجَّنُوا شوكَ التُّوتياءِ، أغلَقُوا القلبَ، حزَّمُوا مشدَّ الدَّمعة، ها عصابةُ القذفِ وديدانُ المخادع، حليبُهُم حِبرُ الرَّبِّ، ها شعوبُ الرَّعدِ والمطر.

حَدِّقْ

أنْشِبْ قَرْنَيْكَ

تمَسَّكْ برائِحَتِي

الهُوَّةُ بيننا، فَلْتَشْدَّنا

ندَّخرُ الشَّرابَ، نُغرِّقُ الجُسورَ، نصنعُ ماءَ النَّهرِ الجديدِ، ونَنحتُ الصَّبْرَ حذاء،

الجِنْسُ طَرْوَادَة.

كلَّما أحبَبتُهُم وقعُوا من القطارِ

إبدالُ يَدَيْهَا بالضَّحكِ، وما هي إلَّا نصفُ ارتباكٍ. لم يشعرْ به الفارسُ من قبلُ.

كانتِ الصَّالةُ مُغنِّيةً تجهلُ الرِّجالَ، وتُؤجِّلُ الحُكمَ في هذه القضيَّةِ. وقفَزَ الخادمُ يُتَوِّجُهُ شَعْرٌ رُومنتيكيٌّ، وباركَ تلك الشَّجاعةَ، وغادرَها دون أنْ يُضيفَ شيئاً.

المساكين!

كلَّما أحبَبتُهُم وقعُوا من القطار!

وتورَّدتْ وجنَتَا الصَّالةِ، وصاحَ الفارسُ: بحاجةٍ إلى عُذرٍ!

إنه العصرُ الطَّويلُ، المناطيدُ تنأى بالحجارةِ. وشاءَ القَدَرُ أنِ الفارسَ وَقَعَ في حَيْرةٍ، فاعترفتْ له المُغنِّيةُ بقَلَقِها، وقالت: أُريد أنْ أفهمَ ...

وكبرا في الدَّيْر. غَلَبَ اليأسُ على المُعجبين، ورأت المُغنِّيةُ أنَّ نَبأ المُغامرةِ سيَزدهِرُ، وسمعتْ وَقْعَ حوافرِ عِصِيٍّ، فقالت بحماسة: حَسَناً!

ولم يكنِ الفارسُ ناوياً ذلك، لكنّهُ صاحَ فوقَ يَدَيْها: تُقيمين طويلاً هنا؟

وراحَ يتحدَّثُ عن شيخوخَتِهِ بعباراتٍ بيضاءَ، أي بلا حُبٍّ، فلم تسمعِ المُغنِّيةُ. وانقضى النَّهارُ ساحراً تضحيةً جديدة.

إلى الغدِ، يا أعزَّائي!

البقاءُ للمَولى

كلُّ مُحاولاتي للقَبضْ على المَولىَ وزَجِّهِ في جَيْبي، أنا بين هواءِ الصَّنَوْبَرِ حُرٌّ، وفوقَ الجبالِ أسلخُ أظافرَ الكبار.

المَولىَ يقطعُ المُواصلاتِ، لا أحدَ يجدُه، إنَّهُ الغُصنُ. مَنْ معَهُ سيولٌ لِفَمِه، صحيحٌ، يَدُكُّ الجثثَ بِسَمادِ البَقَر.

كُنتُ سأقبضُ عليهِ، لولا الكاهنُ الذي عرَّفَني، وانتحَر.

القيامةُ

مُلقاةً على جانبَي نَهْدَيْكِ، ووجهي مُستطيلٌ، وذَقَنُكِ وشَعْرُكِ وَحْل، وعلى ذَقنِكِ مُثلَّثٌ وطبيبٌ بخادِمِه.

- كيف نُبيِّضُ، يقولُ الطَّبيبُ، وجهَ الحركة؟ نَركضُ نهضةً، لكلِّ منظرٍ شمسٌ تسطعُ على القناطرِ، وتُجفِّفُ العلماءَ (ينظرُ إليَّ:) امشِ: نخرجُ من الجثَّة.

وانظرْ. لا تفعلْ شيئاً، الزُجاجة، والشَّجراتُ الرَّفيعة. في المُقابل، كمدخنة، عشيقان. لا أحد يُغطِّي وجهَكِ، لأُشاهدَ حياءَ عُريكِ. القشُّ صامدٌ على القالبِ غصباً، سيقعُ. عينُكِ كما سَبَقَ أن قلتُ، زوبعةٌ ناصعةٌ. طريقُ الوطواطِ واضحٌ.

مِن الغمرِ إلى النِّظامِ نومٌ على النَّهدَيْن تحتَ المُثلَّثِ. أمَّا وجهي الآن، فصَمْتٌ. عندي أجنبيٌّ مُمسِكٌ بِعِنَاني داخلَ ترسِه.

- نحنُ (يتدلَّى المِفتاحُ من جبينِه)

70 نحنُ 1000 نحنُ (يذكرُ 1000000000000000 نسبة، من المسيحيِّيْن إلى العباقرةِ إلى الفاشيستِ إلى الماركسيستِ إلى الإغريقِ إلى البراهمةِ إلى الصَّاريِّيْن إلى الهوهويِّيْن إلى الأيريِّيْن إلى

المُعتزِلةِ إلى الفرينولوجيِّيْن إلى اللَّامُنتمين إلى المكسيكيِّيْن إلى الأكروماتوبسيِّيْن إلى الجَوْهَريِّيْن إلى البسيكو - فيزيو - بسودو - نيو - سكولا - بارا - سكيزو - مايو - مايا - نومي - جودا - مالا - أكزي - بيرونيِّيْن، وأكَلَةِ لحومِ البشر، وغيرهم).

يقولُ الأجنبيُّ،

- نحنُ جميعاً ...

أنظرُ إليكِ.

نهرٌ. نهرٌ دون عِلمي. أُنكِرُ هذا النَّمط. إنيّ رصينٌ من النَّمْلِ والآلهةِ. الأجنبيُّ الذي يحملُني (ممشوقٌ في ظَهْري) ينطقُ بريشتي. وكلُّ هذا سخف. بيني وبينكِ: أنا والطَّبيبُ وخادمُهُ سنخرجُ من الجثَّة، لا غير. كيف تشعرين؟ لم أقلْ كلمة. في كعبِ الزُّجاجةِ يدٌ (تقولين يدُ الله) تُزَوْرِبُ بين حزمِ الخيشِ والتِّبنِ من أعلى إلى ... وتحضُنُني. تحتَها بقايا سرعة. أقفُ مع حيواناتٍ صغيرة، الأجنبيُّ لا يبدو. أتساءلُ هل يبقى الأجنبيُّ؟ ليتَني، قبلَ أنْ تموتي، حوَّلتُكِ امرأة! لكنْ، جسدي كفاني. زَوْبَنتُهُ. غريمتي، حبيبتي، لا تدعي أحداً. الدَّمُ المُرتفعُ كحائطٍ على اللَّحمِ يُزعِجُني. داخلَ الدَّمِ اللَّذَّة. في الغَلَبَة. كتبتُ إلى الفتياتِ: «احفظنَ غَلَبَكُنَّ!» لأنّني أعرفُ من أين تنبعثُ عطورُ الطُّوفان:

من السَّدِّ!

من السَّدِّ المُراوغ!

ماذا قالَ الأجنبيُّ؟ هذا رجلٌ عجوزٌ. لعلَّكِ ترينَهُ. أليس كلامُهُ سهلاً؟ سنخرجُ بعد قليلٍ، لنسمعَ الأجراسَ العتيقةَ تحتَ العجلاتِ. وأنتِ غريمَتي، شهوتي، على النَّهْدَيْن، وذقنُكِ يَدْعَمُ الطَّبيبَ وخادمَه. وسنخرجُ. نخرجُ. الطَّبيبُ يسحبُ جسدِي، والخادمُ يضخُّ فينا الجلال. واليدُ الحاضنةُ تُبَقْبِقُ وتصيحُ وترفعُ السِّتارَ وراءَ ظَهْري.

أرى الأجنبيَّ ينقضُّ عليكِ، يَطْلعُ منكِ. أسمعُ ألفاظَهُ تَنْغلُ فيكِ، تنتفخُ وتنتفشُ وتَقْشَعِرُّ كالشعوبِ.

اِلحقُوا السَّهْمَ

قاطعَهُ الأميرُ بجميعِ الوسائلِ. توجَّهَ إلى المسرحيَّةِ، حيثُ السَّائحُ يتأرجحُ على الحجارةِ. صَعِدَ إلى الأحداقِ، وأفرغَ رشَّاشَهُ، فانفصلتْ هالةٌ. وفي الصَّباحِ، أصبحتْ فتاةَ مدرسة.

عاد الأميرُ، فوافقَ. لكنَّ الخبرَ لم يَصِلْهُ. لا تُفكِّرُوا. هذه المُحاولاتُ خُطوطٌ مُتوازيةٌ تُؤلِّفُ الكُتُبَ.

يروحُ كأنَّهُ ما حَصَلَ.أُمٌّ تَعِبَتْ.

يَذْكُرُ الأميرُ الهرطقةَ المعكوسةَ. حتَّى حدودَ الجبالِ أعضاءَ في الكتابة! وينفعلُ. أُخرُجُوا كلُّكُم! ويفتحُ صُوَرَ النِّساء، وفي يدِهِ المجهرُ الهادئُ الذي يُغلِقُ الأبواب.

يضعُ إمضاءَهُ. يتشنَّجُ. أغلى العرائسِ تظهرُ فيه. يشقُّ صخورَ الحريرِ، ويستعدُّ للحُرِّيَّة.

لا تُفكِّرُوا. السَّهمُ يشيرُ إلى الفراغِ. لو كُنتُ ذكيّاً، لجدَّدتُ الفراغَ! المياهُ العَكِرَةُ تصطادُ مَنْ يمرُّ.

الحقُوا السَّهم.

بُحيرةٌ

مَنْ كان يُصدِّقُ أن الفَلَكِيَّ هو الصَّحراءُ أكثرَ من البدويِّ؟ رأى صديقي الأنابيبَ والعقاقيرَ وأوعيةً تصعدُ إلى ... برفقةِ القابضين على المفاتيحِ خفيفةً خفَّةَ الفوز. ووقفَ أمامَ خيطٍ هامَ به، وأقسَمَ أنّهُ غيرُ عاديٍّ. ليس لُعبةً، ليس سحابةً. خيطٌ مالحٌ يرتفعُ من بُلْعُوْمِ مَعْبَد.

كان العَرَقُ يتصبَّبُ، وكان صديقي. والإوَزُّ يتنقَّلُ على الماءِ المَغليِّ، والضِّباعُ تأكلُ المساحيقَ، تتمشَّى مُطيحةً الآنيةَ الثَّمينة. أمَّا خيطُ الدخانِ الأبيض، فلا شيءَ يحدُثُ لجلستِهِ اليائسةِ مُنحدِراً من وسيطٍ تائهٍ، ومُتصاعِداً من وسيطٍ أبديِّ الانحدارِ، بركاناً في عصا من الحرير.

قال صديقي لم يَرَ قَزَماً. لِمَ عدتَ؟، سألتُه. «كي أرفعَ لَعنَتي عن البدويِّ قبلَ أن أفتحَ».

ما عرفتُ أيَّ بدويٍّ. لكنْ، صرتُ أرى كفَّ صديقي خيوطاً تصعدُ وتنزلُ بين وسيطَيْن توأمَيْن، وفي مُنتصفِ جبينِه لطخةُ انتقامِهِ تتَّسع وتأكلُه.

بينَ أربعةِ رياح

سريران

بينهما نبيلٌ رومانيّ.

على السَّريرِ الأحمرِ جبلٌ يُغالبُهُ صبرُهُ. المرأةُ طازجةٌ عليه، جامدة.

على السَّريرِ الأزرقِ رجلاه العاريتان. يلحسُ أبعادَ ظَهْرِها.

البابُ مفتوحٌ.

على الأرضِ، أمامَهما، مُشيحاً بعُنف، النَّبيلُ الرُّومانيُّ ذو الشَّفَةِ الجالسةِ على العرش.

الجدارُ الواقي من الهُوَّةِ تبخَّرَ في اللَّيلِ. الثلاثةُ مُعرَّضون.

فجأةً ينغلقُ البابُ، ويرجِعُ الجدارُ.

في مكانٍ ما أستغيثُ ...

الرَّأسُ المقطوعُ

- ماردُ الصِّين نَفَخَني
- تكلَّمُ ولا تنظر
- المصابيحُ داختْ في السَّيَّارة
- سَيَراني
- مَنْ؟
- مَنْ أعرفُ؟ في الشَّارع
- في البحر
- في الشَّارع
- في البحر
- ماذا
- في البحرِ وثيقة
- لا جَسَد لي غير ...
- عن العيونِ تبتسمُ للهَرَبِ، وتمزجُ العيونَ بالعداء، وتتوارى
- ماردُ الصِّين نَفَخَني. هزَّ كلَّ كوخٍ من اللّبان.
- العيونُ العالية
- العيونُ الأدبيَّة! ... لا إله

- يُديرُها النَّسْر

- النَّارُ! سَمَكَةٌ حمراء

- العيونُ، الأنقاضُ. بُخارُ المُرتفعات. قمحُ الأشباح

- مسكونةٌ ومُفْرَغَة

- آهلِةٌ باللَّمْس والنِّيران. بيضاءُ بالمَطَر. تنزِلُ من رأسِكَ المقطوع

...

الصمتُ العابرُ كالفضيحة

1

ما العملُ بالصَّمت؟

أيُّ حقيقةٍ يكتشفُ الإصغاءُ في الصَّمت؟

أنواعٌ من الصَّمت ... لكنْ، أتكلَّمُ عمَّا يرفضُ باستمرارٍ أن يحميَكِ!

الصَّمتُ العابرُ جَسَدَكِ كالفضيحة.

لا تُحاولي أن تنظرِي إليَّ. لن أستنجدَ ضدَّ ما أجهلُ. ضدَّ ما أسمعُ!

مَنْ منَّا يجرُؤُ أن يجتازَ هذا الفرقَ، ونصفُنا في العَتْمَة؟

أتكلَّمُ عن الصَّمتِ الذي قد يَحدُث ...

عندئذ تتهامسُ المرأةُ والخنجرُ قراراتِ اللَّحظة،

والأسبابُ تهرب ...

عن الصَّمتِ الذي يُهدِّد بالرُّسُوِّ. الفاجرُ وحدَهُ في البئر.

ما العملُ بالصَّمت؟

تُرى لو سَكَتْنا قليلاً ...

2

نجمةُ البلدِ الأبديِّ

التي ألمَّتْ بمَجرَى الشَّمس

وتغوص

في الوَهْجِ النَّاعم

أكثرَ حرارةً من النَّدى

أكثرَ حقيقةً من صوتِ المرآةِ الآخر

أنقى من غريقِ ملاك

الظَّاهرة في نَفَقِ الستائر

عندَ خمرةِ اليأس

التي تَسْكُن

التي تُرسلُ وراءَ القلب

تمدُّ شَفَتَيْهَا إلى الأيادي العجوزة

تلعبُ بشَعْرِ الحجر

وضبابُ جمالها

قُربَ نَهْدَيْهَا الرَّزِيْنَيْن

يُريحُ جَسَدَ الصُّدفة

وشمسُها المُعلَّقة
تتعلَّمُ سهولةَ الماء
بين أغصانِها
من عشبةٍ مُستحيلةٍ صابرة
نجمةُ البلدِ الأبديِّ
تفرشُ البساطَ القديم
لحوارٍ أعمى
يبتسمُ
يُرخِي رأسَهُ كلَّ مكان
أكثرَ عذاباً من الكَنْز
أكثرَ هدوءاً من الدَّم
أكثرَ تناقضاً من الصَّوتِ والصَّدى
تَجْمعُ شَملَ النَّوم
تَحملُ كالبطنِ، وتُحْمَلُ كالهمسة
قاسيةٌ كَعَيْنَي حاجبٍ، لا يُذْكَر
مُتقَنَةٌ كخطاب
مُتعدِّدةٌ ومضمومةٌ كالضَّوء
جبانةٌ كالطُّوفان ... يأتي ولا يأتي.
نجمةُ البلدِ الأبديّ
تقومُ من رمادِ الوحي

تغوصُ
في جحيمِ الأبْيَضِ السَّكْرَان
والأحمرِ العاقدِ ربطةَ السَّفَر
والأسْوَدِ الميِّتِ في الرُّؤى
والأصْفَرِ الخاطئِ في النَّقاء
والأزرقِ الرَّجعيِّ
والأخضرِ المقطوعِ السَّمْع
والبنفسجيِّ العاتب
وتغوص
في وجهِ السَّحابِ المتَّصل
في شيءٍ ما
يحملُها وأتبعُها
لِنَتَّحِد
وسرّاً، بصمتٍ عال
تدخلُ أخبارُنا المُقْفَلة
وتقطعُها
بثلوجِ الشَّمسِ الحمراء!

3

النَّازلةُ نهرَ العُصُورِ

الأُغنيَّةُ المُحرَّفة

أيقونةُ الحظِّ

أصابعي تفتحُ لكِ جناحَ السَّنةِ المُقبلة!

(وتاجُ الشُّعوبِ الخفيَّةِ كلُّ هذا الحينِ كان إلى جانبي ... مرَّةً، بين نومَيْن، نَفَضْتُ عنه الغبارَ!

كم من الوقتِ الحياديِّ!

كم من الشِّعْر! ...

الآن رفعتُه. أنْ نذهبَ، أنْ نذهبَ. ولا شيءَ آخر).

قديماً كانت الينابيعُ آتيةً، ودَّعَني الجميعُ، وغرزتُ إعلاني. سحبتُ اللَّحمَ من الأدراجِ، ولبَّيتُ الرُّموزَ بأسناني!

لهُنَّ، من مختلفِ زوايا الولادة، كُنتُ أجيءُ البكر. آه! كم يطولُ رثاءُ أراملي!

أيُّها الغامضُ، المرأةُ أخيراً!

خاتمةُ الرَّسائلِ، بدايةُ الدّين، عنفُ الينابيعِ. لكِ إعجابُ البحيرةِ العرَّافة، واحترامُ الغبارِ! اللُّغاتُ تُهدي إليكِ عُروتَها ...

... هكذا وُلدتُ.

إلى حدودِ الشِّراعِ داخلَ ثوبِ الرَّكضِ رأيتُكِ تُشَعْنِنِينْ فارسي. الحُبُّ! لا حاجةَ للحُبِّ. جبينُكِ يحضرُ في النَّارِ حنوناً كالماءِ عارياً كالحَنْجَرَةِ. حُبلَى بالمصابيحِ، وتَجعلِينني أحلمُ بأنْ أنسجَ الصُّوفَ للخطرِ، وتَجعلِينني أُبصِرُ للبحرِ ..

لكِ تمجيدُ الصَّحراءِ الدَّاخليَّةِ. لكِ غمزةُ الفراغِ. لكِ شهادةُ الطَّاهرِ الأخرسِ!

ولن يرفعَ زَمَنٌ عليكِ صوتَه. أنحلُ من الذَّهب، أكثرُ أُنوثةً من الشَّاعرِ، صرخةُ اللَّحظةِ في الرَّأس!

المكان الباقي أُهمِلُه للرُّؤساء. وَرَقُ الكتابةِ للذين سيجيئُون ويقولون ...

بَعْدَنا الحُبُّ! لا نقدرُ أنْ نُودِّعَ أحداً، وهذه فداحةُ جمالِنا! عَجِّلي!

في مَهَبِّ جَسَدِكِ المسنُون وضعتُ نخْلتي. لقد سئمْنا ما ليس من عُمرِنا. لم يَعُدْ أمامَنا غيرُ كلِّ شيءٍ!

طائران فرحاً من الفم!

نُخلّي للعواصفِ إلغاءَ الهندساتِ القديمة. نُخلّي النَّقضَ للمُوظَّفين على شفيرِ الرِّمالِ المتحرِّكة!

لا وقتَ مع الشُّرفةِ حين تَرى ...

المرأة ...

المحسودة. المُبْعَدَةُ عن إهانةِ الأسماء. عن خَجَلِ الأمثلة. من كلِّ ناحيةٍ عَرْض أو صلاة؛ التماثيلُ تُجرِّبُ النَّيلَ منكِ، وعيونُ النُّسورِ تحتشدُ في المؤامرة!

أمَّا المُكالمةُ، فتَدْفق، على ظَهْرِ القوس، وراءَ عُرْف الكهرباء، ناشرةً ذُعرَها الحُرَّ في الرِّيش. أنا رأيتُ طُيورَ الفريقين تولّي هاربة. أنا أجبتُ على الذِّكريات!

وحين توجَّهَتْ إليَّ

أقصِدُ حين فَتَحْتِ غُرفتي، واستطعتُ تمييزَ الكلمةِ، عرفتُ ما كان ينقصُ الأشياءَ المقدَّسة.

رأيتُ أيَّ خطأ ...

لكنْ، إلى هنا فقط، وأنْ نذهب.

أمامَنا ...

وأمامَنا أنْ نُسرِعَ، وننسى!

وغيرُ بداية الشعر فيكِ، غير فضيحة الصمت. لأنّنا شفينا ونحمل حقوق الآلهة المغسولة بأوجاع الوحوش!

إستسلمي لعطائي. أُكلمك كلام المضطَهَد بحنانه.

كلام شاعر يُحِبُّ!

كلام اللغة المهزومة!

أيُتها المرأة أخيراً... أوقفتُ مِرْوَحَةَ الشعر ورميتُ آثاري. خَتَمْتُ أرقامي. طَلَعْتُ من فخذ الهاجس إليكِ وأسطورتي ترنُّ على بلاط اللّيل.

أسْكتيني، يا مَنْ تُزيّنها قَشَعْريرتي!

ولينطلق عرسُنا من الأبواب الأُخرى...

أطفئي كلَّ بريق في عينيَّ

ولا يبقَ غيرُ بَحْرِك يحلم بيديَّ المُعميتين أجراسَ لذَّته المجنونة.

القَفَصُ

الحياةُ المُقبِلةُ

مُنعتِ النِّساءُ من الانتحارِ بالحَيَّة، رُمِيَتِ الرَّسائلُ الزُّرقُ بالرَّصاصِ بعدما الحاكمُ محاها. وفي السَّاحةِ، كَبَتُوا النَّارَ بالزَّيْزَفُون. ومع المساءِ، لم يبقَ.

نَعِسَ العالمُ، ونام.

خَرَجَ العاشقُ من السَّيف.

زُجاجُ الذَّاكرةِ المُهَشَّمُ

الجوقةُ جَرَفَتْني.

يتذاكرُون سطراً لسطرٍ. نظرتُكِ الآليَّةُ تُبعثِرُ الكامنَ والطَّافح،

فراغٌ وغابتي.

الرَّملةُ المفتوحةُ الصَّمَّاء، الخَشَبة، الغابةُ الذائعةُ في الخشبة،

وكلُّ شيءٍ رائجٌ هنا.

وقلبيَ المقلوب.

للموجِ ملحُهُ

للموتِ لحمُهُ

وللبراكين خيبتُها.

أنهضُ من زُجاجِ الذَّاكرةِ المُهَشَّمِ، ينطلقُ عُصفُورٌ مشلولٌ. أنذرتُكِ العاشقُ يصمد!

المِجْمَرَةُ تكتظُّ. المِجْمَرَةُ ربيع. المِجْمَرَةُ مَكفُوفة. المِجْمَرَةُ تُفلِسُ في يَدَيْكِ.

يتذاكرون فحمةً لفحمة.

حَجَرُكِ وجَمرُكِ.

أخَذَني النَّهرُ ولم تَرْوني.

فِي العيونِ

لا الحدائقُ الخياليَّة
المُعلَّقة
لا المغاورُ المقسَّمة خَلْفَ الأصداء
لا حَبَلُ الوهن
لا توالُدُ الصَّرخة
لا دحرجةُ البَجَع
لا دَرْبَكةُ الدم
لا سِمْنَةَ الدُّوَيْباتِ من البدء
مُلوكُها في الخرائبِ عندَ بابِ الشَّعوذةِ السَّابع
لا الجريمة
لا جندلةُ النَّارِ والكناريّ.
مع القارَّةِ الفقيدة
تولَّى زمانُ الصيد
سَبَقَهَا
وحتَّى أُغنِّيَكِ أغنيتي
أجلسُ

مكشوفاً، نابضاً، صامتاً

في العيون.

الوداعُ

- كم أريتُكَ لا يُخفِي شيئاً هذا التِّمثال!

- أضعُ هدوئي عليكَ، يا صوت. الدُّعاء ضجيجٌ يُذكِّرُ النَّاسين. الأمرُ نبرتي. أُهشِّمُ خَطْوي وظِلَّه. طابَ ليلُكِ، أيَّتُها الببَّغاء!

أُطارِدُ هذا الحُبّ

أُطارِدُ هذا الحُبّ

مع السَّماءِ لي زوجُ كلامٍ! ستنزاحين، لأنّي أعرفُ عُقولَهم- غيَّرتُ نَعْلَ الشَّرِّ!

أُلاحِقُ امرأة.

نسيتُ:

أُهرِّبُ هَدَفي، وأصِلُ قَبْلَه!

شهرزادُ

أزهَرَتْ فجأةً شمسُها.

شهرزاد!

كتابٌ يصيح.

(فكَّرتُ: السلطانُ مات)

على الأرضِ وطن

غادَرَ الأرض

على رائحةٍ ضعيفة

يَطُمُّ وجهَ وَلَده

من نَدَم

بريء

حنون

أبديّ.

العينان

أنعمُ من وَرَقِ الدخانِ، تتنزَّه على حشيشِ أبطالي. تُرخِي بحذائِها كالبطِّ عضلاتُ الأرض.

وتَدْخُلُ السَّاحةُ قلبي، أمَّا الثَّورُ، فينسى الماضي، ويفتحُ عَيْنَيْه المُضرَّجَتَيْن بالعَدْل. ونبكي.

نبكي لحظة.

وبعدَها نبكي. نبكي.

وينظرُ إليَّ الثَّورُ كالزَّوجِ المُجَفْصَنِ بالحُكْم.

وهي تَغلي. تَغلي. تَغلي.

تَغلي في عَيْنَيَّ المُضرَّجَتَيْن بالبَشَر.

تُقبِّلني بعدَ ذَبْحِ الثَّورِ، تمَسَحُ دويَّ فخرها. إنّني آشيل.

دحرجتُ وجهي، ولم ترَ.

أُغنيَّةُ أدراجِ الرِّياح

لِمَ العشبُ
والأُغنيَّةُ الجزيرة
وهذه العيونْ
وهذه الأحشاءُ والعيون
ما دمتُ رقصتي
ومِرْجَلي
ما دمتُ قَفَصي الدَّوَّارْ
وآخَري
ما دمتُ أستعيرُ شَفَتَيَّ
ما دمتُ أستعيرُ عاشقاً من أُذُنيَّ.

القَفَصُ

توقَّفتُ وبي رائحةُ العَوْسَج، وفارتِ الأنوار. وَقَعَتِ النِّساءُ من النَّوافذ!

أَمَا بقي طاووسٌ أصيل؟

توقَّفتُ وبي رائحةُ الخَبَلِ. سريعاً تَقَصَّفَتْ أنواري.

فاحَ حناني المربَّع.

الطَّيرُ الأسود

أصابعي
كي تَشْرَحَ فمَكِ
تُجذِّفُ في الرَّصاصْ
وحين يحينُ موعدي ...
فجأةً
بِرُعبِهِ القديمْ
الطَّيرُ الأسْوَدُ يُوقِظُكِ
صمتُ المجذاف
يَسكنُكِ
نَظَرُ المِجذَاف.

السَّمَّاقة

لم تسمعْكَ
لن تسمعَكَ
حين طلعتَ الدَّرَجَ ابتلعكَ الدَّرَجُ، تدحرجتَ
قطنة
في البحرِ السَّفيه
المكسور
الباحث ...
السَّمَّاقة صَهَلَ لها دمُكَ بعيداً تحتَ المياه
على كعبِ شجرةٍ. السَّمَّاقة
لا تسمع
كلُّ السَّمَّاقِ لا يسمع.

المُهرِّجُ

1960

اِقترِبُوا أو اهرُبُوا

سأُنقِذُ الغناء

سأشطُفُ الأرضَ. حَنْجَرَتي الشِّيَاه الضالّة رمادُ المراثي والمزاميرُ شَعري. آكلُ القنديلَ، أنفخُ الشَّبَحَ. أتسطَّحُ على روابي الكلمة.

من أجلِ ذلك تنهضُ الصَّاعقةُ لإشارتي. الموتُ للزَّهرةِ، تَلْبسُ بابلَ، تحتمي بمِخْلَبِ النَّدى. الموتُ للعمالقةِ المُضمَّدِين بالنِّساء، يرمُون أسهمَ الكيمياءِ والنَّجمةَ المُذنَّبةَ، يغلون العواصفَ كالطَّرائدِ. يربطُون زبائِنَهم، بصَمْغِ الأثداءِ، يُشمِّعون النَّسْل.

(جميلون، مع هذا

كغادرة)

بارعُون كمعاطفِ الفرسان. أخافُهُم وأبردُ. خسرتُ دمائي!

مَنْ يسمعُ كلماتٍ حافيةً؟!

أنا الشَّاعرُ

شجرةُ الغيلانِ رَحِمُ الصَّحارى المَلِكَةُ المفترِسة

أنفُثُ عَدَمي.

جراد العناصر

نحنُ

يُولَدُ أطفالُنا من التالول. تصطادُ نساؤُنا الخلجاتِ، يُحصِينَ الأجانب ...

آتٍ من بعيدٍ... المخملُ واللَّيلُ؟ قفزتُ فوقَ الخاتمِ، فليقلْ أحدٌ إنيّ باطلٌ. نبشتُ القبورَ، وحفَّار الكلمةِ بثأرِ عقلي!

المتُلَفُّون

المتُلَقُّون

العصافير

الرِّيح

الرِّيح فلاَّحة الحبرِ واجهةُ الأبجديَّة

الرِّيح الشَّهيدة

الرِّيح

لفظةُ الرِّيحِ، الرِّيحُ اللَّفظيَّة

الرِّيحُ اللَّفظة، أيَّتُها الأمواجُ الغبارُ الطائرُ الأزهارُ الألوانُ، أيَّتُها الأشياءُ والعناصرُ، يا أغصانَ النِّساءِ وغُرَف الحُلْمِ والأحداقِ رؤى الجلاتين، أيَّتُها الدَّمعةُ، هيَّا إلى المجزرةِ، حيث قرقعةُ عَظْمي نشيدُ اليقظة.

... اقطعُوا الشَّاعرَ ونسلَهُ!

طويلاً ناديتُ، وَضِعْتُ أكثر من صَدَفة. مَنْ يعرفُ ظَهري؟ الغروبُ والشروقُ زعبرةٌ في كيسٍ. أُحبُّكَ حيثُ تطيرُ تأسرُ موعداً مع الحظِّ.

حلمتُ، أنامل في حُلْمي. أيّ الأصدقاء يجهلُ رعشتَها؟

مُرهَقٌ حولَ دفتري. جسمي وحيدٌ. لا منقار يخدش كفِّي. أظلُّ على ركبَتَيَّ، هدفُ الصُّراخِ يَسلُبُني، وتَرجِعُ الأنظارُ عن حوادثي.

القطيعُ يقطع

عيدٌ سعيدٌ، أيَّتُها القافلة!

توارتِ الأحزانُ في الجثَّةِ، والحقائقُ في واديها، فأُطفِئَتِ الأنوارُ فوقَ المُحجَّب، وغرقتْ نافورةُ الأسرارِ. هَبطَتْ

انفَجَرتْ

وَقَفَ القطيعُ يتفرَّج.

وقفُوا يَرمُقُون مِيتَتي، ويسحبُون شَعْرَهُم من القَيْظِ.

1962

صوتُكِ ناعمٌ. أنامُ في خُلُوِّكِ. أشمُّكِ بكلتا يديَّ.

- تدعوكَ إلى الجدول. عُدْ ناصعاً.

شهيٌّ كالبَرَد.

جسمُكِ يجرُّ الخَدَرَ الشَّاغرَ. دفنتُ التَّطيُّرَ والغُربةَ، وعليكِ أمواجي. مُرِّي: ليس في الرُّوحِ أحد.

صباحُكِ طافحٌ، والميتُ مُرجأ. أَقْبِلِي، امتشقِيني، بَزَغْتُ لكِ، صرتُ وجهَ النَّاس.

أيُّها الحُبُّ! البومةُ المُغمَدَةُ في الشَّمس

الطَّلَلُ النَّابح

الصَّفْصَافُ القَاطِع

العَيْنَان المُهْمَلَتَان في القلب

اللَّحظةُ مَلساءُ، سيِّدةُ العَطَايَا. وأنتَ بإحدى مُقلَتَيْكَ تعوي . . .

2

هل كَذَبَ مِثْل كَذِبي؟ مَلَكَ مثلَ مَلكي؟ أرِنُّ في طبولِهِ رنيناً يَنزلُ. ماذا بقيَ؟ أخرجتُ صوتَكِ النَّاعمَ من حَلْقي. هوائي يُضيفُ الحُبَّ، يُعامِلُ الوجوهَ، يُوحِّدُ الرَّوافدَ السُّودَ. ذاكرتي دَشَّنَتْ عهدَها.

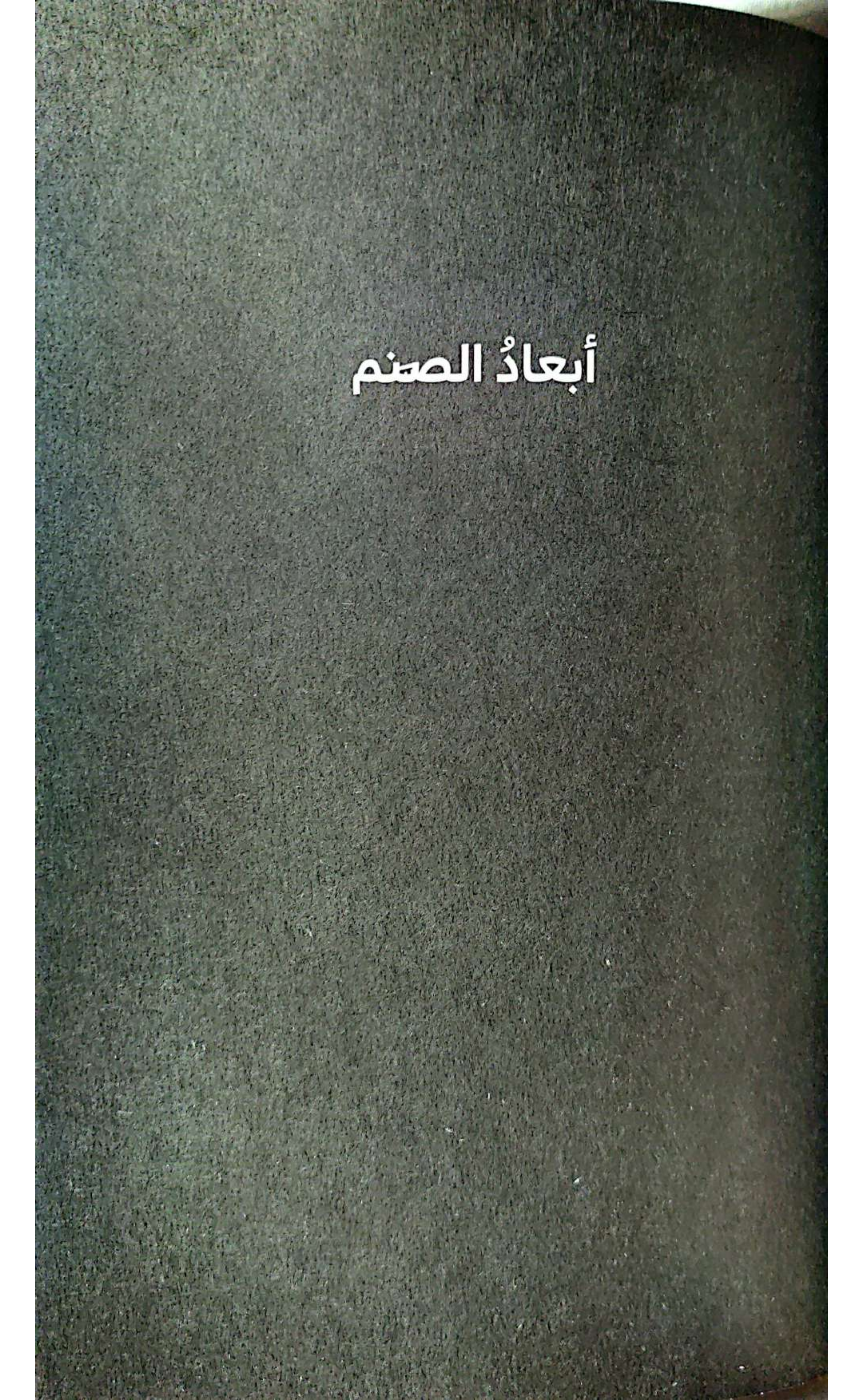
أُخْطُبُوطٌ يَفترِشُ السَّفَرَ. يختصرُ الغُدَدَ. يَخرَس.

أسحبُكِ نحو زَمَني الكريه

أكْرَهُكِ ...

- مَنْ؟ مَنْ؟

- عدالَتي وتهَرُبُ



أبعادُ الصنم

ذكرى

كَمْ
هذا
اللَّيل!
كلُّ نعامةٍ تَدْفنُني.

فقراتٌ من اعترافِ المُصطفى الاصطناعيِّ

ألتَهِي بالدخان

أُخْفِضُ الكلمات

أرفُّ

أتناثرُ

كانت أحاديثي

أرصفةً شتويَّة

والنَّومَ

والثلوجَ المزيَّحة

والشهوةَ

شرقتِ الشمس أو ...

كُنتُ أهرب

أو ...

عَرَفْتُ مَنْ في بئري

قَتَلُوهُم على موسيقاي

كنَّا نُراهِنُ على أحقادِنا

ليومِ الأحد

اليومَ صُرِعوا

اليومَ

ماتوا قديماً.

كانت أحاديثي

القلب

الكلمة.

فعلتُ هذا.

لكُلٍّ موَّالُه

لكُلٍّ دمُه

ولو لم يكنْ

لَمَا فعلتُ

(الرقصُ يحتاجُ إلى اثنَيْن، وأنا أُعانِقُ شخصاً، لكنَّه ماتَ على الجَبَلِ).

جميعُ الطُّرُق:

عنديَ الخمر

اللُّوتسُ والأرواح ...

لو مرَّةً كُنتُ فراشةً تخترقُ الأسْوَدَ والحريق

تخترقُ الجوزةَ

والفراشة.

لهذا السَّببِ

قال النَّاطورُ: قِفْ على الشُّوارِ تَشْنُقِ الغيظَ.

ماتتِ الدَّاليةُ بعدَ هذا.

أبعادُ الصَّنمِ

أسْلَمْتُ رُفاتي، أحسستُ بِوَحْي الكرسيِّ وغديرِ ساعةِ الجدار.
على نقيضٍ مع الخيَّالة.
الزِّئبقُ يُبلِّلُ السطوحَ كَذِباً.
أُحَدِّقُ من حَدَقَةِ الحُمَّى،
عَدَمُ التَّلويحِ باليدِ، عَدَمُ تحميلِ المَلِكَة.
اللَّيل.
اللَّيلُ لا كلمةٌ وَقَعَتْ فيه
على نقيضٍ مع الحَيِّ.

الطَّاغِيَةُ

تنزلُ المقصلةُ حاملةً أريجَها.

حولَ القاعدةِ زنَّارُ صِبْيَةٍ يَعدّ الجنون.

بيتي مرتفعٌ كالجسد

الفقرُ يتنفَّس

الأمواجُ الغاضبةُ على الصخورِ مُغْتَصَبَة.

الفقرُ يتسلَّق،

من يدي يشرب

يَقطُفُ دخاناً، يَسمَعُ باخرةً، يحطُّ خمرةً شقراءَ في جيبِه. ككُلِّ طائرٍ عجوزٍ، يشقُّ الجوَّ، عارٍ على ظلالِهِ المُحتدمة.

يرفعُ البَيضَ والزَّبيبَ. يبردُ كالتُّوت.

أأنا الطَّاغيةُ؟

يَنصلِبُ على الزُّجاجِ كالعاصفَة.

مِن يدي يشرَبُ؛ الفقر، حظُّ الآخرين،

أرمِيْها.

الشَّيطانُ الأبيضُ

أقولُ «هذه» الحياةُ، لا أقصِدُ إهانتَكَ. الخريفُ هذه الحياةُ، وأنا أُنكرُهُما. أنبضُ في سَلَّتِكَ.

لكنِ، الخريفُ الصَّخرةُ، وأنتَ، يا الرَّاعي، تمضي ولا تُصدِّقُ؟ أعضُّ الطَّهارةَ وراءَ تجاعيدِكَ الكلاسيكيَّة.

أنا الشَّيطانُ الأبيضُ، لم تسمعْ به. وإن تكلَّمتُ، فكي أُلهي القفرَ في الخَلاء. نحنُ نقشةُ عساكرِ الأمنِ وخَفْرِ السَّاحلِ. قليلاً وتمضي.

أطوي صفحةَ التَّضمين، لا أعِدُ كالصَّخرةِ. أجتازُ أعماقَ المجازِ والكناية. لو كنتَ المغامراتِ. لو كانتِ المغامراتُ طازجةً!

ارفعْ رأسَكَ نحو روايَتي لتقطفَهَا كالأسماءِ الحبيبةِ، تشتعلُ من وجهِها، تُنقِّطُ من ذَيلِها السَّماءُ في الماء.

الخريفُ، وغيرُهُ. لماذا أحكي؟ مِن القاعِ تندلعُ النَّارُ، تتصقَّعُ على عجيزةِ امرأةٍ. الذَّاكرةُ انقصفَ ظَهْرُها! بَرَقَتْ، حمراءُ بالتَّصفيق، وخَسَفَتْ في حمَّالتِها. أجيءُ من هناك. أجيءُ من قرى باعت لُؤلُؤَتَها، والنَّعجةُ صارت تتكلَّمُ اللُّغاتِ، وتُطلِقُ الصَّواريخَ. وأنتَ، يا الرَّاعي، أرتابُ في خَشَبِكَ العتيقِ وكتفَيْكَ المُتَّصلَتَيْن بالشِّكِّ. أمَا

لكَ ظلٌّ تحتَ الأرضِ وكوخٌ مركزيٌّ؟ ظَهَرْتَ لي صُدفة، أمامي، أمام طُمأنينَتِكَ المالسةِ المُعلَّمةِ للضَّربة.

لكنْ، ستُشوِّهُ الرِّوايةُ، فيطولُ عمري! فأكمنُ للرُّعاةِ الصِّغارِ عندَ الأُفق، والقواربُ تتكسَّرُ على التَّجاعيدِ، والأجسادُ تتمزَّق على الأهدافِ،

وفي كلِّ سلَّةٍ ينبضُ الشَّيطانُ الأبيض.

مَاموت وشَغْتَقات

ذلك العهدُ، يَدُ ماموت لم تكن ظَهَرَتْ.

قام جَدُّهُ، ونَقَلَ الخَشَبَ، وغشَّ العبيدَ، ورَفَعَ أعمدةً ليضحكَ، وماموتُ عليها. نسيَ ماموتُ حكاياتِهِ. هَجَمَ يَذبَحُ جَدَّهُ في حديقتِهِ، من الوَرْدِ إلى الوَرْد.

ماموت عن جَدِّهِ: «غايةُ أولادي. حين أهبطُ يُودِّعُني بالقصصِ، وشَعْري يشيبُ. هواء. لم تكنْ له يد. كانت شَفَتَاه والحديقة».

ماموت أحبَّ شَعْتَقات. كحَيَّة اسمُها. ثمَّ أحبَّ شَعْتَقات، قال لها: «رَمَتْني شامة. لوَّحَني كوكب. أسدٌ وحَّدَني اشتهاؤُه». قالت له شَعْتَقات: «جسمُكَ ذئبٌ تركضُه رعشاتُه. جسمُكَ شامةٌ تكسوني». قال لها ماموت: «الدُّوار والنارُ والحنين!». قالت له شَعْتَقات: «سنقتلُ الحارسَ، ونُطلقُ الحصان». قال لها ماموت: «جسمُكِ الحرب. سأحفظُ جسمَكَ طريدة. سأضربُ الأودية. الويلُ إنْ جَلَسْتِ!». قالت له شَعْتَقات: «الويل إنْ جلستَ! تمتلئُ الدفاتر، تنكسرُ شوكتي. جسمَكَ أسْتَطْعم. رماحَك البعيدةَ أسْتَطْعم. وهجَك أُحرِّك». قال لها ماموت: «أُحبُّكِ».

ماموت، العارفُ الكواكب، خالق المزامير والعادات، لمَّا رجع من البلاد، أخبرني.

I

... كَبِنْتٍ تعودُ إلى الجنِّ، على الأغصان، إلى الجنِّ، على الضَّبعِ والثَّعلب. في البيوتِ يصرخون: «نحنُ لبلابٌ يابس! البلهاءُ تنسكبُ على الوحوش!». وهي تأخذُهم إلى الأنهارِ تحتَ الأساورِ العالية. تنامُ عارية. يأتيها البحر، ويعود. يأتيها النهرُ، ويشرب. والحصنُ يرقدُ تحت شَجَرتها.

حكايات ...

جَدِّي كَسَرَ شَفَتَيْه، من يديَّ سَقَطَتْ حديقتُه.

سقطَ الحرشُ

والبنتُ

سَقَطَتْ.

II

- اِصْعَدِ البَرْقَ
في مُنتصف الجسرِ أيُّ قهقهة فيكَ! ...
امرأةٌ صغيرةٌ تفتحُ شَفَتَيْكَ، وتنزل
تأخذُكَ بطُمأنينة.
الحُبُّ لا
العارُ لا يعرفُها.

III

تنزاح أغصاني، لأكونَ شُعلتَكِ المهجورة. ههنا! الكواكبُ الميت ...

أستحمُّ على ذُروتي، وحافياً تمضين بسرِّي.

ساحرٌ يُورِقُ في الماء، ساحرٌ يستجوبُ الحَرْبَة، ساحرٌ يُذهِلُ الحنينَ، ساحرٌ يمرُّ ...

أسيرُ فيكِ، أسيرُ فيكِ ...

أنا الجلوسُ! نَلفُظُ أفكارَ الدُّوار ...

IV

دونَ أن نَلِدَهُم نشمُّ أبناءَنا
آهٍ! ما أجملَ العبدَ الهارب!
باكراً نلتقي
بجسمَيْن أبيضَيْن، نَفْلَحُ ظلَّ الأسوار ...

V

(إلى الخاسرين تحتَ السُّقوف: ما زلتُ بِكْرَ الأحياءِ؛ الوجهُ اللَّامعُ غاضباً كالنحاس. في توبيخِكُم لمحةٌ عن بعضِ نَدَمي ... لكنّي قَبضْتُ على الحُبِّ، وطريقنا حُرٌّ ...

عَرَفَني الزَّنبقُ وأنا حَيّ.

اعتقلْتُ كلَّ حَرَكة!).

VI

أنتِ المَدعُوَّةُ، لكِ قَدَمَان في الصدى، وفندقٌ أعمى، وحذاءٌ يُطْلَقُ بصمت. التِّمثالُ يَبتدِئُ، والخَلْوَةُ تَخضُّ الشَّهوةَ: تضافرتِ وأصبحتِ النَّبعَ والنَّهرَ والبحرَ والعشبَ والرُّقاد.

حين تَهْدمين الخاتمَ فلأذُبْ. الآن ستزوغُ أعينُ الأفاعي، والأشجارُ تقومُ على الرِّياحِ، وتهطلُ رقَّتُنا على الأكتافِ.

VII

كُنتُ أحمل شَعْراً، أحْفِرُ الموتَ الثابتَ! صريفُ أفكاري يُعمِي طيورَ الماء، ومن شَعْري يفوحُ شَقَائي.

كُنتُ نائماً بعد حربِ طَرْوَادَة.

VIII

لبَّيْتُ شُعوبَ يَدَيْكِ، وليكنْ سلامٌ بين النَّجدةِ والعِبءِ: أومأتُ إلى الفعلِ الحزينِ أنْ يُثبِتَ الغيبوبةَ في المروحةِ ...

وحنيتُ قلبي، لئلَّا أفقدَ «خُذني إليك».

أضَعْتُ جَرَساً. فَقَدْنا أرضاً. لويتُ يَدَكِ، فانحدَرْتُ كالجمرة.

IX

الحقولُ المبهورةُ من الشَّوك

القدِّيسةُ الحافلةُ بخطاياها البيضاء.

كلُّ الحقولِ في صدركِ الضَّئيل.

ردفاكِ نقيَّان!

(كم وَهَبْتُها الأشباهَ، والأقواسَ، وغيرَها! أنجبتُ الكنائسَ الوحشيَّةَ، الكنائسَ النَّحيلةَ!

وها أتركُ الغارَ، ونبضَ العَتْمَةِ في البَرْدِ، وآتيها من جدار ...

الآبارُ للأرضِ. العاثرون والضَّائعون للأرضِ. لكمُ الأرضُ. أنتمُ الذين هنا لَهَبٌ وشَمْعٌ. أنتُم رَجُلٌ وامرأةٌ!.

X

الدُّوريُّ عُصفُورُ الكَهَنُوتِ، يطيرُ كما يمشي.

يهزأون بدُوريٍّ فاقدِ الوعي، سيقُولُون، وهُم عائدُون: شَفَتَاهُ تقذفانه ..

XI

نُحوِّمُ جوعَنا

نَقودُ حَيْرتَنا

نشمُ أبناءَنا

آهٍ!

ما أجملَ العبدَ الهارب!

XII

شَعْتَقات، ألفُظُ اسمَكِ! ستائرُكِ تنفتحُ ... ألمحُ خَجَلَ الهدايا ورونقَ الموتِ. حِلفُنا يحترقُ.

شَعْتَقات، اسمُكِ يعودُ ... في بُخارِ الحصارِ نسيتُه،

جَسَدُكِ يُعطيكِ بئراً، وجَسَدي سيفاً.

اِبكي، يا أسرارَ الأبواب!

XIII

الهاويةُ ملأى.

كلُّ هاويةٍ قديمةٍ وملأى.

لا شيءَ يدورُ في بطونِ الجمالِ، والأرْزُ فاتَهُ القطارُ، وإنْ بدا مسافراً.

في القاعِ أخذْتُكِ، وعلى السَّطحِ أخذْتُكِ.

وفي يَدَيَّ ظهَرَتْ يَدَاي

وفي فمي مدائح ...

تنزاحُ ثيابُكِ عن أغصاني، أَخْضَرُّ وأَيْبَسُ، أَخْضَرُّ وأَيْبَس.

ردفاكِ شاحبان!

مِن خَصْرِكِ يَدْلفُ الرملُ، ومن نهدَيْكِ الأولادُ، ومِن لسانِكِ العَسَلُ الخانق.

سَمِعْتُ فيكِ انهياري

ومُتُّ.

كلُّ سحابةٍ ماتَتْ

آهِ!

ما أكذبَ العبدَ الهارب!

الطَّابةُ تجيء

النَّشّابُ يقف

الصاعقةُ تُصعَق.

زَارِعُو الفتنةِ مَحروقُون في الذَّهَب

اللَّيلُ استأجرَ المُشعوذات!

لِمَنِ الأقدامُ البيضاءُ والثُّرَيّاتُ والعلَّيقُ الكهربائيّ

وحَمَلاتُ الأشعَّة

والخادمات

وحروفُ الحَلْق ...

ههنا! الصَّفحةُ الميتة

أحملُ الذُّرْوَةَ للهاوية

في البدءِ، ما أقربَ الهاوية!

كوكبُ العَسَلِ، كوكبُ العَسَل

يَدَان للخَنْق

مَنْ أشكرُ مَنْ أُبَخِّرُ برياحِ خلجاني؟ العودةُ خفيَّةٌ. العودةُ مدسوسةٌ في الصَّفِّ، والأجنحةُ مُبطَّنةٌ بالرَّقّاص، والرِّياحُ ... الرِّياحُ للرِّياح: «سنعودُ. أشياءُ كثيرةٌ بعدُ!». وكلُّ مالكِ سكَّةٍ، كلُّ سيِّدِ مَطرٍ، كلُّ زنبقةٍ في الصَّباحِ. نسكُنُ إلى الأبدِ أيدينا.

لو الوردةُ تُبطِئُ على الجَسَدِ! كوكبُ العَسَلِ يبكي. يَدَاه ... اذهبْ!

يَدَاه ...

الهاويةُ ملأى.

عَرَقُ السَّماءِ يُضيءُ الذُّبابَ. الرَّقَّاصُ ينظرُ إلى الكلمةِ، ويكويها.

العشاءُ انتهى!

بحَجَرٍ أحْفُرُ الحَجَرَ: جَسَدي وردة

أفتحُ فَمَهَا بيَدَيَّ

وحدِي أنزلُ دَرَجَهَا

يَترقرقُ عبيرُها على خَدَّيَّ

والدَّرَجُ يروحُ. يروحُ.

جَسَدي امرأتي

غيومُهُ أبوابي. غيومُهُ أعماقي.

جسدي امرأتي

جَسَدي

جسَدُ الهاوية!

هذا ما رواه ماموت. صدَّقتُهُ، وحزنتُ.

لو سُمِح، لقلتُ ماموت كان ضيِّقاً شحيحاً، فمات مقهوراً على سِنِّ العصورِ العجوزة.

لو سُمِح، وَضَعتُ نقطة. (لا أنوي النُّزولَ بين التَّصفيق) إلى السَّطرِ! حيثُ عفاريتُ البياضِ أطولُ وأصعبُ وأبعدُ وأسهلُ. إلى الهاويةِ. لُجج بأسماء تُشبهُنا. ما أمقَتَ المُولَعين بسواي! بدا أنّني غايةُ الوَرد. غايةُ الوَرْدِ حقَّاً. يَدَاي معي، هَرَمَان وراءَ الزُّجاج.

أكتبُ إلى جميع النساء

سَحَرْتُ نهراً. يَصْعَدُ ظَهْرَ الغشاءِ. سَحَرْتُ الغشاءَ. حربي ذلك السِّرُّ، لُعابُ سلاحي يُخَشْخِشُ فَرحَاً. رأسُ يُوسُف النَّجَّار على كتفي، وجميعُ العصافيرِ ترنُّ فيه. سَحَرْتُ ذاكرتي.

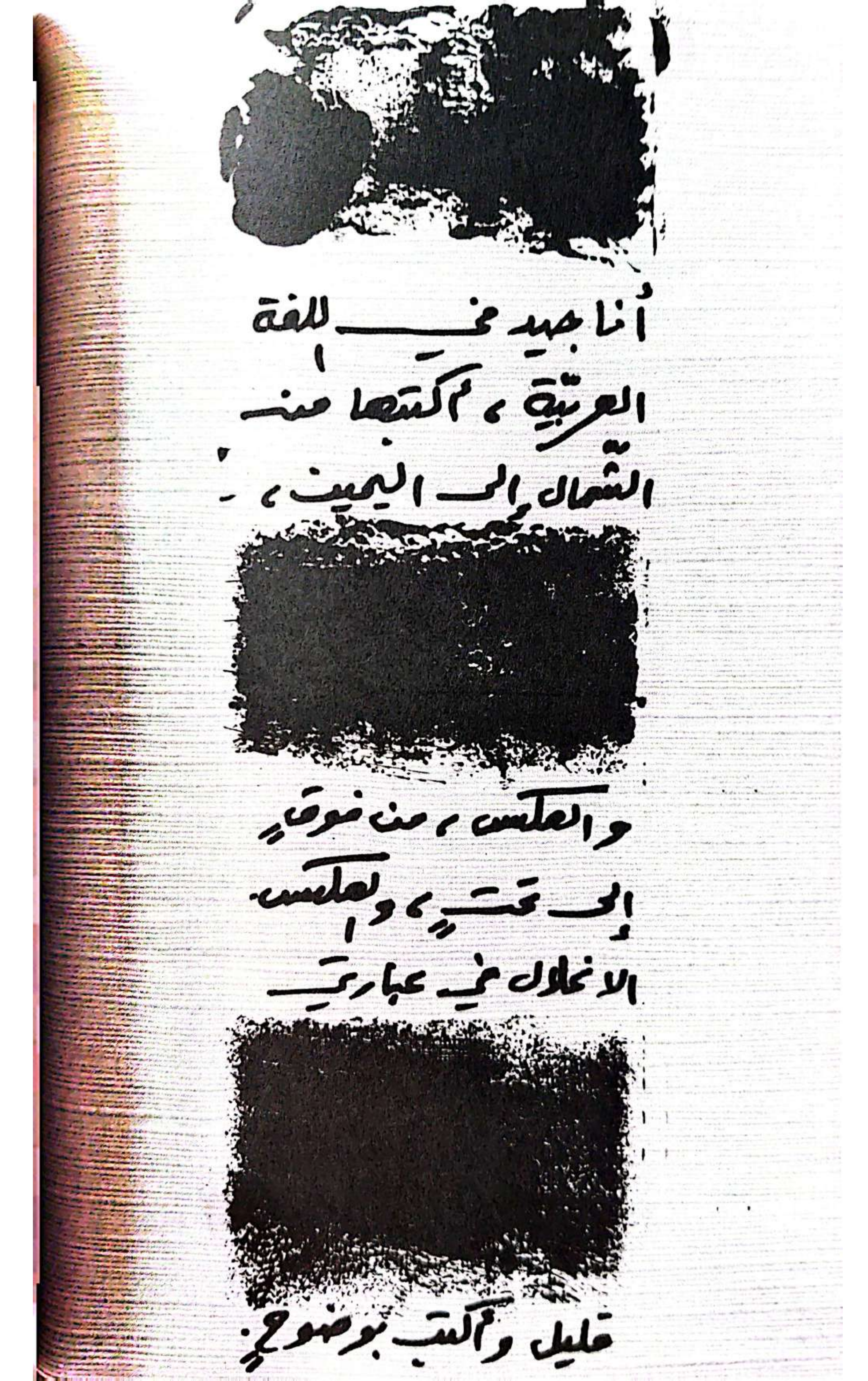
الأرضُ نظيفةٌ، تَحفُّ الأحلامُ بالنِّساء.

بِنتٌ مُشتعلةٌ تَنسَكب.

خَلَقْتُ

خَلَقْتُ

خَلَقْتُ كلَّ شيء.



[redacted]

أنا جيد في للغة
العربية ، ثم أكتبها من
الشمال إلى اليمين ،

[redacted]

والعكس ، من فوق ،
إلى تحت ، والعكس
الانحلال في عباراتي

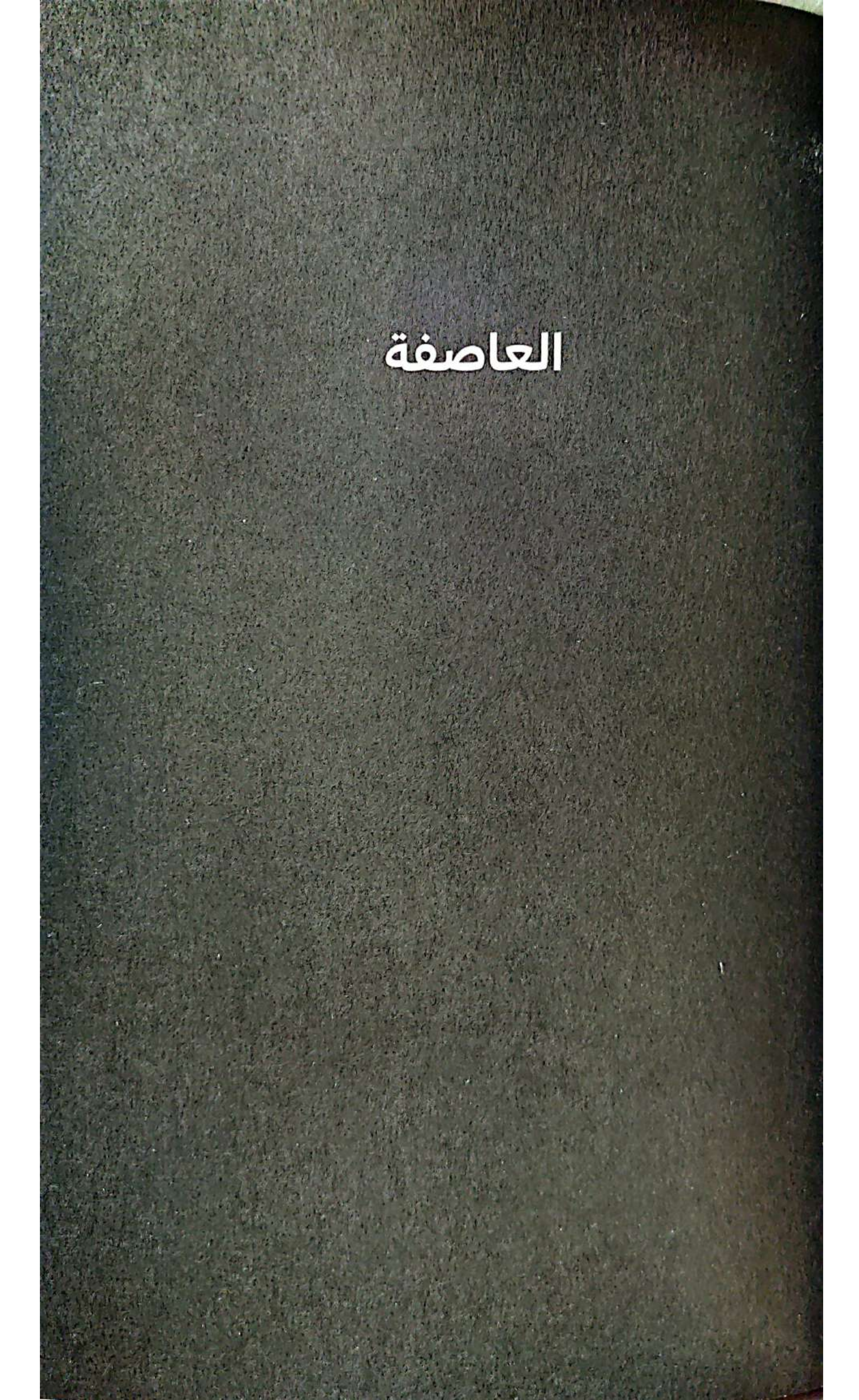
[redacted]

قليل وثم أكتب بوضوح

1965

ماضي الأيّام الآتية

إليّ


العاصفة

حين جُنِنْتُ وقرَّرْتُ أن أضحَك

وَحَمَلْتُ على ظهورِ النِّساءِ سريراً

حتَّى أصبحُوا جميعاً يعرفُون ما بي

وكانوا ينظرون إلى المَلِكِ، فصارُوا إلى الجسد،

تلك القصَّة

لو عادَ زمانُنا، أَيَّتُها الطَّالعةُ من الرِّواياتِ، لجعلتُها أثمَنَ في الموت.

كما ترين كلُّ كلمة

أصدروا كلَّ كلمة

ويُخيَّل إليَّ، وقد جَمَعْتُ المُتناقضاتِ، أنيّ لم أعدْ أصلحُ حتَّى كاذباً

(أو مُبالِغاً)

وقد كُنتُ أتوقَّعُ وأتوقَّعُ إلَّا هذا: أنْ أقعَ كسمكةِ القرشِ أنيقاً

ناعساً كالحَنْكَلِيْس

مفتوحَ البَصَر

وبأُعجُوبة

أُطوِّقُ التَّجمُّعاتِ

الكوارثَ

والأمورَ

والنَّاحيةَ الأُخرى.

أيَّةُ أشياءَ وراءَ الجبال

أيَّةُ ذكرياتٍ لكنَّ في البلاد الحارَّة؟

أيَّةُ منازعاتٍ ومُضاجعاتٍ على سواحلِ أوروبا المُشمِسَة

أيَّةُ التفاتاتٍ تُهرِّبُكنَّ من شهواتِنا؟

أيَّ بديلٍ كُنتُ

مأخوذاً، أيَّتُها الملسوعةُ بمجاعتي

سجينةَ وهجي

مُلَبِّيَةَ شتائمي

وعَودتي عنها!

أيَّ لسانٍ كُنتُ لشهواتٍ بائسةٍ، مَوَّهَتْها أمواجٌ طَفَرَتْ وراءَ ماضيكِ الحبيبِ، وحَجَبَتْهُ

وجَفْصَنَتْكِ

وشدَّتْني إليهِ لآخذكِ عليه، فأصير فِراشه كما أصير موجه

وكوحشٍ يرعى تحتَ الحَلْق

أتَدمَّرُ

وفيكِ أُدمِّر كُلَّ امرأة!
لم يَقُمْ حُبٌّ إلَّا حُبِّي
إلَّا حُبِّي
لم يقمْ حُبٌّ إلَّا حُبِّي
إلَّا حُبِّي
لم يقمْ حُبٌّ إلَّا حُبِّي
بالعودةِ إلى النَّارِ والسَّيْرِ مع الأسد.
كما غنَّى لم يُغنِّ أحد
وكما تمزَّقَ كأسنانٍ تصنعُ البرَق
أسرع أسرع فأسرع
وكما تجهَّم وانْجَذَبَ انْجِذَابَ الفَأر
وكما طافَ بالأوجاعِ الشَّخصيَّة
الأوجاعِ الأوجاعِ الشَّخصيَّة
أُكرِّر
أُكرِّر
حتَّى تصبحَ قاعدةً للاحترامِ: الأوجاعِ الأوجاعِ الشَّخصيَّة
وكما تجمَّعَ على بعضِهِ كتاباً مَبْلُولاً
وانفتحَ عَطَشاً وكالورقِ اليابس
وانفتحَ وانغلقَ

وكما اتَّضَعَ وتوسَّلَ وتبذَّلَ في الألفاظ

وارتاحَ في الهَلَع

وتَمَدَّدَ في السكوت

وكما طافَ بالأوجاعِ الشَّخصيَّة

الأوجاعِ الشَّخصيَّة لا أحدَ يعرفُ كيفَ

وكما انقلبَ إلى آخر

لا يُوصَفُ لكنَّهُ سيعود

وربَّما سواي

ربَّما سواي المرَّةَ المُقبلة ...

لم يَقُمْ إلَّا كُرْهي.

ما ذكرتُهُ لا يُلغَى

ما ذكرتُهُ لم يمُت

لكنَّهُ لم يمُتني

(لا تَدْعُوهُ يَقتُلْكُم!)

لذلك الكُرْه

الكُرْهُ وهو الضَّحِك.

ورائيَ الضَّاحكون الذين كانُوا أعدائي

انضممتُ إليهم

(انضمُّوا إلى أعدائِكُم!)

صرتُ أكثرَ فَشَلاً

أكثرَ إيذاءً

لأنّني حين وجَدتُكِ تحتَ ثيابٍ لم ألمسْ أخطرَ منها

وجدتُ فيكِ كلَّ شيء

وحين وضعتُ يدي عليكِ

آكُلُكِ لقمةً لقمة، وتأكلينَني لقمةً لقمةً

وجدتُ كم جوعي سيكون

ومتاهتي

وكم أنتهي

وكم لا حُدودي وكيف كالسيف

وكيف

أيَّتُها الأُنثى الطَّائرةُ يمُدِّدُكِ الجنسُ على أعشابي

تُعانقين فقط أعشابي.

وكُنتُ قد أحسَسْتُ أنَّكِ مُختلفة

وبدأتُ أُجهِّزُ فنونَ العزمِ والدَّهشةِ بعدما مَزَجْتُ عشقي بمياهِ

ونيرانٍ من السَّماء

قريبةٍ من السَّماء

وبدأتُ أعثرُ على جسمِكِ في النِّساءِ وعلى النِّساء

فيكِ

وبدأتُ وأنا مضطجعٌ عليكِ أفقدُ عادةَ الفراغ
وبدأتُ وأنا أنتظرُكِ أكتشفُ أنْ يكونَ للمرأةِ فم
أنْ تكونَ يد
أنْ تكونَ امرأةٌ، أنْ تكون
حَرَكةُ الطَّيرِ، حَرَكةُ الفهدِ، حَرَكةُ الأفعى.
ولمَّا صرتُ في لَذَّتي
وصار جَسَدي
ملأتُ المُربَّعات
فخرجْتِ تصيحين كقدِّيسة، وتصمتين كعاهرة.
أختارُكِ
بين جميعِ أنواعِ فشلي أختارُكِ
الفشلُ
الذي صاغَني صيغةَ البطاقةِ، وقدَّم عقلي كريشة
وسَحَقَهُ كحنطة
وجوَّفَهُ ككهف
وجرَّأهُ جُرأةَ الإعدام
ورنَّ فيه رنَّةَ الولادةِ رنَّةَ الموتِ رنَّةَ الولادة
أختارُكِ امرأةَ طموحي، وامرأةَ انهياري
وصوتُكِ يُردِّدُ: أُحِبُّكَ

وصوتُكِ لا يزالُ يُردِّدُ: أُحِبُّكَ.
وصلتُ إلى البكاءِ ولم أبكِ
لكنْ، ثأرتُ عندما وصلتُ إلى الثَّأر
وطَبَعْتُ عليكِ وأنا أفتكُ بكِ رَجُلاً
وعَظَمَة وجودِكِ القاتلة!
في حُروفي تلمعُ شفرةٌ كأنّها تلمعُ في رقبةِ شعبٍ ودمُهُ لا يُلطِّخُها
يلمعُ البَطَرُ والدمار
تلمعُ جُثثُ امرأة
وهذا يقتلُكِ،
وأنّني شاعر لي
وأنّكِ مُقطَّبة بعروقي
وأنّني كلَّما خسرتُ ربحتُ
ودائماً يَدَاي تَقْطعان
ومن جُثَّتي مهما كان الزَّمانُ تفوحُ الجنَّةُ، وينسابُ حنانُ الجحيم
وتصعدُ لذائذُ الوحوشِ الوحشيَّة
وترتفعُ ضحكةٌ غيرُ ضحكةِ العبدِ السَّاكنِ جَسَدَكِ
السَّاكنِ
السَّاكنِ جَسَدَكِ
وتكرهينَني

(هل تكرهينَني؟)

لأنّ ما يقتلُكِ

ويقتلُني

يقتلُكِ بعدما مُتُّ

بعدما عفَّرتُ فيكِ عميقاً

يقتلُكِ

وصفاؤُكِ يرميكِ بين مخالبِهِ كاللُّعبة!

أُريدُ أنْ أتوقَّفَ عن الرِّثاءِ وكالالمِّ

أركعُ

فاتحاً خزائِني مالكاً

مَلِكاً

باسطاً

مُشْعِلاً بشِعري روحَ الأرض

قاطعاً

رابحاً

رائجاً فالتاً جميلاً وحيداً مُتدخِّلاً في كُلِّ شيءٍ رافضاً

قابلاً

ملعوناً لا يبقى حجرٌ إلَّا يطيرُ لصوتي.

قُلتُ لهم سأكتبُ يوماً عنكِ هذه القصيدة

قُلتُ لهم حين جُننتُ وحين قرَّرتُ أن أضحك.

لا قصيدتي تصحُّ ولا جَسَدكِ.

هذه فتاةٌ صغيرةٌ تَشردُ عن قطيع

أُعطِّي ضبابَ وَحْيك بجسدها

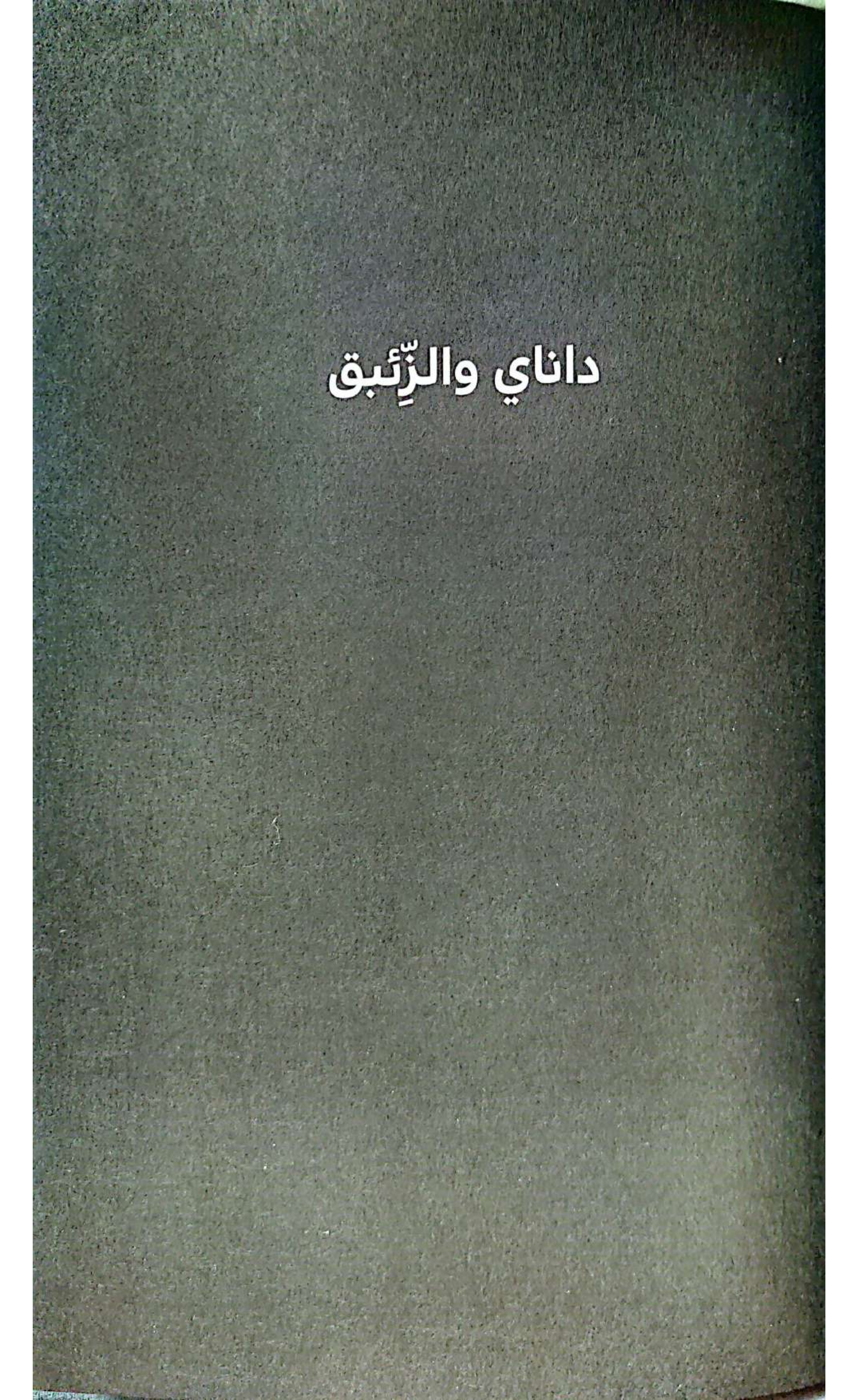
كما قليلاً وأخترقُ وَحْيَها الصغير.

وأظلُّ أُلقي على الضَّبابِ جَسَداً فوقَ جَسَد

فوقَ جَسَدكِ

فوقَ جَسَدكِ

فوقَ جَسَدكِ الذي لا يتجسَّد.



داناي والزِّئبق

زوس

داناي
عندما وجدتُ لكِ هذا الاسمَ لم أكن
أعرفُ أنّني زوس
الذي هَبَطَ عليكِ في السجن
مَطَراً من الذَّهب
وأنجبَ منكِ ذكَراً
قَتَلَ جَدَّهُ حسبَ النُّبُوءةِ وصار
بطلاً شعبيّاً من اليونان
حتّى آسيا الصُّغْرَى.
فجأةً أخْبَرْتِني
واستغربتِ كيف صادفَ الاسم
وآلَمَني استغرابُكِ، فليسَ غير زوس خليقاً بكِ
إلهِ البرْق والرِّياحِ والغُيوم
سيِّدِ العالمِ الأسفلِ والأوسطِ والأعلى
المُخَلِّصِ المُنتقم
المُتعدِّدِ أُسلوب الإغراءِ والزيارة

المرموزِ بالصَّاعقةِ بالنَّسرِ بالأفعى بالسّنديان.
غيره لا يقدرُ أنْ يزورَ ويُغرِي داناي
(لا أُريدُ أنْ يَقْدِرَ غيرُه)
غيره لا طريقَ له إلى داناي
الإلهةُ العشيقةُ الحوريَّةُ الزَّائلة
التي حَمَلَهَا الموجُ إليَّ عذراء
فأنجبتُ كلَّ ما أنجبتُ منها
وألقيتُها
على الموجِ إلى المُستقبلِ عذراء.

نامُوا مع داناي

يحملُ رسالةً تقول
أبو نوَّاس هنا
أبو تمَّام
ابنُ الرُّوميّ
الشَّريفُ الرَّضيّ
الحلاَّجُ على حصانِ الحجَّاج.
وآخرُ يقول
عواصفُ على طواحينِ الشَّرق
وغصونٌ تتأمَّلُ أوروبا.
وآخرُ:
الشَّيطانُ يَكْشفُ للمَلعُونين
عَدَمَ الشَّيطان!
وآخرُ
يُعيدُ الفعلَ الماضيَ إلى فوق
بين الأروقة.

وآخرُ:

الحُبُّ لا يتعمَّدُ أنْ يكونَ الحُبّ.

وآخرُ:

أكثرُ ما كان يُؤلِمُ شارلي شابلن

أنه لم يقدرْ على الصمت

أكثرُ ما كان يُؤلِمُ هنري ميشو

أنَّهُ لم يقدرْ على الصُّراخ

أكثرُ ما كان يُؤلِمُ برتولد برخت

أنَّهُ ذُروةُ ما يرفض

أكثرُ ما كان يُؤلِمُ جبران اللَّازورد

أكثرُ ما كان يُؤلِمُ دافنشي أنّه ارتوى

أكثرُ ما كان يُؤلِمُ فيروز أنّها تحلم أن تخرج

أكثرُ ما كان يُؤلِمُ بروتون أنّه لم يَقْدِر أنّه لم ييأس

أكثرُ ما كان يُؤلِمُ جورج شحادة هو العسل

أكثرُ ما كان يُؤلِمُ محمَّد الرموز

أكثرُ ما كان يُؤلِمُ فرعون أنّه لم يقدرْ أنْ يكونَ النِّيل

أكثرُ ما كان يُؤلِمُ النِّيل أنّه لا يقدرُ أنْ يصيحَ، ولا أن يسكتَ، ولا أنْ يكونَ فرعونَ، ولا نفرتيتي

أكثرُ ما كان كان يُؤلِم

أكثرُ ما كان يُؤلِمُ لم يكن
أكثرُ ما كان يُؤلِمُ داناي هو الرُّفوف
والسُّنونو
وأزرارُ عاشقِها المُبَكَّلة.
وآخرُ جاءَ قائلاً:
الإشراقُ لا يظهرُ إلَّا بالنَّثْر.
فان غوغ لم يعرفْ ولا شكسبير
أنَّ رمبو سَرَقَ البريد!
وآخرُ
أنْ حَمَلَ اللهِ مَدْعُوٌّ إلى بلدنا
وجميعَ الأممِ والدساكر
حتَّى يزدادَ وضوحُهُ غُموضاً
وغُموضُهُ وضوحاً.
وآخرُ
تارةً ينحني أو صَنَم
تارةً يُحلِّقُ أو يُلزِّق
تارةً يُهدي أو يتسوَّل
تارةً يأخذُ أو يبكي
تارةً تائهٌ أو دقيق

تارةً يُتابعُ سَيْرُهُ أو يُطوِّلُ أظافرَهُ في السَّرير

لم يَقُلْ عن أحد

وقيلَ موجة جديدة.

وآخرُ

نَظْرَةٌ فوقَها دُخانٌ وعليها

الماضي بالزُّور

جاءَ يُساعدُ المرشحينَ للموت

وعندما يُرى في مهمَّتِهِ يبدو ثقيلاً

وهو

ثقيل.

وآخرُ

هو الذي كان يَرضعُ القصصَ المثيرة

لا يعرفُ السَّببَ وكيف

لو عملَ جاسوساً، لَخَانَ الجميع.

اذهبي، يا داناي

(داناي امرأة

كان لها دورٌ في كُلِّ مَنْ عاش

في كُلِّ مَنْ عاشَ في قلبِ الذي جاء

واحداً بعدَ آخر)

اذهبي، ما أجملَكِ!

كُلُّ الذين وَرَدَ ذِكْرُهُم في هذا الخبر

أُصِيبُوا برئَتِكِ

واختنقُوا بفضائِكَ المفتوح.

الزَّمانُ سيَغمرُ

الرِّياح ستهبّ

والذين كانوا

والذين ورَدُوا في الخَبَر

نامُوا مع داناي

دونَ ذِكْرِ اليومِ والشَّهرِ والسَّنة.

محورُ الزِّئبقِ

أنا مِن جنسِ المُحور

الحاوي القنافذَ والعقارب

القُبَّراتِ الجزيلةَ الصَّحْو

أحصنةَ إبليس الرَّاهبات

النَّسرَ ونُخاعَ الصَّعْتَر

وجداولَ السَّرطانِ والهُدْهُد.

أنا من طَبقَةِ المحور

المُؤلَّف من الإنكار

من قُربان التَّخطِّي

من رُوحِ قُدُسِ المُخالفة

وأجْوَد فَعَلَةِ الوجهِ والقفا.

أنا من حُرِّيَّةِ المحور

كُلُّ واحدٍ منِّي جزيرة

وصحراءُ وإخوةٌ وأشرار

كُلُّ واحدٍ منِّي صين

ومصرُ ويونان
كُلُّ واحدٍ منِّي واحد
في عُمقِ الماءِ واستراحةِ الجنون
كُلُّ واحدٍ منِّي له
ضوضاءُ الملائكةِ ورُؤوسُ الشَّياطين
حُلولٌ إرهابيٌّ وعصيانٌ أبديّ
كلَّما دارتِ الأشياءُ دورة
كانوا فيها وراءَها وأمامَها
كلَّما شُوهِدُوا في مكان
شُوهِدُوا في مكانٍ آخر.

أضعُ ذقْني على الدَّبْق

قُلتُ: شُعاع! حَمَلَنِي وجاوبَ: ماذا تشتهي؟

وأسرعَ صبيٌّ من الصُّوفِ يجرُّ غيمَ الخُرافاتِ، فدعاني ذلك للقول.

ولم يمُيِّزْني! فَمَحَوْتُ القولَ قائلاً: لا يكفيني.

لحُسنِ الحظِّ عندي مَنْ يُفكِّرُ ومَنْ لا يُفكِّرُ.

أضَعُ ذقني على الدَّبق أُمازِحُ الزَّبائنَ والصَّيَّادين. مثلاً: كُلُّ القصَّة تشفِيها رحلة!

الضُّبَّاطُ والمُراقِبُون غيرُ سيِّئين، لكنْ، أقلُّ جمالاً.

هذه فُروقٌ جوهريَّةٌ. لن يذهبَ أحدٌ بعيداً في النِّظام

ولا بعيداً في الثَّورة. الصَّوابُ هو أنا.

ولماذا التَّعبُ؟ كلَّما قلتُ كلمةً، حَمَلَنِي شُعَاع!

زيحُ الشَّغَفِ الأزرقِ

أصبحَ ارتحالي من فصلٍ إلى فصل
حُجَّةً لتدبيرِ الغذاءِ بقصدِ ارتحالٍ آخر
وكما تتَّجهُ الطُّيورُ بحكمة
رُحتُ أدبُّ من مُحيطٍ إلى مُحيط
من القِمَمِ إلى الأغصان
من ليلٍ إلى ليلٍ إلى ليل
حتَّى ضُربْتُ
بصيتِ الجنونِ العذْب.
بعدما رأيْنا كيف حكمةُ الطُّيور
أُذكِّركُم أنَّ من طبائعِ الكائنات
أن تضرَّ نفسَها.
كُنتُ سلَحْفاة على الحِجَار
محفورةً على الجذوعِ والمساند
محفورةً على الخواتم
محفورةً على كواحلِ الجبال.

ورأيتُ الفضاء
فرأيتُ الفضاء
ولمَّا رأيتُهُ جميلاً أحببتُ يمامةً حَمَلَتْني.
وحين أُعجِبْتُ برائحةِ الأرضِ عليَّ
حطَّتْني في التُّراب
ورفعتُ عن اليمامةِ نفسي
فَوَقَفتْ في الفضاء
كالرُّمح.
لا عطرَ، بالفعلِ، بعد داناي
بين جناحَيْها وضعتُ الكَنْز
وأرْخَتْ على رُكبَتَيَّ العِلْمَ والجهل
وفي فمِي خبَّأتْ ملفَّ الحُبِّ
وعَرَفْنا الأشياءَ التي لا تُسمَّى
كالرُّمحِ تجمَّدتْ وعاشتْ كالبَرْق
وأنا كدرويشٍ تهوَّرتُ على التراب
وعلى خيمتي بصَّارٌ وبهلوانٌ وجوَّال
وأوتاري تطنُّ كنحلةٍ تعصفُ برُجاجة.
ذكَّرْتُكُم من طبائعِ الكائنات
أن تضرَّ نفسَها

وأنَّ الكائناتِ بينها وبين بعضِها
يمامةٌ وسلَحْفاة
كما بين يمامةٍ وسُلَحُفاة
قُبْلةُ التَّوحُّدِ الهارب
شفرةُ المُستحيلِ الكريمة
وريحُ الشَّغَفَ الأزرق.
ليُصبحَ ارتحالي من فصلٍ إلى فصل
رجاءً لكم جميعاً
فأنا أَصْدَقُ شهادة
في هذه المسألةِ المُغْلَقةِ كالصَّمغ
الأُمِّيَّة كالسَّبْع
التي لها اسمٌ بسيطٌ بين الأسماء:
الخُرافة.

الكأسُ

لن أتوقّف
لن أتوقّف
تحتَ القَمَرِ بالثَّوبِ الأبيض
غَرَقاً
في اليومِ التالي
بين ضَرَباتِ الصَّدر.
أنتِ
في قُبَّةِ الضَّباب
وآبارِ الكنائسِ المُستطيلة
في الأعياد
وشَعْشَعَةِ الواجهات
وحقولِ الإيقاعاتِ الشَّعبيَّة
ونَحلِ الضَّجيجِ اليائس
وإقلاعِ السُّفنِ والخمور
تتبقين لي وأنا أشعر
فتقف التَّجاعيدُ والطّراوات

والأرضُ تمدُّ رأسَها
تتبعُنا من كلمةٍ إلى كلمة
من عُصفُور
إلى عُصفُور.
سمعتُ وأنا بعيد
وعندما حاولتْ أنْ أُقرِّب
وضعتِ يَدَكِ.
سمعتُ وأنا بعيد
ورأيتُ خلفَ الغابات
الشُّعوبَ القديمة.

الثَّعلبُ هو اليخت

واحدة،

وأيضاً ثانية

وثالثةٌ تصرخُ: الأبديَّة؟ يا لَلْعار!

واحدةٌ حادَّةٌ كالشَّهقة، وواحدةٌ مُتَّجهة إلى الصَّباح، وواحدةٌ كادتْ تعرفُ أنّ الثَّعلبَ هو اليخت،

وواحدةٌ قتلُوها أمامَها، لأنَّها تتكاثرُ، ولا تُوصَف.

واحدةُ المذابح المُضطهِدة بعينَيْها الهواء، وواحدةٌ تضحكُ، تفكُّ الأصفادَ، تشدُّها، تهزُّني كالرِّسالة، وواحدةٌ مصفوفةٌ كالمُسَدَّس.

واحدةٌ نَسيَتْ، وواحدةٌ نامتْ، وواحدة

(أنتِ الجميعُ، داناي!)

هي الأولى في الصَّفِّ، وأُحِبُّها.

النَّحلةُ

حقّاً سيكونُ كُلُّ شيءٍ ذليلاً كالعادةِ، ثمَّ يرتمي الضَّائعُ على الأحضانِ، وتأتيه الرَّحمةُ. أمَّا المُكابِرُ، فآثمٌ، والمُغلِقُ بيتَهُ في الوجهِ مَغْلَقَةٌ ضلوعُه.

وإنَّ دهشتَهُ ستكونُ ساحقة!

مَن الغُرباء؟ أقبلتِ الغريبةُ داناي، فخلعتْ علينا المطر، وسالت دماؤُها في مواقدِ الأكواخِ الجبليَّةِ، واصطادتِ الدِّبَبَة والوحوش. وحين أردْنا شُكرَها، أجابتْ أنّها لم تعرفْ أنّها فعلتْ. مَنِ الغريبة؟ نحلة.

لنترك الكلامَ للزّنبقِ.

حُبِّي لكِ، أيَّتُها المرأةُ. محوتِ البحارَ الميتة. أشرقتْ معالمُكِ على صخورِنا الشَّمطاء، ونوَّرتِ الريح. السَّلامُ على سُلطان شَفَتَيْكِ، قلبُكِ يسقطُ في مَغربِنا، فنصعدُ، والنَّومُ لا يُفارقُ صحوَكِ الشَّهوانيَّ. وأنتِ معي، وها السَّمَكُ وأكاليلُ النَّعناع والفوارسُ وها القهوةُ والقَمَرُ وأسماءُ الجَمْعِ تُحْفَر على الطِّلالِ والغُبارِ، والنَّومُ لا يُفارقُ صحوَكِ الشَّهوانيَّ، لأنّكِ سعيدةُ الحظِّ، تنامُ فيكِ آلامُنا، وتدفقُ محاصيلنا. يا مُمْتلئةً غُربةً، أفْسِحِي لي.

مَنِ الغرباء!؟ مَنِ الغرباء!؟ الوَلَدُ خجولٌ قُربَ أُمِّه، فالغريبةُ بعيدة.

ينهضُ الولدُ، ويقذفُ بالدَّار، ويَدفنُ في الطَّريقِ أصولَه. يركضون وراءَهُ، ليستدلّوا. لنلحقْ بالولدِ إلى الأمِّ، إلى الرَّاهبةِ العشيقة. وتعالوا نهجر الوطنَ، لنسكنَ فيه.

النَّحلةُ تخنقُ العَوْسَجَ، وعُريها يندلعُ كالنَّبع. داناي النَّحلةُ الغريبةُ اللاَّجئةُ التي عُشِقَتْ قبلي حين كُنتُ أنتظرُها، حين كُنتُ خميراً في سريرِها، داناي جاءتْ.

وجاءتْ لي، أستحقُّها ولا أستحقُّها! تتفوَّهُ بالأحلامِ، وليس بالمواعظِ. وأنا وهي نقترنُ بالحريقِ، لنُقبِّلَ من جديد شفاهَنا القديمة.

مَنِ الغريبةُ، قلْ؟ ليس من صاحبِ بيتٍ فيَّ بعد اللَّيلة، أركضُ على صوتِ نحلتي المُدوَّرةِ الوجهِ وراءَ بيتِنا الآتي، ويهربُ ليلحقَ بصوتِها. وأُشعِلُ في الغيومِ الدَّوريَّةِ الخمورَ والتعاويذَ وملفَّاتِ العمادِ، وأنا وداناي نربطُ، حين تهدأُ قليلاً، الذِّكريات بأحزمةِ البحَّارةِ المرتَزِقَة. نحنُ نبدأُ ونعودُ. غاباتُ الأرزِ مشحرة صافية.

دَخَلَتْني داناي كالسَّهمِ، ودَخَلَتْني كالسَّهمِ اللَّيِّن. أحلامُها الصَّاحيةُ تعفو عنِّي.

أطْردُ طيورَ الماضي، وأُتلِفُ الأزهارَ السَّابقةَ، فالتي جاءتْ لا تليقُ بها عاداتي.

وأخترعُ لداناي طائراً وزهرةً ...

إذا أردتَ أن تركبَ الخيلَ

إذا أردتَ أنْ تركبَ الخيلَ، ليكنْ لكَ شَعْرُ امرأة،

تُؤيِّدُكَ الغاباتُ، والرِّياحُ تنطرحُ عليكَ.

ولا تكنْ بين امرأتَينْ عبداً، إذ تنزلُ الأُولى، يستعبدُكَ خوفُ نزولِ الأُخرى. (أيَّتُها العبوديَّةُ! لتتغيَّرْ هذه الصِّيغةُ المنقولةُ عن أيَّتُها الحُرِّيَّة ...)

الخيلُ خيَّالُ الخيالِ معقودٌ عليها الهَرَب، حيثُ الورودُ البيضُ تلَذُّ كالورودِ الحمرِ: الأولى مسروقةٌ، والأُخرى مقطوفةٌ (اللِّصُّ والمُقامرُ من فصيلةٍ واحدةٍ، هي الأنبياءُ).

شَعْرُ داناي صيَّادُ الماءِ العَكِرِ، للحَذَرِ والغوصِ والعبورِ والسقوطِ والتَّهريبِ. أنتَ لا تعرفُ: شَعْرُ داناي يتركُ الخيرَ، يتركُ الشَّرَّ، يتركُ الشِّعْر، يقولُ: حتَّى أنتَ، يا قيصرُ؟

شوكةٌ

وأنتِ وأنتِ، حظُّكِ الرَّطبُ، تعودُ الأيَّامُ بين أسنانِكِ. صوتُكِ تشبيهٌ هائجٌ، ومن لذائذكِ حركةٌ كقطيعٍ.

أنا الصُّوفانُ جبينُكِ يَقدَحُني كظهرِ القَشِّ. أدوخُ دوخةَ الأجراسِ، دوخةَ الرُّؤوسِ، وكالصَّعْتَرِ أفرحُ وأفوحُ.

قُمتُ من النَّومِ خَلنْج.

سَفَري أخفُّ، كتابي أقْدَمُ. لكِ عَيْنَان باسِلَتَان كالماءِ، وأردُّ أطرافَكِ على ظَهْري.

مثل شوكةِ دمعةٍ، على شَفَتَيَّ، وفي شَفَتَيَّ كالأجنحةِ.

اللَّحظةُ حريرٌ وحجرٌ

لا أذكرُ كتبتُ لكِ كلمةَ شِعْر: كُلُّ هذا كان تقليداً لطعمكِ الجسديِّ.

وعندما تبحثين عن بلادٍ يَصلبون فيها العصافيرَ مقلوبةً، أتبعُكِ لأرى بنفسجات قَدَمَيْكِ تتفتَّح من خميرِ رغبتي الرَّتيبة. وهكذا أعبُدُك، تحتَ حريرِ اللَّحظةِ أو حَجَرِها، وتحسبين تَعبي نبوغاً.

لم أُؤلِّف لكِ كلمة. وما إنْ كتبتُ حتَّى قلتِ: لا أريدُ أنْ أرى رجُلاً!

وقبلَ أنْ أنزلَ إلى الرَّصيفِ، أنْزَلْتُ غوَّاصَتي في بَحْرِكِ، داناي، حيثُ لا غوَّاصةَ، لا بحرَ، لا داناي.

وأضحكتُكِ، لأنيّ لم أغرقْ في هذا الغوصِ، وظننتِ صَرْخةَ خَجَلي أغنيةَ انتصارٍ...

الأبدُ الطَّيَّارُ

أطلَعْتُ القَدَرَ من وجهِ داناي، كَرَّرْتُ القَدَرَ، ونوَّعتُه.

ثمَّ ظَلَمْتُها! وما زلتُ أُلاحِقُها: فلن يُحِبَّهَا أحدٌ مثلي.

ومن جَسَدي، أطلعتُ بيَدَيْها الأبَدَ الطَّيَّارَ غيوراً عليها ممزوجاً بملحِ دموعِهَا القليلةِ،

وكم غَفَرَتْ لي داناي كلَّ هذا الحُبِّ!

جنونُ زوس

لهذا السَّببِ تسحبُ الغَيْرةُ نَفَسي، تَبكيني الثِّقةُ. لا أفعلُ ما يُشبهُ المذكِّراتِ، إنّي مُبْصِرٌ أنّي أكرهُ المعرفةَ.

لو أضحكُ!

وأفعلُ ما يُشبهُ، ما يكونُ المُنسِيَّات!

وأُريدُ أنْ أُنهيَ هذه الوقيعةَ مع الحظِّ!

ماذا أُعيِّنُهُ؟ قائدَ الخيَّالة؟ سأتزوَّجُهُ حتَّى يذوبَ، ولن يكونَ محظوظاً.

نَمَشُ الحَظِّ

I

جَعَلتُ بيتَكِ حَجَراً
رميتُ بئرِي عليه
جَعَلتُ بيتَكِ وردة
أضربُ ورقةً منها بكفِّي
تَنْشَقُّ، ويُسمَعُ لها
غناءُ القَصَبِ، وصياحُ «مولاي»
وفحيحُ صَمْغِكِ الرُّوحيِّ
في فخذَيْكِ المسبُوعَتَيْن
جعلتُ بيتكِ بئراً
مُحيطة بالنِّسيانِ والذَّاكرة
من الحُلْمِ إلى الحُلْم
في الكون أكثر فأكثر.

II

على رأسِ المدرجِ يموتُ ماءُ العددِ الأكبرِ حين تسألُكَ: «أنتَ؟»، فتقعُ عنكَ مليونُ ورقةٍ صفراء.

وإذا كنتَ محليّ، دَعْ ملائكةَ الظّلامِ تتموَّجُ نحوكَ على مَهَل.

حَدَثَ مراراً ما يُشبه هذا، لكنْ، كُلُّ حركةٍ لا نهائيَّة وجديدةٌ أمامَ الشَّمس، فكُنتُ - مشحوناً بالمُناوراتِ - أبتلعُ ذكرياتي.

وتتلاشى، كالماءِ على القابض. أحملُ سراجَ الذهولِ في الخلسةِ والعقم. تقلبُ لي جنَّ الظّهر. أعودُ لا أراها، تقلبُ لي جنَّ الظهر طويلاً تحتَ منارةِ التَّعاويذِ المضادَّةِ للموتِ،

وأراها ...

تتمجَّدُ لحظتان لحظة!

III

عشْ مَلِكاً، تكنْ قانعاً!

على تاجِ المدرجِ نشأ لعب بالسَّيفِ مع الزَّهرةِ التي أردتُ أن أفتِّحَها. وتفرَّغتُ، بنفادِ صبرِ الوحي، للارتماءِ على شريطِ هذا النَّمَشِ: فهو حتماً يولَد!

وعلمتُ شيئاً: احتلَّتِ المرأةُ مكاناً في المُستقبلِ: سوف تكونُ الماضي.

اسمُها مُركَّب من مُضاف غوغائيٍّ، ومُضافٍ إليه، رنينُه أقربُ إلى الشَّاي. وهي التي ضيَّعَتْكَ بين خيوطِ كَنْزَتِها!

أستطيعُ أن أجتازَ الحظَّ، فهو مَنْ يعتصمُ بي. لكنْ، ماذا يبقى؟ إذا تجاوزتُه، قد أُصبحُ فيئاً راقياً عوضَ أنْ أصيرَ إلهاً ودولاباً. وفيما الفيءُ يتشمَّسُ، الدَّولابُ طاغيةُ الذِّكريات وكاتمُ العناوين. يركضُ، يركضُ، يُعرِّشُ على داناي. يأخذُ قسطاً من الرّوح، إذ يدورُ على نمَش الحظِّ، وهو يجهلُ أنّ حظَّ النَّمَشِ يدورُ عليه.

IV

وحدةً عرفتُ، ووحيدَيْن صنعتُ.

من الضَّعفِ اختفيتُ، من الضَّعفِ ناديتُ، ومنه أطلبُكِ. إنْ أخذتُكِ مجيئُكِ أصْوَبُ غرَقٍ في قلبي. نصعدُ ننزلُ دهشتَنا.

افتحي معطفَكِ. أغلقي معطفَكِ. لآخرِ الملَكَاتِ أدَقُّ أنظمتي، لآخر الملَكَاتِ أبسطُ حركاتي. لآخرِ الملَكَاتِ آخرُ مُلوكي.

أُحِبُّكِ سَلَفاً.

افتحي، أغلِقي معطفَكِ...

V

أرفضُ وسأظلُّ أرفضُ البحثَ في فَشلِ الحُبِّ.

أتعهَّدُ فضائحَه، وأضعُ التَّقاريرَ عن دُيونه. لكنْ، أنتَ، المُستنطِقُ فشلَه، قُل لمَنْ يبكي على رَسْمِ درسٍ، إنّه أَجْرَأُ منِّي!

لن أسمحَ لأحدٍ أنْ يُسقِطَ شَعْرةً من هذه الكلمة. ولكي أُعطيَ المَثَل الصالحَ كم استهترتُ بمسؤوليَّة كسلي، لأخوض ظُلُمات امرأة، كانت - كُلَّ مرَّةٍ - تكون الأخيرةَ حتماً.

البارحةَ، في الشَّارعِ المُلثَّمِ بالجنسِ المُلثَّم (وهو الشَّارعُ الشَّبيهُ بجرنِ المعموديَّة المُنقطع، المسكونُ بأشباحِ العُصاةِ وخيالاتِ المُنتقمين والصعاليكِ والأشقياءِ، والمماثلُ لجميعِ الأحياءِ المُماثلةِ: الحيِّ الأرستقراطيِّ المُقيمِ في حالةِ انتظارٍ لمجيءِ المُستقبلِ، بإحدى استعاراتِ الماضي السَّفَاحةِ).

كُنتُ وأنا أسيرُ بجانبكِ سأدسُّ لؤلؤةَ شفافيَّتي القُصوى بين نهدَيْكِ. فقد سطعَتْ فجأة، كما يحصلُ في المُراهقة، وأخذتْ شكلَ سِرْبٍ من العصافير. وعندما بدأتُ أستعدُّ لإمساكِها، وَقَعَتْ قَدَمي على الأرضِ، وقلتِ: لا أسمعُ ما تقول.

إنّها خسارةٌ فادحة. لكنْ، أمامي أملان: أنْ أتقشَّرَ بالشِّعْر، وأنْ أُحِبَّكِ.

الاشتباهُ الشَّكُّ الهاجسُ والخوفُ بعدَ قليلٍ غُبار.

كُلُّهنَّ يَجرحنَ، والأخيرةُ تَقتل. كلُّ واحدةٍ هي الأخيرة.

هل تعرفين يوماً .. ستعرفين يوماً وَحْدَةَ الخلافات! هل تُصدِّقين أنّني، أبعدُ ما أصلُ، محدودٌ بجُلوسكِ، بغيابكِ، أمامي، كالزُّجاجة، لا يقتربُ بَرٌّ من بحرٍ، بغيرِ إرادتِها؟

وأنْ أقولَ في اسمكِ شاي، لا يعني أنْ ليس فيه حَبَل بلا دَنَس، تعليقةُ أنهار، قفّازاتُ أدغال، درّاجاتُ كواكب ... على ريشه وتحتَهُ وليمةُ الصَّحراء.

لا أحدَ غيري يُلبِسُك هذا الفرو. لا أحدَ يعرفُ إلى هذا الحَدِّ.

قبلَ الآن لم أُجرِّبْكِ غيرَ آلافِ المرَّاتِ، ومرَّةً. لسانُكِ فوقي إعصارٌ ونسيم.

أيَّتُها المرأةُ الأخيرةُ إلى الأبدِ أُحِبُّكِ بأبدِ الدَّقيقةِ العابرِ إلى الأبدِ موتَ أهراميَ الخالدة.

شتاءُ اليَدَيْن

الأفكارُ التي تجيءُ إلى النَّوم

الأفكارُ التي تجيءُ إلى النَّوم
كالأفكارِ التي تجيءُ إلى المائدة
والأفكارِ التي تجيءُ إلى النَّافذة
والأفكارِ التي تجيءُ في الوقتِ غيرِ المناسب.
وأنتَ تهتاجُ وتغصُّ
لأنَّكَ لا تقدرُ أنْ تكمشَها.
كُلُّنا مُتَّفقون: الأفكارُ التي لا تجيئُنا جاءتْ إلى غيرِنا
لكنَّ اتِّفاقُنا باطل
والحقيقةُ (الباهرةُ كأفكارٍ في الظُّلمة)
أنّ الأفكارَ التي لا تجيئُنا
تُريدُ أنْ نجيئَها!
طبعاً، يا سيِّدتي
حديثُكِ أخَّاذ.
لكنَّ الأفكار
(وهذا أقولُه لغيرِكِ)
الأفكارُ عندَكِ إسفنجةُ الجنس

تنظرين إليها
نظرةَ السِّفْلِس
والكَلَب
والسَّاعات
بفكرةٍ واحدة
ويدٍ تطلبين أن تكمشَكِ.
بينكِ وبين الأفكارِ رَجُل
بينه وبين الأفكار
أنتِ
داخل مُثلَّثِ الشَّعر
حيثُ تُلقين نظرةَ الألفِ والياء
تُعمِّرين الأقفاصَ والمَرابط
السِّفْلِسَ والكَلَبَ والسَّاعات
تصعدين وتهبطين
بالطَّبعات
القديمة والجديدة
والمُصحَّحة
والمُنقَّحة
والمَخصيَّة.

موعدٌ

جَمْعٌ من النِّساءِ حولَ رَجُلٍ مُحَطَّم.

قلتُ بابتسامةٍ: ندعوهُ قيس ليلى!

فهَبَطَتِ الحرارةُ بسرعة.

لم أرَ في حياتي عيوناً كتلك المُذيَّلةِ بالفساتين. وحين تركتُه، كان لا بدَّ لهنَّ أن يلحقنَ بي.

وانتظرنَني هناك امرأةً امرأة.

كُنتُ في مدينةٍ قرويَّة، غريبةِ الأطوارِ، على ضفافِ النَّهر. ودون أنْ أبتسم. كان الرَّجلُ المُحطَّمُ قد أتعبَني.

وتمَّ لقائي بهنَّ في البيتِ القديمِ، فتحوَّلتْ دعاباتي إلى دم.

وقتلتُهُنَّ بالفراغِ الكلاسيكيِّ.

من عصرِ النَّهضةِ

«هي اختارتْني من الماضي
ولم أربحْها بالحديدِ والنَّار.
إذا كانتْ أعلى الرِّواياتِ أو أسفلَها
ولاسيَّما الحكواتيَّة والمُسلسلات
مثالاً على ما بين أيدينا
لوجدْنا الهدفَ كحبَّةِ خرْدَل».
هذا ما قالَهُ الفارسُ الذي
لفَّتِ امرأةٌ ذراعَهُ بفوطةٍ بيضاء
دلالةً على أنّه من الأنصار
وإنْ لم يكنْ من الأنصار
لتحميَهُ في تلك المذبحة
التي ذَبَحَ فيها حَمَلَةُ الفُوَطِ البيضاء
غيرَ حَمَلَةِ الفُوَطِ البيضاء.
وأضافَ الفارسُ (الذي
قَتَلَ بعضَ القَتَلة)
أنّه بين الدَّمِ والحُبِّ لم يجدْ مكاناً للجلوس

فكان دائماً يُنتَقَى
إنْ من فكرة
أو من ماض
ويُصابُ في القلبِ كالحَجَل
ولا يصطادُ أحداً
إلَّا تكونُ الطريدةُ قد اختارتْه من قبل.

نهرُ الحياةِ من وسطِه

لي ثقةٌ عمياءُ بالرِّبَاطِ الأسود. أهو عيبٌ عندَكَ؟ لكنَّهُ مصباحُ علاء الدِّيْن. ولولا خوفي أن أُباغتَكَ، لقلت: يَدَاكَ تحملانه معي!

عندما ترجع إلى أيِّ بيتٍ، كان: انتبهْ. التَّيَّاراتُ مُنعقدة في الظُّلمة على أيِّ جدار، شرطَ أنْ يكونَ الجدارُ الذي لم يكنْ من المُنتظر أنْ يكون، وهو الجدارُ الذي لا يُمكنُ أنْ يكونَ إلَّا هو. وإنْ أزعجَكَ صوتٌ، أعطِهِ ما يلتهي به، وزُفَّ حالَكَ إلى النِّداء. تذكَّرْ أنَّكَ شرقيٌّ! وإن لم تكنْ شرقيّاً، تذكَّرْ أيضاً أنّكَ غربيٌّ! وإذا تذكَّرتَ، انسَ.

الحالة المُفضَّلةُ هي الجلوس، وحولَكَ مُستنقعُ الظُّلمةِ ينتقلُ من إلى، وكلَّما انتصبَ بينكَ وبينَه حاجزٌ، افعلْ شيئاً، مَلِّكِ الرِّبَاطَ من جبينِكَ.

تعرفُ ماذا حصلَ مرَّةً؟ على ندائي: «تعالي معي!» سَقَطَتْ في السّجَّادة مسحوبةً بتطريزٍ يدويٍّ بدائيٍّ، هو آيةٌ في الهدوءِ وهو مدفعُ مغناطيس، يقذفُ المُتناقضاتِ إلى سلَّة، لولا لذَّتي أن أُباغتَكَ، لقلتُ: تَحْملها معي، أيُّها الأبله!

لا تخفْ. من تحتِ الرِّبَاطِ لا تخرجُ عوانسٌ أو كائناتٌ مُتطفِّلة. ستربح. لتكنْ لكَ ثقةٌ تامَّة، فالذي فيكَ ينتظرُ زبوناً من غيمة. ونحنُ

نأتي من الشَّوارع، من المدارس، من البنايات ... مرَّةً أطلَعْتُ ابنَ عرب على الشَّرِّ، فانقطعَ عن الأنين، وأهدى مكتبَتَهُ الشِّعْرِيَّة.

لا أُريدُ أنْ أقطعَ رِزقَ أحدٍ غير السَّماءِ الرَّصاصيَّة والواجبات. ما أصلَب الشَّرَّ البشريَّ! كما لو كان فولكلوراً، كما لو كان ماساً، كما لو كان مُضطرَّاً، كما لو كان صوتَ إنسانٍ يموت! خدَّاعٌ ومتطوِّرٌ كالأزياء.

لقد ربَّيتُ إيماني بمغاورِ الأحداقِ، حيثُ كلُّ غائبٍ - عن - الوعي - بالعدَّاد هو غائبٌ إلى الوعي بالإشراقِ، مُنخطفُ ببَنْجِ الحُبِّ الشَّاحب على الشَّفير. هناك أيُّ كان يخرج حقَّاً، يدخل حقَّاً، ويجمعُ القشَّ بالزُّمُرُّدِ في إغراءِ ناعس على جواربِ حسناءَ من عصرِ اللَّواتي سُمِحَ لهنَّ بالتَّعرُّف، كأخواتِ جنِّيَّات، إلى مراعي الرُّجولة.

لتكن لكَ الثِّقةُ بالرِّباط المشدود. حتَّى العصيرُ النابعُ من هذا الضِّغطِ لا شيءَ أمامَ التَّمسُّكِ بالثِّقةِ السَّوداء. أقصِدُ العمياء. لم تُخبرْني العُصفُورةُ وحدَها، بل قرأتُ ذلك في لوحِ الوصايا الذي نسي مُوسى أن ينظرَ إليه، عندما لم يظهرْ له أحد، على المقلبِ الآخرِ من الجبل. وقد وجدتُ اللَّوحَ تحتَ الكرسيِّ الذي أكتبُ عليه، عندما دَهَمَتْني بلاهةُ العذابِ بخِرْقَةِ كلوروفورم، ألصَقَتْها بفمي، فتخشَّبتْ عيناي، وذهبتُ، ما أروعَ الطَّريق!

السُّخريةُ الوحشيَّةُ

هل تذكرُني، أيُّها السِّراجُ الوحشيّ!؟
كما لا يُحسُّ بعضُهُم كلمةً في الزهرة
كما لا يُحسُّون تَنادي الشَّلَّالاتِ وأصداءِ قهوةٍ في وادٍ أضيقَ من فنجان.
لا تشعرُ أيُّها السِّراجُ الوحشيّ!؟
تتحرَّكُ هذه الأسطرُ، تهتزُّ
تستهويها المُدنُ المُسنَّة
والأديرةُ التي تخنقُنا فيها امرأة
وتلالُ الخجلِ المُتلاعب
ورفاقي
أُخمِّنُهُم بأناملي، فيتسلسلونَ كالماء.
كُنتُ أظنُّ أنيّ أمازحكَ كما
يُؤخَذُ العطوسُ، وتُرمَى الأجوبة
وها أنتَ تُهنِّئُ بوفاتي ...

أنا جميلٌ

انصرفَ المُمثِّلون إلَّا واحداً يدرسُ التَّصوُّفَ، فعيّن لي موعداً في التَّيَّار الهوائيِّ.

وكان المُمثِّلون من التَّقدُّميِّيْن المُقنَّعين خارج التَّمثيل أيضاً.

أنا جيِّدٌ في اللُّغةِ العربيَّة، أكتبُها من الشِّمال إلى اليمين، والعكس، من فوقٍ إلى تحتٍ، والعكس. الانحلالُ في عباراتي قليلٌ، وأكتبُ بوُضوح.

شهرتُ حكايةً فارسيَّةً على المُمثِّل المَدهُون. وهو يُغفِلُون اسمَهُ في البرنامجِ حسبَ قانونِهم الصَّلْب.

لم أتعرَّضْ لِكَذِبِ هذه الطَّريقةِ إلَّا في اللَّحظةِ الأخيرةِ، وأظنُّ شاهدتُه يفعلُ ابتسامةً منحرفة.

وكالعادةِ رَشَشْتُ بعضَ الفتنةِ في الإعجابِ والرَّاحةِ والأمنِ والثِّقة.

إليكَ ما يُمكنُ استخلاصُهُ:

أيُّ شيءٍ يُمكنُ أنْ يكونَ إلغاءً لأيِّ شيءْ. أُغنيَّةٌ، وجهٌ سيتكلَّمُ، الرَّقصُ أو الرَّعدُ. ولا فرقَ بين آلاتِ الطَّرَبِ، ما دامَ الصَّوتُ هو القَصْد.

كعريفٍ لهذه الأوهامِ، لا أتنازلُ عن مُكبِّرِ الصَّوت. أسمعُ مَنْ يُغنّي، وأُغنّي.

على ذكري: لي من الأدواتِ الضَّبابُ، ومن الضَّبابِ الأدواتُ. فيَّ من الرُّعب الفارسُ، ومن القصر الدُّخيلاء.

نَظَري ذو جَسَد، العُشبُ عُشبي، والغائبُ، كما سَبَق وقلت، في انتظاري.

وعلى ذِكرِهِم، تركتُهم.

تركتُهُم، فأجيئُهُم وأنا ما يقولون وعكسُه، ما لا يقولُون وعكسُه. لم تكنْ مرَّتْ سحابةٌ عندما أخذتُ ما لقيصرَ، وأخذتُ ما للهِ، وأعطوني الباقي.

وعلى ذِكْرِهِ، لا أقومُ في اليومِ الثَّالثِ، بل أقومُ من الوعي، ولا أُريدُ تلامذة. منطقِي بَعْدَ المُشاركةِ، أيادٍ صاخبةٌ، تُقلِّبُ رَحِمَ الحياة.

جُزءاً بعدَ جُزءٍ، استثمرتُ ما وجدتُ، وطبعتُ النِّساء مُقدِّمة. قرصتُ عن الجميعِ عنَّاب الرُّؤى.

يركضُ الرَّكضُ، والشَّللُ بيني وبيني. الفنادقُ تحلُّ عليَّ. لستُ أكثرَ بلاهةً، ولا أكثرَ حرارةً، بل أكثرَ. تنطبقُ عليَّ النَّظَريَّاتُ، وتنهارُ، وفي قَلَمي أصلُها. لستُ وليدَ جيلٍ، بل أنا الزَّوايا المُختلفة، سَلَفاً، في ما بعد، من قديمِ الزَّمانِ والمُستقبل.

منذُ لحظاتٍ، متُّ وقمتُ، متُّ وقمتُ، متُّ وقمتُ. أنا جميل.

شتاءُ اليَدَيْن

حين أسمعُكِ، أيَّتها الأنغام، حين أقفُ، حين أتربَّصُ بكِ، أيَّتُها الرُّسومُ ذاتُ الأصداءِ،

حَسَدي يعلو غَرَقِ اللَّذَّة،

ويُقالُ لي: الوقتُ الذي سَبقَني طَعَنَني في ظَهْري!

وكفتاةِ أعمال

عَيْنَاهَا جدولٌ من الجَلْد

وكفتاةِ أعمالٍ عَيْنَاهَا أَوْسَعُ من التَّاريخِ الحَيِّ

أقذفُ القائلَ كما فتاةِ الأعمالِ تقذِفُ خادمَ القهوةِ الصَّغير

من رأسِ الدَّرَج

وينكبُّ الماءُ السَّاخنُ على عَيْنَيْه، وبطنِه

ويَجلُدها تعذيبُه

لأنَّهُ حملَ القهوةَ، في وقتٍ كانت تُريد إمَّا أنا أو رأسي.

لي صديقٌ يتونَّسُ بقنديل

(بمصباحٍ كهربائيٍّ كالقنديل)

على مكتبٍ مُنظَّمٍ بالفراغِ والأسماء

ويبدو طيِّباً وسطَ المدينة.

لا يقرأُ الكُتُبَ المُحرَّمة
تُراقبُهُ أيقونةٌ بيزنطيَّة
كأنّما هو شهرُ مريم
يتكرَّمُ عليَّ بصوتٍ مُبطَّنٍ بالمعاطفِ، وكرافعةِ الأثقال
يُبعِدُني بعيداً، ولا يطلبُ قرشاً
وعندما يطوفُ الجميعُ بشتائِمِي
يمرُّون
فألفُّهُ بالقطنِ، وأحجرُه
خلفَ أُذُني.
مهما كان
ورغمَ الأحلامِ المُغبَّشةِ التي أدْهَمُها فجأة
فكما أنّ لي صديقةً، هي فتاةُ أعمالٍ، وانتهى الأمر
وكما أنّ لي صديقاً، حجرتُه وراءَ أُذُنيَّ، وانتهى الأمر
وكما أنيّ على يَدَيَّ أحملُ غيري
وانتهى الأمر
وكما أنيّ قبلَ هذا قلتُ هذا وغيرُهُ، وانتهى الأمر
يُمكنُ أنَّ ما أحلمُ به لن
أُحقِّقَه
لأنّ يدي
من حينٍ إلى حينٍ في الشّتاءِ خاصّة

تتركُ أحمالَها، وتُصبحُ رشيقة
تُصبحُ ولَدي
وتأخذُ عُطلة
وتُعطِيني من قُوَّتها، فتحمل
منِّي
ورقةً أو دفتراً
دَوِيُّهُ الماحي نظري
يختنقُ جهراً!

السَّلامُ لجميعِكُم

أدخلتُ الدُّبَّ إلى كرْمي، وعلَّمتُهُ الإعراب، فقاسَمَنِي العلمَ بأنّ آفةَ العلْمِ نسيانُ الجهل.

دُبُّ الشِّعْر، دُبُّ الفكر، دُبُّ الفمِ ما إن يتحرَّك. دُبُّ الوُجود، سيِّدتي.

أقولُ سيِّدتي، لأنيّ أُريدُ أنْ أُوجِّهَ الكلامَ إلى أحد، و«يا سيِّدتي» أسْرَعُ للأُذُن. أمَّا الحقيقة، فيا سيِّدتي، لا تدخلُ إلى كرمي.

أكانتْ عندي مُهمَّة، ولم أُنفِّذْها؟ لا أعرفُ ماذا أضَعْتُ. أهو أبي؟ أجِعْ كلبَكَ تَتْبَعْهُ: أجعتُ كلبِي، ضيَّعتُه. احتوتْني نساءٌ وأعمدةٌ طويلة، ولم تَحتَوِني حتَّى كلمةٌ براحةٍ حتَّى النِّهاية. الأساطيرُ، شأن الرُّموز، بعيدةٌ عن الهدفِ شوطاً أو شوطَيْن، والصُّورةُ كالتَّشبيه، كالصَّمت، «ليست هي». الصَّرخةُ والهمسُ مغروران. دَخَلَ الدُّبُّ إلى الكرمِ، أفسَدَهُ، وانفَسَدَ.

اثنان يُثيران فيَّ الوَلَعَ والتَّطرُّف: فَلَكُ النُّجومِ في داخلي، وإمتاعُ المرأةِ ملفوفةً بثيابِها. لكنَّ الأوَّلَ يبقى تحتَ الأنقاضِ، ولا يُحمَل إلى النَّصر، والآخرُ شطارةٌ على مُستوى العيادةِ الطِّبِّيَّة.

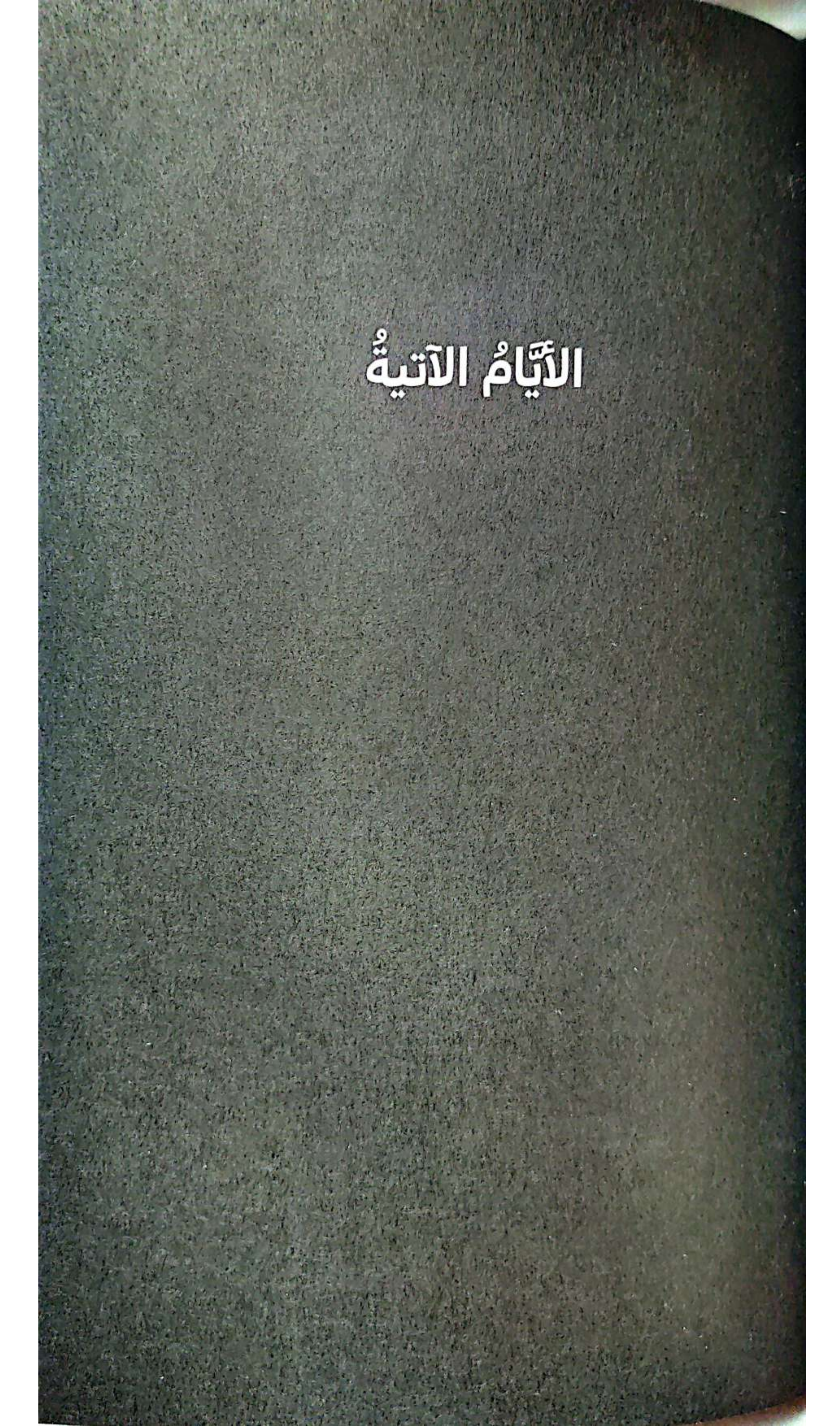
كَفَى.

ممنوعٌ الدُّخول.

الغلامُ الذي حين أطلَّ أشعلَ لِفَافَةَ الاستمناءِ الكبيرة، استمنى، ويستمني، هذا كُلُّ شيء. عَلَّمَ الدُّبَّ الإعرابَ، فَشَارَكَهُ الاستمناء.

لا تغييرُ الحياة، ولا تبديلُ العالم. السُّقوطُ والفوضى. التَّفكُّكُ والانحذاف. التَّكرارُ والدَّورة. أقولُها بسطحيَّتِها.

سَلِّمُوا على الجميع.



الأَيَّامُ الآتيةُ

الأيَّامُ والعمالقةُ

أُحِبُّ ذكرى الأيَّامِ التي كانت تمشي تمشي، ولا تعرفُ أنّها ستنتهي في كتاب. أُحِبُّ ذكرى الأزمنةِ العاملة، المغموسة، الضَّبابيَّة، ذات العمالقة الذين مَشَوا مَشَوا وهم لا يعرفون أنّهم سَينتهُون في كتاب.

هي أيَّامٌ، لم تكنْ أنبلَ منَّا. وكانتْ تعرفُ أنّنا سنكونُ أنبلَ منها، ونجهلُ مجدَ بُؤسِنا وإيمانَ عبوديَّتنا وفراغَ حُرِّيَّتنا ورجاءَ سُقوطِنا.

أُحِبُّ ذكرى الأيَّامِ التي ستجيء. تلك الأيَّامُ الحاضرةُ ...

وُلِدْتُ تحتَ بُرجِ الأسدِ

كما تَصْنَعُ الغابةُ زهرة

كما تَصْنَعُ الغابةُ زهرة

كما تَصْنَعُ المدينةُ عقرباً

كما تَصْنَعُ رطوبةُ الجدار

حشيشة

بينها وبين الجدار

حين كُنتُ ولداً

كُنتُ أسمعُ كالنَّائمِ، وأرى

ولمَّا ما زلتُ ولداً

تكدَّسَ العالمُ في عَيْنَيّ

الأخبارُ والأعيادُ وكُتُبُ الجيب

الأمزجةُ والمُفردات

تكدَّستِ الطُرَّةُ والنَّقْشَة

(كلُّ طُرَّة

كلُّ نَقْشَة)

وصرتُ حين أشدُّ لأُفلت
كلَّما شَدَدت
كَرَجَتْ من فمي طُرَّة
ومن فمي نَقْشَة
ومن فمي المزاجُ والمُفرَدَة
الجدارُ الذي وُلِدْتُ عليه
بَصَقْتُ عليه
وحَرَسَني.
بين ذراعَيَّ يبكي
ولد
لأنّ زهرتَهُ الصَّغيرةَ التي خَطَفَها من الغابة
عادتْ ونبتَتْ في المكانِ نفسِه.
لأنّ العقربَ التي
هَرَّبَها ليحميَها
مسحورةً بشياطينِ الأسفلت.
لأنَّ حشيشةَ الجدارِ الهوجاء
ليست كما حرَّضَها.
لمَّا كُنتُ ولداً
لمَّا صرتُ ولداً

لمَّا ما زلتُ ولداً
لم أكنْ محظوظاً كصِغَارِ الغرب
ولا كصِغَارِ الشَّرق
بلادي ضيِّقةٌ مثلُ شَعْرة
كرهتُها ووُصِفْتُ
وسَقَطتُ كالماردِ عليها.
وُلِدْتُ تحتَ بُرجِ الأسد
وأسداً وُلِدْتُ
تحتَ بُرجِ السَّرطان
وانتقاماً
سَطَوْتُ على الأبراجِ جميعاً
وكُنتُ ممنوعاً من الدُّخول لمَّا
دخلتُ أبعدَ من الجميع
غافياً على جُذوريَ في غول
هو أُمُّ أربعٍ وأربعين
وشَمْعَدَانٌ أيضاً، وإبريقُ الزَّيت
وحملتُ الغولَ بأحشائي
فَسَدَّدَ خناجري إلى أحشائِه
مُتلاصقَيْن كعُفُونة ونباتها

واحداً كطُرَّةٍ ونَقْشَة.

المُنهالون من أظافري

المُزدادون سواداً تحتَ عَيْنَيَّ

سواءٌ دفنُوني أو هربتُ

غيَّرتُ أبراجي أو انتحرت

صَنَعوني.

ملَّاحُو الخيالِ وصلُوا

لِيَسْتَمْطِرْ أحدُ الأساتذةِ، لِيَسْتَمْطِر
سياسيٌّ أو كاهنٌ رحمةَ السَّماء
وبرَكَةَ النُّفوسِ في التَّاريخ:
لا أتنصَّلُ من الخيال!
ألقيتُ السُّمومَ في الفناجين
وفي «هذهِ الكأس»
ولم أطلبْ أن تُبعَدَ عنِّي
وقد عاقرتُها
وارتديتُها من أجسادهنَّ المُؤرَّخةِ بين شَفَتَيَّ بماءِ أيِّ نهرٍ كان
بهواءِ أيِّ بحرٍ من بحارِ الذَّهَبِ والأشعَّةِ والحرير
اِقطَعْ لي
اقطعْ وَعْدَ آلاتٍ:
عندما يحرقون المكتباتِ في الأعياد
عندما يحرقُونها للتَّنظيفِ أو تخفيفِ الحُمُولة
هل تتركُهُم يسحبُونَني من الذِّكريات؟

احلفْ لي أنَّكَ
ستُخلِّصُ هذا الكتابَ وغيرَه
وتكونُ الشَّفيعَ لنفسِكَ ولهم
أمامَ الخيالِ، كما سمَّيتُهُ إيجازاً
الذي عندما تعودُ المُحيطاتُ إلى رُشدِها، وترجعُ الحياةُ إلى الحياة
وتُدخِّنُ السُّفُنُ والصَّواريخُ كالمُتقاعدين
سيرجعُ بياضُهُ واحمرارُه
إلى السَّفاحِ والمَلاك
ومن خاتمِهِ يدسُّ مادَّة المرَدَة
شُعَراءَ نحَّاتين شفهيِّيْن فنَّانين
قُلْ لي بالصِّدْقِ الأبديِّ
بالدِّقَّةِ الآليَّة؛
لن تُنكرَني بينهم
ولن تتركَهم يأكلُون حقوقي.

وَصَلَ ملاَّحو الخيالِ، قراصنةُ الخُرافة، أيُّها الجاهلُون، يا أبناءَ ما قبلَ التَّاريخ، يا حربَ أخويَّةِ الحقائق، يا ارتخاءَ الغضبِ والضَّجَرِ والهُدوء، يا حرام الحَدْسِ والبداهةِ والعفويَّة والأفواهِ البسيطة

وصلوا
إنّهم يدخلون في بشرةِ وُجوهِكُم؛

كُنتُ بينهم من قبل

(كأنيّ كُنتُ قبلَهم)

ولا أزال

وسأكونُ بينهم غداً

يُميِّزُني الخوفُ والفرحِ

وانسجامُ كلماتي المتقاطِعَة.

حاضرٌ

سترون تمثالي في عمارةِ العلماءِ ومديريةِ الكون.

ويكونُ موسيقيٌّ قد وَجَدَ سيفَ الانسجامِ بين الاهتياجِ والنّشَاز.

بدأتُ بقولي: أخافُ! وأقولُ الآن: هيَّا!

شهدتُ للعُصورِ، وفي الغدِ، حيثُ تلتقُون المجهولَ والمعلومَ والغَفِلَ من التَّوقيعِ والمجهولَ باقي الهويَّة، ستُحسُّون أنيّ رويتُ كُلَّ هذه الحوادث.

عشتُم عواصفي، وما بعدها، وستعيشُون معي عواصفَكُم وهدوءَكُم. أحيا فيكُم دون سلامٍ لي، ولا خطرٍ عليَّ. أموتُ مُطمئنَّاً، وأقوم مُطمئنَّاً.

ولا أزعجُكُم.

عناقُ الأوبئةِ

النِّيل

أسحبُ لِفَافَة

كانت تُمثِّل الفلكَ الساكنَ والحشائشَ الواقعةَ على الأطراف.

أُمنيَّاتي ضخمةٌ غامضة

مَرِحَةٌ ذكرياتي ومُضطربة، عن وادي مُفرقعاتِكَ النَّاريَّة

أتودَّد إليكَ في أشكالِ زواحفَ خالصةِ النِّيَّة

ولا أُريدُ منكَ غيرَ الإحساسِ بُحبِّي

وبأنّي أُعانقُ جميعَ ما فيكَ من أوبئة.

ليس اعتباطاً أُردِّدُكَ

أشتهي أنْ أخلقَكَ، وتلمسَني عاداتُكَ، وأقعَ في قبضةِ علومِكَ

تمثيلاً للإحساسِ الحادِّ

وتقرُّباً من الصُّندُوقِ الذي ألْقَوْه فيكَ، وكدائرةِ العصافير محروسٍ بوَحْدَةِ الكون،

صُندُوقُ المُغامرةِ قبلَ أيِّ عهدٍ قديمٍ، وإلى ما بعدَ الغَرَقِ والزِّلْزَالِ والحريق

وإنْ كُنتُ لا أعرفُ كيف تماماً أُظهِرُ إعجابي،

فأنا في يومِ حصادِكَ ويومِ خيراتِكَ ويومِ خَلْعِكَ عن العرش
مضبوبٌ ومُتواضعٌ عندما يجيءُ ذِكْرُكَ أو لا يجيء ...
يصفونَكَ بالرُّموزِ، وليتَني أُحسِنُ وَصْفَهُم
ولكنْ، لا أُحسُن وَصْفَهُم
وليتَني أُحسِنُ خطابَكَ!
ولكن أستمرُّ على عادةِ القُربانِ مُتناوِلاً قُربانَكَ مَعونةً ومُناجاة
مُتعشِّقاً نساءَكَ الكاذباتِ النُّبُوءة.
غَربُكَ الموتى الأغنياء، شَرقُكَ أغنى الذِّكريات
مأثورٌ أنتَ بابتذالٍ، إلى أنْ
يقضي الكثيرون هُرَاءَ الطُّغيانِ، وسخْرة الأزمة.
وكما قليلٍ يفهمُ شِعْرِيَ، قليلٌ ينسلخُ إليكَ عن خيانتِك.
آلافُ السِنين لم تتحوَّلْ فيكَ إلَّا تحوُّلاتك
آلافُ السِّنين خارجاً عنكَ
مياهُكَ تجني عليكَ، وتكتبُ القصصَ الشَّعبيَّةَ المُوجعةَ بالخطأ
بالجمال
وأنتَ في إمكانِ انتحاري المُستحيل، وغلافِ جُنوني، وخزَّان
حكمتي
تفتحُ البابَ لعُمَّالِ الماضي، وتُغلقُهُ قبلَ أنْ يخرُجُوا
وعلى الطَّريقِ إليكَ مُراهِقُو الإغريقِ، وغلمانُ روما، والعائلةُ
المُقدَّسة

وعلى الطَّريقِ إليكَ عبيدُ القُوقازِ والسُّودانِ والمغربِ، عبيدُ جاوه والصِّين

ومجازرُ الألفَيْنِ والألفَيْنِ والألفَيْنِ من السِّنين.

لكنَّ حياةَ النِّيلِ تستحمُّ برصانةٍ في وجهي

تتنشَّقُ بارتياحٍ وتَضخُّم،

نِصْفُكَ سبعٌ، ونِصْفُكَ فيلسوف

قصَّةُ الهربِ من المدرسةِ والغضبِ البديع.

لا أعتقدُ أنَّ شحَّ النِّيلِ يُنفِّر

يتأخَّرُ النِّيلُ خمسَ ثوانٍ أو خمسَ دقائقَ أو خمسَ ساعاتٍ أو خمسَ سنواتٍ أو خمسةَ ملايين قرنٍ

وفي قبوِ السُّلطانِ الحاملِ أختامَهُ تتواصلُ الطُّقوس

وأغربُ ما فيها أنّها طبيعيَّةٌ ومُباحة

إلى حَدٍّ أن خليلتي شبهَ الفرنسيَّةِ تعيشُ بها؛

ولا أعتقدُ أن حوادثَ النَّهرِ تُثيرُ شكاوى جوهريَّةً، تجرحُ إحساسَ الأصنامِ والتَّماثيلِ والأوثانِ وأيقوناتِ الشَّجَرِ والصَّخرِ أو إحساسِ الألفاظِ الدَّاخلةِ فيها حُروفُ الهاءِ والباءِ بصورتِها الاحتفاليَّةِ المُهيبة

بتأثيرِها المعروف

لا أعتقدُ أن خليفةً يخرجُ، وخليفةً يدخلُ، يُفسِدَان جلالَ نظامِ السَّاعة

أو

شسوعَ معنى الأرقامِ شارحةِ الإنذاراتِ والأحلام

أو الإشرافَ على الأوديةِ وحجبَها

أو

دموعَ الأساطيرِ وعجينَها المختمرَ في عاداتِ الخليقة

أو أيَّ شيء من قراءاتِها المقدَّمةِ للرَّحَّالةِ الجالسين على مقاعدِ الأبراجِ الفلكيَّةِ المُنحنية.

النِّيلُ يتفرَّج

لا يتفرَّجُ النِّيلُ، لكنْ

فمُهُ مفتوحٌ للأشباحِ والنَّظراتِ مُبلَّل

بدُخانِ المكتباتِ الصَّفراء

مُجفَّفٌ بنهارٍ طويل

بُخارُهُ الكرنكُ العامُّ والكرنكُ الخاصُّ، الأُقصرُ ومِمْفِيْس وطِيبة

في قيلولَتِهِ الصَّحراء

يرتعبُ قليلاً كالطِّفلِ، إذ يعرفُ قيمَتَه، ويتأثَّرُ كشجرةِ الحَوْرِ حين يسمعُ العزفَ من أجلِه

ولكنْ، تحتَ الطَّاولةِ له رِجْلان بديهيَّتان

له ياوران أوسعُ مَدَى من الجهاتِ الأربعِ، وما فوق

ويبقى في الغبار والكتلِ والغيابِ، وما هو قادم

نُقطةٌ باحثة، ونُقطةٌ هي الهدف.

كُلُّ رامٍ نفسَه عن شُرفةٍ منه يقعُ على جسرِه

وإلى آفاقِه يجتازُ براري العفوِ، ومعارضَ العرسِ، وبذورَ الحبوب

يجدُ الابنَ الشَّاطرَ مصعوقاً بحكايتِه المسروقة
حانياً عَيْنَيْه في غايةِ الخجل.
ولو راجعْنا آدابَ الحياةِ والموت
لَوجدْنا فيكَ، نِيلَ المفاتيح
طاولةَ الزَّهرِ والأقدامَ والرُّؤوسَ والكلمات
والعناوينَ مُصحَّحَة
ولبؤةَ المطر
وكُرَةَ الجبال
وزرَّ التَّصفيق
وميثولوجيا الحقولِ والأرصفة
وشَعْرَةَ الحضارات
وماذا كُنَّا لا نجدُ فيكَ
أنتَ الموفورُ الرِّزقِ حامِي الحِمَى
لو
تركْنا حُرَّاسَنا يتكاسلُون ويتأخَّرون عن العودة
ولجأنا إلى حُرِّيَّتِكَ
مُتمسِّحين بأعاليكَ وأسافلِك
حافرين إليكَ التَّاريخَ بالعكسِ، لنبلغَ لقاءَ مائِك بأرضِكَ عَبْرَ فيضانِنا الخَبِيء
وندائِكَ المنقوشِ على كِلْسِ مومياءاتِنا.

من حُبِّها إلى حُبِّها

النَّهرُ وفوقَهُ الجماهيرُ هاجمة، وبينهما - كُنتَ ستعرفُ ذلك من غيرِ أنْ أقولَه - المرأةُ التي سأُحِبُّها، التي أَحْبَبْتُها، التي سأتخطَّى حُبَّها إلى حُبِّها، تنتظرُني تحتَ قبوٍ، وخلفَها جهازُ النَّصر، والسَّحقِ الذي سيسحقُني، وجهازُ اتِّحادي بالكون.

ومع أنيّ مُتَّحدٌ بالكون، لولا أنْ سايرتُ الآخرين في قصَّة (في ثرثرة) الانشقاقِ والتَّناقضاتِ العقليَّة، فسأعودُ إلى الاتِّحادِ بالكونِ بعد تضييعِ الوقتِ بالنَّظَريَّاتِ والإسقاطِ والتَّوهُّمِ وانحرافِ التَّربيةِ والمُيوعة. سأعودُ مع الجميع، مع الأوروبيِّيْن، أنا والانتظار.

وأكونُ قبلَ ذلك قد تركتُ بابي مفتوحاً في اللَّيل، ومُغلَقاً، وأكونُ حاربتُ وحُوربتُ على الهامش، وأكونُ تحسَّستُ كلَّ هَلَعِ الأولادِ وحَشْرَجَةَ اللَّانهاية ومخاوفَها.

سنعودُ أنا والكون.

إذا

يبدو أكثرَ حين يتكلَّم

يُعقَد لواؤُه لامرأة

سيخونُها وتخونُه

وبثيابِهِ المُلمَّعة كبعضِ الرُّسومِ المرسومةِ للسُّيَّاح

يعكسُ الينابيعَ صُدفة

يستضيفُكَ في كوخِ الغرائز.

إذا هناكَ بَشَرٌ يعيشون

لن يلتقوه،

لكنَّ الذين يعيشون سيتلاقون.

تعلَّمَ الموسيقى كالجُنديّ

كالجُنديّ

تعلَّمَ الموسيقى

ليقهرَ الجُنديّ

وعندما قَهَرَه

تَعلَّمَ الجُنديّ ليقهرَ الموسيقى.

لن تعتادَه

معهُ تهبطُ شَفَتَاك وتتأخَّرُ عَيْنَاك

كرجُلٍ يلحقُ امرأة.

فحيحُ الطَّبيعةِ وأُمَّهاتها

سيِّداتُ الأشعارِ وبناتهنَّ

استراحتْ على صوتِه

واخْتَقَنَتْ به.

إذا صادفتَهُ اجلسْ معَه

إنّه كليلةُ ودِمنَة

وملايينُ الجَدَّات،

على عُنُقِهِ قايين، ومن رقبتِهِ هابيل

وفي حَنْجَرَتِهِ ألفُ ليلةٍ كجوزة

والهندُ ممتلئة

والنِّيل

والطَّاحونُ والبُرُق،

لا يأكلُ وحدَهُ الرَّغيف

ولا يُحادِثُ وحدَهُ الأزهار

يُسطِّرُ بِحِبْرِ نَفَسِه

بياضَ المُستقبل.

ولكنْ، إذا

أحببتَهُ

قُلْ له إنّكَ

أحببتَه.

غيَّرْنا العالمَ

الرُّوسُ الميكانيكيُّون العربُ اليسوعيُّون اليهودُ النِّساءُ الموحِّدون الصِّغارُ الكبارُ سيُوقِفُونني ضدَّ الحائطِ، ويقتلُونني.

مسكينة، أيَّتُها الأرضُ .. الوداع!

ستُنقَلين، وأراكِ بين النُّجوم عندما يتمُّ سيرُ اللَّاتاريخِ عَبْرَ الأنفاقِ والأعصاب.

غيَّرْنا العالمَ، نحنُ الشُّعَراء، نحوَنا.

أهذا أنتَ أو القصَّة؟

يرجعُ تاريخي إلى قرنٍ خامس
منذُ عُمِّدْتُ بحُضورِ أُمِّي
التي أورثَتْني الشُّعور
بأنَّ مَنْ سيخرجُ من بينِ أربعةِ جُدران
يرتكب
كُلَّ الخيانات.
كُنتُ أرغبُ قليلاً أنْ أكونَ في الأشياء
بإرهابٍ ضروريٍّ وعُنف
كتِمثالٍ قديم.
يعودُ تاريخي إلى إيل والبَعْل
طبعُوني في جلجامش، وتربَّيتُ في أوغاريت.
صورُ صيدون بيبلوس
زارتْ معي اليونان
وزَخرَفَني الفُرْسُ، واشترى العبرانيُّون
مقاطعَ من إنتاجي
بسَّطَني المصريُّون في تصويرِ الكائناتِ الحَيَّة

وامتزجتْ بي عشتروتُ عن طريقِ الكُحل
وسكنتُ قريباً من النَّهر.
ذَبَحَتْني الآلهةُ، وَذَبَحْتُها
وحَمَلْتُ جَدَّتي الصَّغيرةَ هارباً
فقالت لي في الأودية:
«ليتَك تقبرُني»
ولمَّا فعلتُ
وُلِدْتُ ومتُّ في بيروت.
يرجعُ تاريخي إلى الأسفل
والعواصفِ التي هبَّتْ من الكُتُب
والجلوسِ الطَّويلِ في العامَّة
وإلى ما ليسَ منِّي
وكما عُمري بالسَّنوات
كذلك
هائمُ كحُبوبِ اللُّؤلُؤ
خارجَ هذا العقد ...
أهذا أنا أو أنتَ
أهذا أنتَ أو القصَّة؟
بعدَ قليلٍ يختفي المُوسيقيُّون
يتوظَّفُ الشَّاعرُ خلفَ الأزرار

تهربُ من المدخَنةِ مُدُنُ الرُّوح
يُقْضى على المزَاميرِ والسُّطوح
ونجومِ التَّوقِ اليائسِ إلى بُلوغِها.
حُزني عظيمُ على تاريخٍ طاعن
طاعنٍ في القَدَر
طاعنٍ في الوَلْدَنَة
متقدِّمٍ في الصُّدْفةِ في الأخطار
مُتقدِّمٍ في خيالِنا
مُتقدِّمٍ في الثُّقوبِ والجُيوبِ الدَّاخليَّة
مُتقدِّمٍ في الشَّاماتِ وعلْمِ الفَلَك
مُتقدِّمٍ في فواتِ الأوان
مُتقدِّمٍ في شُحوبِ الشِّفاهِ على مُنحدرِ العيونِ التي لا تحتاجُ إلى
إعادةِ اختراع
ولكنْ، إلى إعادةِ نَظَر.

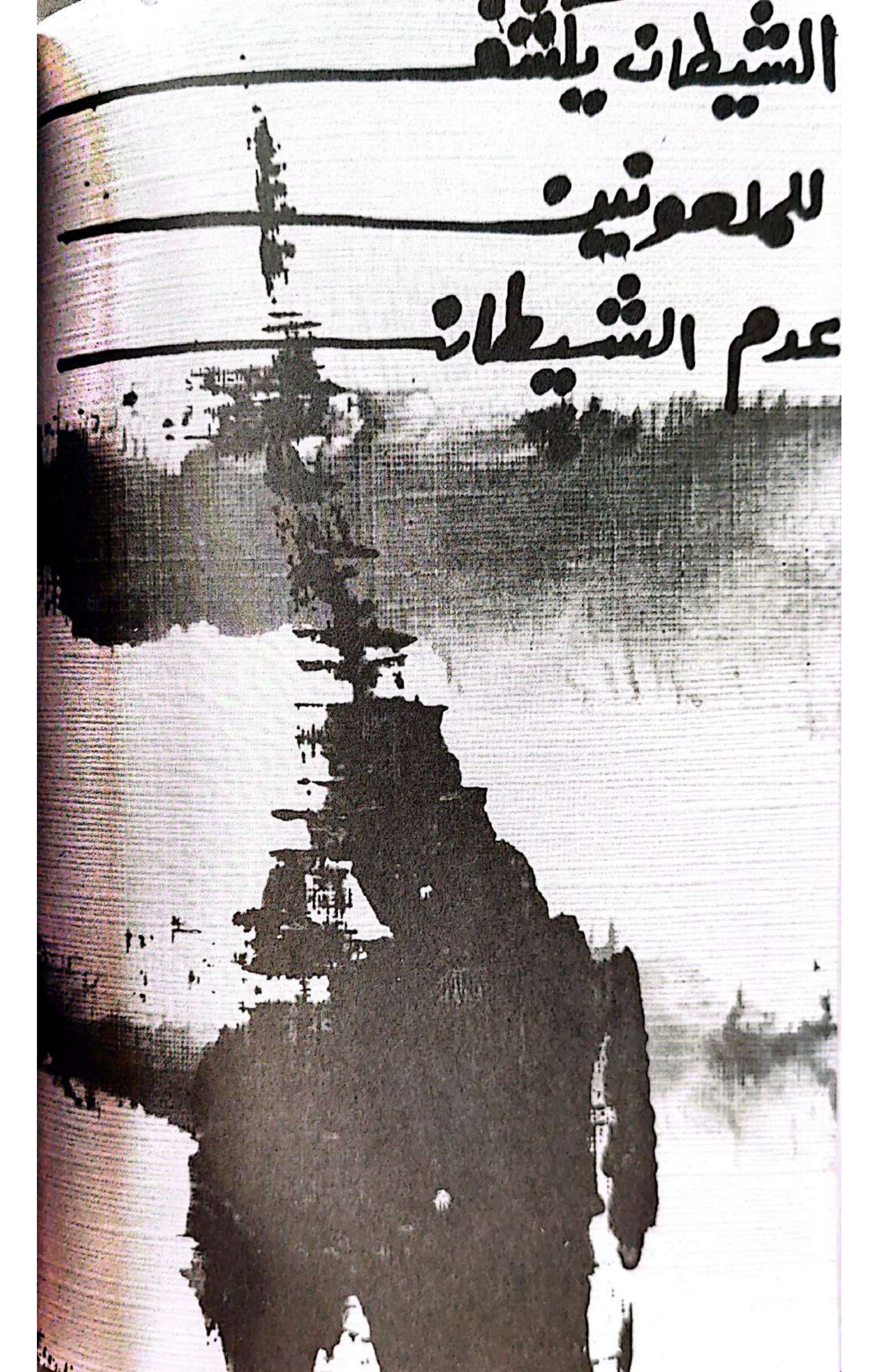
أنا المُوقِّعُ اسمي أدناه

الكُرديُّ يُقدِّرُ المرأة
الصِّينيُّ ثابتُ الطُّول
الرُّوسيُّ ملفوفٌ بلحيةِ الأرض
البلجيكيُّ فرنسيّ
لكنَّ اليهوديَّ خالةُ العالم
وعند رسَّامٍ رأيتُ عتَّالاً برتقاليّاً يرفعُ برقبتِهِ
جنكيزْخان.
كُرديٌّ يُقدِّرُ المرأةَ، وسومريٌّ لو كُنْتُه
حُجَّتان كوردة
تُهدى حتَّى
أقولَ إنَّ كتابي
تَعلَّمَ ممَّا يُحبُّ العُلماء
وعَصَرَ رأسَهُ ليتذكَّر
عَبَثاً
أيَّ شيء.
أنا المُوقِّعُ اسمي أدناه

أسْمَعُ المطرَ ينزل
جافّاً على الإسفلت
وممّا قُلتُ الآن وقبلَ الآن
لن تذكُروا كلمة
لكنَّ فمي ارتوى قليلاً
وهو يروي لمَنْ يُريد
ماضي الأيَّامِ الآتية.

1970

ماذا صنعت بالذَّهب؟
ماذا فعلت بالوردة؟


الشيطان يشفق
للملعونين
عدم الشيطان

منك -

أسيرُ النَّهرِ

ماذا صنعتَ بالذَّهبِ؟
ماذا فعلتَ بالوردةِ؟

قُولُوا هذا مَوعِدِي، وامْنَحُوني الوقت.
سوفَ يكونُ للجميعِ وقتٌ، فاصبرُوا.
اصبرُوا عليَّ، لأجمعَ نَثْري.
زيارتُكُم عاجلةٌ، وسَفَري طويل
نظرُكُم خاطفٌ، وورقي مُبَعْثَر
محبَّتُكُم صيفٌ، وحُبِّيَ الأرض.
مَن أُخبِرُ، فيلِدُني ناسياً؟
إلى مَن أصرخُ، فيُعطيني المُحيط؟
صارَ جَسَدِي كالخزَفِ، ونزلتُ أوديتي
صارتْ لُغتي كالشَّمْعِ، وأشعلتُ لُغتي،
وكُنتُ بالحُبِّ.
لامرأةٍ أنهَضتُ الأسوارَ، فيخلو طريقي إليها.
جميلةٌ كمعصيةٍ، وجميلة
كجميلةٍ عاريةٍ في مرآة
وكأميرةٍ شاردةٍ، ومُخمَّرةٍ في الكَرْم

ومَنْ بسبَبِهَا أُجليتُ، وانتظرتُها على وُجُوهِ المياه

جميلةٌ كمَركبٍ وحيدٍ، يُقدِّم نفسَه

كسريرٍ أجدُهُ، فيُذكِّرُني سريراً نسيتُه

جميلةٌ كنُبُوءةٍ تُرْسَلُ إلى الماضي

كَقَمَرِ الأُغنيَّة

جميلةٌ كأزهارٍ تحتَ نَدَى العَيْنَيْن

كسُهُولةِ كُلِّ شيءٍ حين نُغمِضُ العَيْنَيْن

كالشَّمسِ تدوسُ العِنَب

كَعِنَبٍ كالثَّدْي

كَعِنَبٍ تَرْجِعُ النَّارُ عليه

كعرُوسٍ مُختبئةٍ وراءَ الأسوارِ، وقد ألقتْ عليَّ الشَّهوة

جميلةٌ كجوزةٍ في الماء

كعاصفةٍ في عُطلة

جميلةٌ أتتْني

أتتْ إليَّ، لا أعرفُ أينَ والسَّماءُ صَحْو

والبحرُ غريق.

من كفاحِ الأحلامِ أقبلتْ

من يَناعِ الأيَّام

وفاءً للنُّذُورِ، ومُكافأةً للورد

ولَمَعْتُ منها كالجَوهَرة.

سوفَ يكونُ ما سوفَ يكون

سوفَ هناك يكونُ حُبُّنا

أصابعُهُ مُلتصقةٌ بحجارِ الأرض

ويَدَاهُ محفورَتان على العالم.

أُنقلُوني إلى جميعِ اللُّغاتِ، لِتَسْمَعَني حبيبتي

أُنقلُوني إلى جميعِ الأماكنِ، لأحْصرَ حبيبتي

لترى أنني قديمٌ وجديد

لتسمَعَ غنائيَ، وتُطفِئَ خوفي.

لقد وَقعْتُها، وتُهتُها

لقد غرتُها

أعِيْرُوني حياتَكُم، لأنتظرَ حبيبتي

أُعِيْرُوني حياتَكُم، لأُحِبَّ حبيبتي

لأُلاقِيَها الآن، وإلى الأبد.

لَكُم أنتُم لتَدُقَّ السَّاعات

من سراجِكُم، لِيُؤخَذْ نورُ الصَّباح

فأنا بريءٌ، وحبيبتي جاهلة

آهِ، ليُغدَقْ علينا

لِنُوفِّرْ، لنُجْتَنَبْ

ولْيُغْدَقْ علينا

فحُبِّي لا تكفِيهِ أوراقي، وأوراقي لا تكفِيها أغصاني، وأغصاني لا تكفِيها ثماري، وثماري هائلةٌ لشجرة.

أنا شُعُوبٌ من العُشّاق

حنانٌ لأجيالٍ يقطرُ منِّي

فهل أخنقُ حبيبتي بالحنانِ، وحبيبتي صغيرة؟!

وهل أجرفُها كطوفانٍ، وأرميها؟!

آهِ، مَنْ يُسعفُني بالوقتِ؟! مَنْ يُؤلِّف ليَ الظِّلالَ؟! مَنْ يُوسِّعُ الأماكنَ؟!

فإنِّي وجدتُ حبيبتي، فلمَ أتركْها ...

ما صَنَعَتْ بيَ امرأةٌ ما صَنَعَتِ

رأيتُ شمسَكِ في كآبةِ الرُّوح

وماءَكِ في الحُمَّى

وفمَكِ في الإغماء.

وكنتِ في ثيابٍ، لونُها أبيض

لأنَّها كانتْ حمراء.

وأثْلَجَتْ

والثَّلجُ الذي أثْلَجَتْ كان أحمر

لأنكِ كنتِ بيضاء

ورَدَدْتِ عليَّ الحُبَّ حتَّى

لا أجدَ إعصاراً يطردُكِ

ولا سيفاً

ولا مدينةً تستقبلُني من دونِكِ.

هذا كلُّه

جعلتُهُ في ندَمي

هذا كلُّه جَعَلْتُهُ في أخباري

هذا كلُّه جَعَلْتُهُ في فضاءٍ بارد

هذا كلُّه جَعَلْتُهُ في المنفى

لأنِّي خَسرْتُكِ

إذ ملأتُ قلبي بالجُنُون وأفكاريَ بالخُبث

فكَتَمْتِ، وانْفَصَلْتِ

وكُنتُ أظنُّكِ ستصرخين وتبكين وتُعاوِدِين الرِّضى

ولكنْ، كتَمْتِ، وانْفَصَلْتِ

وكُنتُ أظنُّكِ ستعرفينَ أن نفسيَ بيضاءَ، برغمِ الشَّرِّ

وأني لَعِباً لَعِبْتُ، وحماقَتي طاهرة

وكُنتُ أظنُّ أنكِ وديعةٌ لتغفري لي

أنكِ وديعةٌ، لتُقبِّلي آثامي

أنكِ وديعةٌ، لأفعلَ بكِ كالعبيد

وكُنتُ أظنُّ أني بفَرَحٍ أظلمُكِ، وبفرَحٍ تتنفَّسينَ ظُلمي
وكُنتُ أظنُّ أني ألدغُكِ، فتتَّسعُ طُمأنينتي، وأنقضُكِ كالجدارِ،
فتَعْلَقين كالغُبارِ بأطرافي
لكنِّي خَتَمْتُ الكلامَ، وما بدأْتُه
وأتفجَّعُ عليكِ، لأنِّي لم أعرفْ أنْ أكونَ لكِ حُرّاً
ولا عرفتُ أنْ أكونَ كما تكونُ اليدُ للزَّهرة
فكُنتُ مُغنِّياً، ولكِ ما غنَّيتُ
ومَلِكاً، وأنتِ لم أملكْ
وأُحبُّكِ
وما أحببتُكِ إلَّا بدمارِ القلبِ وضَلالِ المنظر
وأُحبُّكِ
وطاردتُكِ حتَّى أُشاهدَ حُبَّكِ وهو نائم
لأعرفَ ماذا يقولُ وهو نائم
فَحَمَلَهُ الخوفُ، وروَّعَهُ الغضب
وهَرَبَ إلى البُرجِ عالياً
كاتماً قد انفصَل
وأنا في جهلي أطوفُ، وفي حِكْمَتي أغرق
على مَوضِعٍ أدورُ، على مَوضِعٍ أهدأ
وحُبُّكِ يقظانٌ وجريحٌ وراءَ الأسوار

وحُبِّي بارٌّ بعدَ الأوان

نارُ البرِّ تأكلُهُ بعدَ الأوان.

أحفظُ مَظَالمي، وأُعطي مَبَرَّاتي

أحفظُ مَظَالمي، فَمَنْ يُعطيني مَظَالمَه؟

ومَنْ يأخذُ مَبَرَّاتي، ويُعطيني الرَّجاء؟

لأنيِّ لم أعدْ ألمحُ نوراً في الغابة.

تذهبُ الرِّيحُ بالثَّلجِ، وبالثَّلجِ تعود.

جَسَدِي كالخَزَفِ، ولُغتي كالشَّمْع.

اتَّخذتُ آفاقاً عظيمةً، وجعلْتُها حفراً

اتَّخذتُ اللَّيلَ، فأطفأتُهُ، والنَّهارَ، فأسلمتُه

اتَّخذتُ الأكاليلَ، فاحتقرتُها

اتَّخذتُ الحُبَّ، فكسرتُه

اتَّخذتُ الجَمالَ، وكرَجلٍ أَفْقَرتُه

اتَّخذتُ الحُبَّ

اتَّخذتُ الحُبَّ الشَّبيهَ ببَرٍّ، لا يحدُّهُ ماء

الشَّبيهَ بمياهٍ، لا تحدُّها بَرِّيَّة

اتَّخذتُ الحُبَّ عوضَ كلِّ شيءٍ، مكانَ كلِّ مكانٍ، بدَلَ الجوهرِ، ومحلَّ الشَّرِّ والخير

أخذتُهُ، أخذتُ الحُبَّ، وشَكَاني

الذين صارُوا في فاقة

وتعالَتْ جُفُونُهُم، الذين حسدُوني

ونَهَشَ ضَحِكُهُم الهواءَ، الذين تهكّمُوني

فماذا صنعتُ بالحُبِّ؟!

وأخذتُ ذهَبَ النِّساء، وردةَ الذَّهبِ، فماذا صنعتُ بالذَّهبِ؟

وماذا فعلتُ بالوردة؟

أُنقلُوني إلى جميعِ اللُّغاتِ، لتسمعَني حبيبتي

ثَبِّتُوها على كُرسيٍّ، وَجِّهُوا وجهَها إليَّ

أمسِكُوا رأسَها نحوي، فتركضُ إليَّ

لأنيِّ طويلاً وبَّختُ نفسي، ويأسي قد صارَ مارداً.

أطِيْعِي دمعَكِ، يا حبيبتي، فيُطَرِّيَ الحصى

أطِيْعِي قلبَكِ، فيُزيلَ السِّياج

ها هو العالمُ ينتهي، والمُدُن مفتوحةٌ. المُدُنُ خاليةٌ، جائعةٌ أنتِ ونَدَمِي وليمة

أنتِ عطشانةٌ، وغُيُومِيَ سُودٌ، والرِّياحُ تلطمُني.

العالمُ أبيض

المطرُ أبيض

الأصواتُ بيضاء

جسدُكِ أبيض، وأسنانُكِ بيضاء

الحبرُ أبيض

والأوراقُ بيضاء

اسمعِيني، اسمعِيني

أُنادِيكِ من الجبالِ، من الأودية

أُنادِيكِ من أعبابِ الشَّجَرِ، من شِفَاهِ السَّحاب

أُنادِيكِ من الصَّخرِ والينابيع

أُنادِيكِ من الرَّبيعِ إلى الرَّبيع

أُنادِيكِ من فوقِ كلِّ شيءٍ، من تحتِ كلِّ شيءٍ، ومن جميعِ الضَّواحي

اسمعِيني آتياً ومحجوباً وغامضاً

اسمعِيني اسمعِيني مَطرُوداً وغارباً

قلبيَ أسوَد بالوحشةِ، ونفسي حمراء

لكنَّ لوحَ العالمِ أبيض

والكلماتِ بيضاء.

قَتَلَ حبيبُهَا التِّنِّينَ

قالتْ للتِّنِّين

- اِرمِ الجبَل

فَرَمَى التِّنِّين الجبَل.

وقالتْ للتِّنِّين.

- اِبلَعِ المدينة

فَبَلَعَ التِّنِّينُ المدينة.

وقالتْ للتِّنِّين

- لِيَقْتُلْك حبيبي

فَقَتَلَ حبيبُها التِّنِّينَ.

وما زلتُ أنسى أنيِّ

قَتَلْتُ التِّنِّين

لأنَّ حبيبتي أوصَتْهُ

أنْ يُقتَلَ ...

فَرِحَ على الأرض

كان يبحثُ عنها، فَوَجَدَها
واحتارَ ماذا يفعل
فتَرَكَهَا تمرُّ، ولمَّا اختفَتْ
رَجَعَ يبحثُ عنها
ولمَّا وَجَدَهَا قالَ: يا إلهي،
اجعلْ نَظَرِي كبيراً، فيَحوِيها
وحِجْرِي ماءً، فيَسقِيْها
طَوِّقْها بي كَسِجْن
وطوِّقْها بي كشُكْرَان
أو اِكسِرْني، يا إلهي، عَليهَا
كالصَّاعقة
في البحر.
كان ضائعاً، فلمَّا وَجَدَهَا
فَرِحَ على الأرضِ قليلاً
وطارَ إلى السَّماء.

خَلِّصْنِي، خَلِّصْنِي

الحُرُّ لا يُراقِبُ نفسَه
فلا يرى أَيَّةَ أزهارٍ يدوس
وأَيَّةَ أزهارٍ يزرع.
الحُرُّ ليس له ذاكرة
فها قد نَسِيَ نظرة
رَبَطَتْهُ بتلكَ المرأة
التي سوفَ كثيراً تكون.
لكنَّ الحُرَّ يُراقِبُ نفسَه
عندما يستعيدُ الذَّاكرة
فيرى تلكَ المرأة
وكم كانَ غبيّاً
كم سيصيرُ عَبْداً
كمْ كانَ فَرِحَاً
وكم سوفَ كثيراً يبكي.
لأنَّ الحُرَّ الذي صَحَا
أيَّتُها الفاتحةُ عَيْنَيْهَا

لأنَّ الحُرَّ الذي صَحَا
شقَّ قلْبَه الخوفُ عليكِ
ونسفتْهُ الغَيْرةُ، وركَّرَتْهُ الغَيْرة
وطوَّحتْهُ الهُمُوم
طوَّحتْهُ، ضعيفاً مَطعُوناً
بين المخالبِ كَقَمَر
ينظرُ إلى الأحرَار
يكرَهُ الأحرار
ويَصرُخُ، ويعرفُ أنَّهُ لا يَصرُخ:
خَلِّصْني خَلِّصْني
ويبكي، ويعرفُ أنَّهُ لا يبكي،
لأنَّ البكاءَ يُحرِّرُ العاشق
وهو عاشق
ولا شيءَ يُحرِّرُه.
الحُرُّ لا يُراقِبُ نفسَه
الحُرُّ ليس عاشقاً
الحُرُّ لا يعرفُكِ، الحُرُّ لا يشتهيكِ
الحُرُّ إناءٌ مَكسُور
الحُرُّ لم يأخذْكِ
الحُرُّ لا يتعذَّبُ، لا يعرفُ، لم يدَخُلْ.

آه، لِأكُنْ وحدِي العبد
ولتُطفِئْني الغَيْرةُ، والمخاوفُ تخنقْني
لم تعدِ الحُرِّيَّةُ جميلة
لم تعدِ الحُرِّيَّةُ كريمة.
بعدما ألْبَسَنِي حُبُّكِ وجهي
عَرَفْتُ أن استقلالي السَّابق
هو الأسر
وعَرَفْتُ أن حُرِّيَّتِي السَّابقة
هي المَنْفَى
وعَرَفْتُ أنَّ كلَّ شيءٍ سَابِق
كان يَحفِرُ في المَنْفَى نَفَقاً
مَشيْتُهُ طويلاً إليكِ
وكانتْ مَسيرَتي إليكِ
مَسيرَةَ أعظمِ الزُّنُوجِ بيَاضاً.

فَرْدَةُ حِذَائِهَا

كي أرتميَ فيها كعِمْلاق يَرتمِي في كأسِهِ. كي أُقبِلَ عَليهَا كغُرَبَاءَ، إذا استوطنُوا، يأكلُون الوَطَنَ وَفَاءً. كي أنهارَ مثلَ رَجَفَانِ الجِبَالِ.

الغَائِبَةُ القَلْبِ في اليَدَيْنِ، الغَائِبَةُ اليَدَيْنِ في صَدَأِ السَّعَادَةِ الجَمْرِيِّ.

التي تَفْقِدُ فَرْدَةَ حِذَائِهَا مِنْ أجلِ أنْ يَهتدِيَ الأميرُ إلى مَصيرِهِ.

على سَحَابَةِ رِجْلَيْكِ

I

لم يُؤذِ، ولم يَأْثَمْ. ومع هذا، لم تكنْ أيَّامُهُ خفيفةً. لم يعتقدْ أنَّ الرَّذيلةَ ذكاءٌ، إنمّا آمنَ بأنَّ الرَّذيلةَ غباوةٌ. قال: إنَّ العُهرَ بَشِعٌ، ورَمَى العُفُونَةَ. لم يُؤذِ، ولم يَأثَمْ. كان ذا حَنانٍ جُهَنَّمِيٍّ وبراءةٍ وَحشيَّة.

قال: مَرحَباً، أيُّها الحُبُّ

وقال: الوَداعُ، أيَّتُها الأيَّامُ الخفيفةُ.

II

منْ حينٍ إلى حينٍ، لكي يدورَ بي الدُّوارِ، أُوقِفُ مَصيرِي على سَحَابَةِ رْجلَيْكِ ...

III

لكُلِّ ريحٍ تنامُ في شَعْرِكِ مَركِبٌ يَرسُو في قلبي.

IV

كُلُّ ماءٍ يَغسلُكِ يتمزَّقُ. هناكَ يَنْبُوعٌ يُرفرِفُ مَاؤُهُ كَفراشَةٍ. اِصْعَدِي والِمسيهِ ليتمزَّق. طالما شاهَدَكِ تمُزِّقينَ سَائرَ المياهِ، ونارُ الغَيْرةِ تنهشُهُ حتَّى البحر.

V

ما كُنتُ أعرفُ أنَّ أحداً يحتلُّ أحداً كبحر

ويَسكُنُهُ كهاوية.

ما كُنتُ أعرفُ أنَّ البحرَ يهبطُ الرِّمالَ الضَّيِّقة

وأنَّ ماءً ضَيِّقاً يُغصصُ الصَّحراء.

أينَ أذهبُ بكِ؟

أينَ أرحلُ وأَجِدُ الثِّياب

فألبسُ لفَرَسِ البَهْجَة؟

كلُّ شيءٍ يُولَدُ، وكلُّ شيءٍ يخلو.

تمام الأزمنةِ طَالعٌ من سُهُولِكِ، والفراغُ طَالعٌ من سُهُولِك

سُهُولُكِ السَّهلةُ، وسُهُولُكِ الصَّعبة

سُهُولُكِ النَّومُ، وسُهُولُكِ الحربة

أينَ أذهبُ بكِ بعيداً عنكِ

مُفرَغاً فيكِ
مُحتوِياً إيَّاكِ؟!
أينَ أذهبُ
وما كُنتُ أعرفُ أنَّ أحداً يحتلُّ أحداً كبحر
وأنَّهُ يسكنُهُ كهاوية ...؟!

VI

قرأتُ الكُتُبَ لأسرقَ أوصافاً تُعجِبُكِ. انتبهتُ إلى الأحاديثِ، لأتعلَّمَ كلمةً تُدهِشُكِ. أبحرتُ تحتَ الحَذَرِ، لأُفَتِّشَ عن وعيٍ يُبهِرُكِ.

لكنْ، ماذا ينفعُ الرَّجلُ، لو اكتسبَ العُلُومَ، وكانتْ حبيبتُهُ المعرفةَ؟!

VII

كُلُّ يَدٍ، كلُّ يَدٍ تسمعُ في كفِّها وَقْعَ عَيْنَيْكِ في عينَيّ.
كُلُّ مَزْمَرٍ، كُلُّ مَزْمَرٍ يُرَدِّدُ صلاتي إليكِ.

VIII

يَنهبُني الزَّمانُ الذي تَنهبُهُ الحياةُ التي هي أنتِ.

IX

تقولين: البُكاءُ يغمرُ. كالضَّمَّة.

تعالَيَ. سأكونُ أنا البكاءَ إلى الأبد.

X

سَأَدَعُ القَمَرَ الغريقَ في الرِّمال

غريقاً في الرِّمال.

سَأَدَعُ الشَّمسَ المُتردِّيَةَ تحتَ الماء

مُتردِّيَةً تحتَ الماء.

سَأَدَعُ مَلِكَ المُلُوك المُعظَّم

مَلِكَ المُلُوكِ المُعظَّم.

سَأَدَعُ فقير الفقراء الفقير

فقير الفقراء الفقير.

لكنْ

قبل أنْ تُكمِلي سَيْرَكِ

خُذِيني في سَيْرِك.

قبلَ أن تلفِّي الطَّريق

خُذِيني عن الطريق.

قبلَ أن تدخُلي إلى هُدُوءِ البيت

اِلتفتي إلى الجُنُونِ في حُبِّي حتَّى الجُنُون
وإلى الموتِ في حُبِّي حتَّى الموت.

XI

كُنتُ لعبةً وأنتِ طفلةٌ. ولمَّا كبرتِ أصبحتِ طفلةً، وأنا لُعبتُكِ.

XII

كُنتُ مَشكُوكاً على الرُّمحِ والرُّمحُ طائرٌ. يومَ التقيتُكِ أمسكتُ رُوحي من جُذُورِها. صرتُ أنا بكَامِلي. وصلتُ إلى المَدَار.

أنتِ وأنا غَدَوْنا العالمَ. ليتكرَّرْ، ليتكرَّرْ دائماً هذا العالم!

وإذا خاطبتُكِ بكلامٍ من غيرِ القلبِ، أُحسُّكِ تفضحينَني، تَسحَبين الأرضَ من تحتِ قَدَمَيَّ، فينزفُ كياني دمَ الخجلِ والخطيئة.

XIII

أسكتُ عندما تتكلَّمين، لأن سُكُوتي يصونُ نقائي.

لقد ذَبَحُوا كُلَّ شيءٍ بالكلماتِ. وحدَكِ تتقدَّسُ بكِ الكلمات. وحدَكِ تتألَّهُ فيكِ الثَّرثرة.

XIV

صوتُكِ الهامسُ هو الهتاف.
صوتُكِ العالي هو تاجُ الهَمْس.
صوتُكِ جميلٌ، لأنَّ جِلْدَكِ في صوتِكِ.

XV

أسرعِي أسرعِي إلى المرآةِ. سوفَ ترين أنَّكِ متروكةٌ في نَظَري.

XVI

تملكينَ جميعَ المواهبِ، ولا تُعطينَ إلَّا الحاجةَ إليكِ.

تصنعينَ نظاماً لقَلَقِي وجحيماً لطُمأنينَتي.

أيَّتُها الأفيونُ، يا حبيبتي، أعطينِي أنْ أغيبَ فيكِ غيابَ الشَّمسِ الأخيرة.

XVII

آه، حظُّكِ، آه.
حظُّكِ أنَّكِ أنتِ ...

كان خصرُها أشقرَ

مُنذُ ربَّيتُكِ وأنتِ نجمةٌ ضئيلةٌ. كان خصرُكِ أشقرَ، فلمَّا كبرتِ، صرتِ كَرَزة.

تُسوِّين شَعْرك بأسنانِ شهوتي.

تَحذَرِينني وأَحْذُركِ.

أنا الثَّعلبُ، وأنتِ الثَّلج.

حانَ للثَّعلَبِ العاشقِ

أصغيتُ، لأنِّي تشوَّقتُ إلى صوتِكِ

نظرتُ، لأنِّي تشوَّقتُ إلى وجهِكِ

مُدِّي يَدَيْكِ إلى حافظِ عهدِكِ

انظُري إلى الثَّعلبِ العاشقِ، ولا تقولي: يا اللهُ، كم من الدَّجاجِ يحملُ ضميرُه!

بل قولي: حانَ للثَّعلبِ أنْ يجدَني، فهو تَرَكَ وراءَهُ الغاباتِ، وأنا لم أعدْ أرى أمامي.

بعدما عرفتُ حقائقَ العالم، فكرهتُها وأحببتُها

تركتُ الشَّمسَ تغيب

وأطفأتُ في غُرفتي

أطفأتُ وقلتُ: أُحِبُّكِ

أجابوا: أُحِبُّكِ!

وأغمضتُ عَيْنَيَّ، فوجدْتُكِ

لأنِّي كلَّما أغمضتُ عَيْنَيَّ

رأيتُ السَّعادة.

أيكونُ حُبِّي لكِ واحداً؟

أتمجَّدُ بكِ، ألتجئُ إليكِ

يا امرأةَ الأعمارِ المَديْدة

يا امرأةَ الثَّمراتِ والمَعُونات

يا امرأةَ الأحراجِ والبِحَار

يا امرأةَ العَيْنَيْنِ المُرسِلَتَيْنِ إلى الأشياءِ نعمتَها

يا امرأةَ الشَّفَتَيْنِ المُغرورقَتَيْنِ بالدُّمُوع ...

هُمْ رأوا شرّاً بينهم

أنا رأيتُهُم.

إلى متى يَقصُدُ الرَّجلُ الظُّلمةَ، فيضيع

وهو مكاناً واحداً يبغي؟!

إلى متى أُرزَقُ باطل العطايا

وأنا ما اشتهيتُ غيركِ؟!

إلى متى ينزلُ اللَّيلُ على اللَّيلِ كُلَّ ليل

ولا يطلعُ اللَّيلُ ليلةً من قلبي ...؟!

إنيّ أتركُ الأسئلةَ والأجوبة

أتركُ التَّظاهرَ والادِّعاء

أتركُ الوَطَنَ السَّطحيَّ وأزقَّةَ الجَدَل

أتركُ مَشاغِلي، وأتركُ مَبادِئي

فأنتِ السُّنُون التي انقضتْ من دُونِك.

ومهما يكن هذا الكلامُ باهتاً

فهو عادلٌ، وليس باهتاً.

إنِّي سأتركُ الأسئلةَ والأجوبة

ودمي سأتركُ على الصُّخُور

والشَّجَر

وسواحلِ الشَّمسِ وكواحلِ الأدغال

وسأتركُهُ على الشَّفَة

وسأتركُهُ على قوسِ القزح

وعلى طريقِ بيتِك

فانظُرِي إلى دمِي، ولا تقولي: كم حزينٌ هذا المنظر! بل قولي:
كم هو حَيٌّ حبيبي، وحُبُّهُ في الحَجَرِ والشَّجَرِ والبَشَر

فإنِّي سأذهبُ، لكنَّ الذي جئتُ لأجلِه

سوفَ يبقى.

هاتِفِي لَيْلُها

جَرَسُ الهاتفِ إذا اللَّيل
هو اللَّيل
جَرَسُ الهاتفِ إذا النَّهار
هو النَّهار
جَرَسُ الهاتفِ فجأة
يجعلُ السِّرَّ سرّاً
والحُبَّ حَنْجَرَة
والفضاءَ وَتَراً سينكسِر.
جَرَسُ الهاتفِ الرَّجاءُ واليأس
والرَّجاءُ منكِ لهوَ قليل
واليأسُ يُزهِرُ اليأس
جَرَسُ الهاتفِ يُوقِظ
حاشيةَ الحُبِّ الغفيرة
كوُحُوشٍ تنهض
كأشباحٍ تعهَّدتْ جُنُوني
جَرَسُ الهاتفِ يُوقِظ

خيالِيَ السَّريعَ اللَّذَّة

السَّريعَ الإيلام

السريعَ الشَّرّ

السريعَ الطَّاعة

السريعَ الاستسلامِ والأسى

السريعَ الهناء

السريعَ الشَّبَق

السريعَ المُستحيل

جَرَسُ الهاتفِ يُوقِظ كلامَ النَّومِ العميق

كلامَ الأحلامِ السَّهْل

كلامَ الصَّحْوِ الأزرق

كلامَ الوُعُودِ الشَّهيدة

جَرَسُ الهاتفِ يأتي

قبلَ أنْ يأتي

جَرَسُ الهاتفِ يقرَعُه

ظهْرُكِ المُستلقي على السَّرير

جَرَسُ الهاتفِ يرنّ

فيسقطُ العالم

ويُشَعْشِعُ العالم.

عَسَلُ الرَّاعي الصَّالح

لها جِلْدٌ كالمنارة.

لا يجيءُ السَّارقُ إلَّا ليسرقَ. وجِلْدُها يجيءُ كالرَّاعي الصَّالح.

والرَّاعي الصَّالحُ يبذلُ نفسَهُ عن الخِرَاف.

إذ تَحُتَكُّ به اليدُ أو النَّظَرُ، يندفعُ العَسَلُ، ويفكُّ النهارُ أزرارَ العَشِيَّة.

ويتناولُ النَّهارُ على نهدَي العشيَّة الآبَ والابنَ والرُّوحَ القُدُس.

هذه هي مُذْ أَمْكَنَها أن تكونَ منصوبةً كخيمةٍ ومُستعدَّة. لقد اصطادُوا فيها السَّمكَ، وظنُّوا يصطادُون البحر.

لها جِلْدٌ كرجالٍ ينتظرون عودةَ سيِّدِهِم من «حيثُ» .. حتَّى إذا جاءَ كانوا ساهرين. والسَّيِّدُ يشدُّ وسطَهُ، ويُجلِسُهُم، يطوفُ، ويخدمُهُم.

لها جِلْدٌ كالآيةِ، بالغضبِ والرَّحمة. جَعَلَ الشَّملَ يكونُ بين، وبين.

أقولُ جِلْدَها، وأنا فخورٌ بأني أُكرِمُ اللَّفظةَ التي أمسكتُها من جِلْدِها، ونزلتْ على عَرَبةِ شهوتي.

لها جِلْدُ السَّلامُ عليه.

حُزني عظيمٌ، نعم

مَنْ أنتِ التي أُحِبُّها؟

أنتِ التي عندَ قَدَمَيْها أرفعُ رأسي.

كانتْ لي أيَّامٌ، ولم يكنْ لي عُمر.

اغتنيتُ لمَّا صَلَبْتُ حُرِّيَّتي على شَغَفِي. آمنتُ بتلكَ المرأةِ، وإنيِّ أُبْصِرُ. وما وَقَفْتُ كجدارٍ في الأرضِ، بل غَدَوْتُ الأرضَ يومَ سارتْ إليَّ حبيبتي، لتحْضرَني وأحضرَها غياباً وراءَ غيابٍ.

أمَّا حُزني، فعظيمٌ، نعم. وتستحقِّين أن يُضرِمَ حبيبُكِ النَّارَ في جسدِهِ، وينتحرَ احتجاجاً، لأنَّكِ لا تعرفين كم أنتِ أنتِ وحدَكِ.

من أجلي الحُبُّ، من أجلكِ الكواكبُ والمراكبُ. أيَّتُها المرأةُ التي تصمتُ بانفجارٍ، وتصيحُ كالأريجِ، المحجوبةُ بصِدْقِهَا، المكشوفةُ بصِدْقِهَا، أيَّتُها التي فمُها المُطْبق أكمّة، وفمُها المفتوحُ سراب، أيَّتُها التي يسجدُ العالمُ لها كالصَّقرِ، وكالبنفسجةِ، قديماً خَلَقَني اللهُ، لذلك لم أُوجَدْ.

ولمَّا أنتِ، خلقتُ اللهَ في سريرِكِ. ووُلِدْتُ من جَسَدِي على جسدِكِ.

إلى الصَّباحِ والنِّصفِ

I

البابُ مفتوحٌ أمامَكِ، مفتوحٌ من الصَّباحِ إلى الصَّباحِ، إلى الصَّباحِ والنِّصفِ.

II

تجلسين بثيابكِ كَالتَّلَّةِ. يهطُلُ المطرُ فَتَبْتَلِّين. ترحفُ الأفعى، وتنتصبُ على التَّلَّةِ كسيفٍ. تشهقان.

III

لونُ فمِكِ رائحتُهُ تُفَّاح.

IV

الساعةُ هي اللَّيلُ بعدَ اللَّيلِ والنِّصفِ. لحبيبتي بيتٌ فوقَ اللَّيلِ. لبيتِهَا غرفةٌ في مُنتصفِ اللَّيل.

تنظرُ من هناك، فلا تراني. تمشي حيثُ أمشي، فلا تراني. تُضيءُ، فلا تراني.

وتنامُ في التَّأجيلِ. تحلمُ بالنَّافذةِ، وتخافُ أن يحتلَّها النَّسيمُ.

V

حَدِّقِي في الظَّلام، أمرُّ وأغمرُ صوتَكِ.
صوتَكِ الطَّالعَ من حَنْجَرَتِي كالزَّبيب.

اِذهَبِي اِذهَبِي، ولتَتَبَارَكِ الأرضُ

اِذهَبي في روائحِ اللَّيمونِ، ولا تَرجِعي بعد القِطَاف.

اِتّحدِي، ولا تَنفَصِلِي.

تَضَمَّخي، تَوَزَّعِي في الشُّعاعِ، لا تَنعكسِي.

تَصَاعَدِي، تَصَاعَدِي، لا تُمطِرِي.

اِجعَلِي خَدَّيْكِ نِسرِيْنَتَيْنْ، وكُوني جِذْعَهُما.

لِيَصِرْ نهدَاكِ مِصباحَينْ وأنتِ عَتْمَهُما.

ليكنْ شَعْرُكِ غيمةً، وكُوني عاصفة.

اِذهَبي اِذهَبِي، ولتَتَبَارَكِ الأرض.

اِصْعَدِي إلى الرُّوحِ، غِيْبِي في الماءِ، اِهبِطِي إلى الرُّوح.

خَلِّصِيْني أنا الصَّغيرُ من حُبِّكِ.

اترُكِي، فما مِن راحةٍ تحتَ عهدِكِ غيرَ موتِك.

ما مَضَتْ علينا تَوطِئَةٌ، وها ينتهي الوقت.

ما فَتَحْتُ لكِ قميصاً.

في بلادي، حيثُ الحُدُودُ عصافيرٌ، لا تنتهي الحُدُودُ بين وجهِي ووجهِك.

في بلادي، حيثُ الزَّهرُ يشقُّ الصَّخرَ، يَسحقُني الحِرْمَان.

في بلادي، حيثُ البلابلُ على الشَّبابيكِ، والسَّماءُ على شَفيْرِ الأرض، بيني وبينِكِ غربةُ الظِّلِّ عن الجسد.

وُجُوهٌ تنحنِي عليَّ، ولا أراكِ.

ليتَكِ تبقينَ وراءَ اليأسِ قليلاً، فأُوافيكِ.

أُمكُثي قد أصل

فنذهبُ في روائحِ اللَّيمون

وأفوزُ بكِ في رَيعانِ الموت.

المُتوهِّجةُ

الشَّبيهةُ بمساءِ الحرب

المُتوهِّجةُ حوالَيها

المُتسلِّلةُ إلى ظِلِّها

الصَّامتةُ على السَّهْل

الرَّاجعةُ كالطَّيرِ، ليشربَ في قَفَصِه

النَّازلةُ

المُعْطية لُغزاً بعدَ لُغْز

المُغطِّيةُ، ولا واحدةً من يَدَيْها

النَّازلةُ

الرَّاكضةُ في النَّوم

والصَّاعقةُ مَشلُولة.

متى صَدَقَ الكَاذبُ

عَيْنَاكِ جَمرتان، وأنا الشِّتاء

دَمعتَان، وأنا الدَّمْع

الخِرَافُ والغِزْلانُ والحَمَامُ وأنا الذِّئب.

أعليتُ رايَتي، لِتلفَحَهَا الرِّياحُ، وكَدَهرٍ تنظرُ عَيْنَاي إليكِ

فقد سمعتُ في عَيْنَيْكِ عذابي ينامُ، وسأُحِبُّكِ، لأنكِ الضَّبابُ المُهاجِر،

وأنا الرِّيحُ وراءَ الضَّباب.

صَدِّقِيني، صَدِّقِي كاذباً يَصْدُقُ، فمتى صَدَقَ الكاذبُ، فَصِدْقُهُ عظيمٌ.

أحِبِّيني، ولا تَنكَسِري، فستقعينَ في قلبي.

واسمَعِيني؛

جَسَدِي يُقرَعُ كالأجراس.

الأرضُ الشَّاسعةُ

قبْلَكِ كان سَفر

وقَطَعْتُ الطَّريق.

قَبلَكِ كُنتُ إليكِ

مُتظاهِراً بنُكرانِكِ.

قَبْلَكِ كُنتُ أعرفُ

أنَّ وقتَنا سيَجيءُ

حين يجيءُ.

قبْلَكِ التهَيْتُ

ليكونَ لهوي قُوْتاً لسَفَرِي

وكَذِبي ذُخْراً لصَبْرِيَ الفاحشِ

ونسياني خديعةً للنَّحْس.

قبلَكِ مَرَرْتُ بين الكُرُوم

لأتعلَّمَ قَطفَكِ

وكذبتُ في صِدْقِي وفي كَذِبِي

كي أُمهِّدَ الأرضَ الشَّاسعة

لِلِقائِنا الصَّغير.

الحقيقةُ

أُحِبُّكِ

الحقيقةُ.

بينَ رِيَاحِهِ وشَمْعَتِنَا

تحتَ العالمِ الذي احتلَّتْ جُنُودُهُ غُرفَ نومِنا

تحتَ هذا النَّاعمِ بحَريرِ الحربِ

تبقينَ لي

برغمِ سُهُولةِ كَسْرِنَا

تبقينَ لي

أنتِ وأنا

بعيداً عنهُ

بين رِيَاحِهِ

وشَمْعَتِنَا.

وفوقَ

فوقَ هذا الأصغرِ من العُمْرِ

المُحترقِ

الغريقِ تحتَ أربعٍ وعشرين

ساعةً فوقَ هذا العالمِ

تبقينَ لي

برغمِ قُوَّتِنَا

برغمِ استحالةِ مَنْعِنَا

أنتِ وأنا

شمسَيْن أو شمساً

بعيداً عن مَرْمَاه

بين حُبِّنا

وحُبِّنا.

الضَّاحكةُ الضَّاحكةُ الضَّاحكةُ

يا جوابَ جَسَدِي
يا شجرةَ البُيُوتِ المَهجُورة
التي تختارُ من كلامِي الكلامَ الذي أنا أختارُهُ أيضاً
التي أنسى على اسمِهَا الكلام
حَسْرتِي ومَعْرفَتِي
يا عرُوسَ الرُّوحِ والغرائز
يا أُمَّ الشَّهَوَات
يا صُراخيَ الأخرسَ، يا مُهرَتي البيضاءَ النَّاهبةَ نجومَ ليلي
يا مَنْ تحملُ سيفِي وحُطامَه
المرُوِّضة
يا مَنْ تفوَّقتْ على زَهْرِ البساتينِ، وفازتْ على الفواكهِ الوَحْشِيَّة
زنبقةُ الكآبةِ الزرقاءُ الضَّاحكةُ الضَّاحكةُ الضَّاحكةُ.

قَمَرُ الاستراحةِ

كما للآخرين سماءٌ وبيت

ليَ امرأة.

ليَ امرأةٌ مثلما للآخرينَ أطفال

للأطفالِ رُعاة

للرُّعاةِ فيَء.

ليَ امرأةٌ كما

للآخرين سَيرٌ في الزَّمان

وللأنوارِ البعيدةِ آمال

تشخصُ إليها.

أسألُ

أينَ تكون

كما يسأل

رجلٌ في الحقل

الشَّمسَ

أينَ تكون.

وحيداً أنزلُ مع النَّدى

وحيداً أرتفعُ مع الهواء

ولا يكتمِلُ قَمَرُ استراحَتي.

تحتَ جَفْنَيْهَا

تُحبُّ الألوانَ، ولا أعرفُ لماذا الضَّجرُ، مرَّاتٍ، على كتفَيْهَا؟!

إذا حَنَتْ رأسَها، فلأنَّها أعمقُ الأوتار. ومرَّاتٍ، لا أعرفُ لماذا مرَّاتٍ، هي لا تسمعُ.

أينَ حبيبتي؟ أينَ؟ أسألُ، مرَّاتٍ، وحبيبتي أمامي؟!

كلُّ يومٍ يأتي، يغيب.

كلُّ يومٍ لا يأتي، يغيبُ أيضاً!

لن أغادرَ الحُبَّ، لن أغادرَ حَرْبي. وإذا حبيبتي تُشاهدُ الألوانَ، ستُشاهدُ كم أحميها وأسيرُ فيها.

فأنا اللَّونُ الفاتحُ الذي تُحبُّهُ، واللَّونُ الغامقُ الذي ستُحِبُّه.

أنا المُغمَضُ تحتَ جفنَيْهَا.

الأساورُ

عرفتُ جُدراناً كثيرة. كُنتُ، عندما أعجزُ عن هَدْمِهَا، أنساها، فتنهدم.

حتَّى ظَهَرَ هذا الجدار.

قال لي: «لن تَنسَاني».

لم أستطعْ هَدْمَهُ. لم ينهدم.

يمنعُني من المرُور.

يمنعُني من الوُقُوف.

يمنعُني من العودة.

عرفتُ جُدراناً كثيرةً، لكنْ، لم أعرفْ أقوى.

قال لي: «لن تنساني»، رغمَ أنيِّ أستطيعُ أن أنسى.

ولم يقلْ لي سيهدمُني، لكنِّي عرفتُ من وقفتِهِ الواثقة.

خَلْفَ هذا الجدارِ، البيتُ الذي في أحلامي.

مناجمُ الذَّهبِ وعباءاتُ الفَرَحِ، والمكتوبُ على الجبين.

خَلْفَ هذا الجدارِ، لي جائزةٌ، ولحبيبتي جائزة،

وسبعةُ أجراسٍ لن تُقرَعَ إلَّا لنا، تنتظرُنا كما تنتظرُ الأساورُ اليَدَيْن.

أجملُ القارئاتِ

I

تجلسين على حافَّةِ السَّريرِ، بالُكِ في الرِّيحِ، وقَدَمَاكِ في العاصفة.

II

تتحرَّكُ يَدَاكِ مَوجَتَيْن. ويبدأُ السَّريرُ إلى الجنوب.

III

تمرُّ الحُرُوفُ. تحسبين أنَّكِ هِرَّة. تنامينَ بين الحُرُوف.

ينقلُكِ النَّومُ إلى المَلك.

IV

ترحلين على الكلماتِ إلى الأحراج. تقتربين من الصُّخُورِ، فتُصبحُ مرايا. يصيرُ النَّدى جداولَ، النّقاطُ عصافيرَ، الفواصلُ فراشاتٍ، الأرقامُ أشجاراً.

وينتظرُكِ السَّريرُ عندَ غدير.

V

الصَّفحةُ السَّوداءُ جنِّيَّةٌ تُؤجِّل عملَ اليومِ إلى الغدِ. تستحضرُ رُوحَ اللَّذَّةِ إلى نهدَيْكِ الطَّافرَيْن في عُطلة.

لا أحَد يحزُرُ كم تشتهين، وماذا تتخيَّلين.

VI

أعجزُ عن حمايةِ نفسي من أحلامِكِ. أعرفُكِ قليلاً، أيَّتُها القارئةُ الجميلةُ، أنتِ خليلَتِي وأُختي. أعرفُ قليلاً كيف تُمسكين الكلماتِ من خَصرِها، وتَعصُرين، تَعصُرين.

VII

يُضيءُ وجهُك، فتُخفِضِين الضَّوء.
العَتْمُ المثاليُّ هو الذي يعتقدُ أنْ أحلى ما فيه عُري الجسدِ الأبيض.

VIII

تنفصلُ الغُرفةُ بضحكةٍ. تطيرُ على تنفُّضِ نهدَيْكِ.

IX

تتربَّصُ بكِ أحراجٌ جديدةٌ عندَ كُلِّ نُزُولٍ إلى السَّطرِ. تلمسين جِلْدَ الكتابِ، فتخفضين الضَّوءَ أكثر.

X

سريرُكِ مَركبٌ وهَوْدَج
تشتدُّ الرِّيحُ. تُجَنُّ حولَ قَدَمَيْكِ العاصفة.
أنتِ، أجملُ القارئاتِ، على حافَّةِ السَّريرِ، تذهبين تذهبين ...
تَصعدُ الكلماتُ إلى السَّريرِ، تنتظرُ عودتَكِ.

XI

حين تعودين وقد انطفأ الضَّوءُ، ترتمي عليكِ الكلماتُ فَرِحَةً، ويتفجَّرُ وجهُكِ بالنُّور، وتُمسِكُكِ الكلماتُ من خَصرِكِ تَعْصِرُكِ، تَعْصِرُكِ ...

النَّومُ كانَ قِطافاً

كنَّا طَبيعيَّيْن، وجَسَدِي قَوسَاً ونشَّاباً
كنَّا في بدءِ عهدِنا
التَّعبُ في تصرُّفِنا، ونُسرعُ إليه، ونظنُّ سيفرُّ.
والنَّومُ معاً كان قِطَافاً
ونظرةُ الواحدِ إلى الآخرِ تُجيبُه
ولَمْسُ الواحدِ للآخر لَمْسُ الواحدِ للكُلِّ
وما كنتِ تكتبينهُ عليَّ لم يُكتَب.
كنَّا طبيعيَّيْن، لا نحتاجُ إلى مُخدِّرٍ، ولا يُحاكِمُ أحدُنا الآخرَ، لأنَّ ذنبَهُ البراءة
ولا يُسَرُّ به إنْ أساءَ إليه
ولا يكرهُهُ، لأنَّهُ يُحِبُّه.
كانتْ عندما تَصحُو أنامُ حزيناً، لأنِّي أفضِّل من أجلنا المطر.
وحين تُمطِرُ أنتظرُ منِّي المجيءَ، فتجيئين.
وتقتلعين جُذُورَكِ، لتَنْصَرِفي، فتقتلعين جُذُوري.
كنَّا طبيعيَّيْن.
نفرحُ، إذ نسرق

تتجلّى بالشُؤُون الصَّغيرة.

كُنتُ أراكِ جميلة

وتُعطينني عَيْنَيَّ

فلا أرى غيركِ.

اركُضِي

- واقفٌ على الشُّرفةِ، أرى كواكبَ عمياءَ، وأشجاراً ترمي غَضَبَهَا.
لا غيمةٌ تمرُّ كعرُوس. مَنْ أنتِ حتَّى تخنقيَ القناديلَ أو تُشعليها؟

- أنا غيمةٌ لا تمرُّ فوقَ شُرفتِكَ. أخذتْني الرِّياحُ إلى بلاد.

- كُلُّ بلادُ بلادي. شُرفتي في الرِّياح. اركُضي، يا غيمة.

- وأينَ تكونُ؟

- أكونُ فيكِ، من وَرِيدِ السَّماءِ إلى وَرِيدِ الأرض.

غيمةُ الشَّمس

اليدُ على خَصرِها تجعلُها وردة

الهواءُ على وجهِها يجعلُها فراشة

الضَّحِكُ يجعلُها موجاً

الحزنُ يُبقِيها شمساً خلفَ غيمةٍ، تحميها من اللُّصُوص.

حتَّى مجيئي

I

أنتَ الرَّجلُ الجبَّارُ، اكْسِرِ الجَرَّةَ على خوفي، كما أمَرَهم ربُّ الجُنُودِ، إذ قالَ اكسِرُوا هذا الشَّعبَ وهذه المدينة.

II

لماذا لم يُوضَعْ للديمَةِ حَبْسٌ، وللمرأةِ قَفَصٌ حتَّى مجيئي؟

III

لا أعرفُ لكِ أحداً، ولا أرى ليلاً أو نهاراً. لا أسمعُ صوتاً
ولا أشمُّ وردةً. أنتِ الوَهْمُ البَضُّ.

IV

أتمنَّى القَمَرَ والشَّجَرَ والحَجَرَ جواسيسَ على تحرُّكاتِ ركبَتَيْكِ!

V

يتنشَّقُها النَّهارُ. تستحمُّ في مَسَاقطِ اللَّيل.

VI

أخذتُكِ، وحَمَلتِ منِّي الصَّباح.

التي تلبسُ فُستانَ الورد

كعُنقِ وردة
ابتهلتُ إلى حُرِّيَّتي
التي
لم
تقدرْ
أن
تفعل
لي
شيئاً.
جميلةُ الثَّلج
عَيْنَاهَا صُعُودُ ملاكٍ وسُقُوطُه
عَيْنَاهَا لم أُحدِّقْ فيهما إلَّا نادراً، بسببِ الأمل.
بسببِ أملي أنْ أُحدِّقَ فيهما غداً
عَيْنَاهَا الحالمتان بيأسِي.
قويَّةٌ بفستانِ الورد
وقَميصِ الهواء

ومِعطَفِ السَّماءِ البيضاء.
يجمعُنا كلُّ شيء
ولا يفصِلُ بيننا إلَّا الحُبُّ.

حرفُ الهاءِ

لا تعرفُونها.

إذا صادفتُمُوها قُولُوا كلمة.

قُولُوا: فلمَّا أشرقَ عليه وَحْيُها اختفَت.

إذا صادفتُمُوها اقتُلُوها!

مَنْ ليس معي هو ضدِّي، ومَنْ كان معي هو يُزعِجُني.

أنا وحيد.

وسأظلُّ أُردِّدُ أخبارَهَا. فهي نُبُوءَتي وأنا نبيُّها.

ومثلُ كلِّ نبيٍّ أُكرِّر.

لا تعرفُونها، ولن.

ولا تُصدِّقُوا: إذا صادفتُمُوها لن تقتلُوها.

لأنَّها امرأتي، ولأنَّني أُبغضُكُم.

ولأني سأموتُ سأموتُ، ولم أبلغْ في بُستانِها حَصَادي.

ولستُ قانعاً برزقي.

وأُكرِّرُ: إذا صادفتُمُوها أَرْسِلُوها إليَّ.

وأُكرِّرُ: احفظِي صُراخي.

وأُكرِّرُ: في اسمِ حبيبتي حرفُ الهاءِ، فَمَنْ رآها، ليقلْ لها لم أعدْ أذكرُ من الأبجديَّةِ غيرَ الهاء.

وليقتُلْها إذا، إذا، إذا ضَحِكَتْ!

مثلُ قَمَرٍ

I

لا تلبسين ثياباً زرقاء.
تلبسين الأزرقَ الذي في عُيُونِ الشُّعَراء.

II

ذلك النَّهارُ جاءَ الطُّوفانُ، وجَلَسَ. لم تجدِ السَّفينةُ ماءً يحملُها.
ولم تجدْ أيّاً منَّا، لتحرِمَهُ الطُّوفانَ!

III

أنا لنفسِي، وحبيبتي لنفسِها.
نحنُ مُتَّحِدَان مثلَ قَمَر.

ثَوبُها العاري

كانتِ الشَّمسُ جالسةً بين النِّساء.

سيكونُ للشَّمسِ قَمَرٌ على يَدَيَّ، وسأُعطيها يَدَ اللَّيل.

لا يتكلَّمُ عن الحُبِّ أحدٌ. عندما عَثَرْتُ على الجالسةِ، خجلتُ إذ رأيْتُها، فلم أقلْ لها. كُنتُ أعرفُ أنِّي أحدَ الأيَّام سأجدُها. لكنِّي وَقَفْتُ كالأبله.

نظراتي نَصَبَتْ مَكمَناً في صَوتي، فأشاحَ صوتي بنَظَرِهِ خوفَ الفضيحة.

وخَرَجْتُ من الغابةِ، لتفترسَني الشَّمس.

سعادتي تُخاطِبُ الأشجارَ، وتحزنُ بلا سبب.

سعادتي حشيشٌ تحتَ قَدَمَيَّ.

حبيبتي شمسٌ طريَّةٌ، لها على جبيني شُحُوبٌ. حبيبتي حليبٌ وعُشبٌ. انحدرتْ عن كتفَيْها العواصفُ. استعبدتْها النَّارُ، واستبدَّتْ بها الينابيعُ والأحجارُ الكريمة.

كَنْزُ الكُنُوزِ الصامدُ من أجلي.

وأنا أصيرُ نُحاساً، ليشتدَّ انعكاسُها عليَّ، وشُعاعاً، لأعودَ إليها، وماءً، كي تظنَّ نفسَهَا وحيدةً فيه.

وثوبُها العاري يُهدِّدُ كُلَّ نهرٍ بالفيضانِ والحريق.

وإذا الحريقُ احترقَ، تخلعُ ثوبَها كَمَنْ يفتحُ جفنَيْه، وتركضُ إلى النَّارِ، تخنقُها بعُريها المُصمَّمِ في ضوءِ منامٍ عتيقٍ، عُريها المنهارِ كالنُّور.

ولها، فوقَ العالمِ، انحناءةُ امرأةٍ على ساقَيْها في مرآة!

صغيرةٌ وقَدَمَاكِ كخاصرتَيْن.

سلامُكِ نبيذٌ، وحربُكِ ذَهَب.

مَنْ كان يعرفُكِ، فغداً لن يعرفَكِ.

ستُصبحين أُمّاً لجميعِ الأشياءِ، وبهُدُوءٍ تتَّجهين نحوَ جَسَدِك.

ذَهَبَ المجوسُ، ورَجعُوا، وقالُوا

I

فتحتُهما عليكِ. لن أموتَ وهما مُغمضَتَان.

II

اللَّيلُ على لسانكِ شمس.

III

طلبتُ أن يذهبوا ويأتُوا بالوقتِ، فَذَهَبَ المجوسُ، ورَجعُوا، وقالُوا:

سيمحو ليلُ الشِّتاءِ ليلَ الصَّيفِ. سيمحو دَمْعُ الشِّتاءِ دَمْعَ الصَّيفِ. سيطيرُ عُصفُورٌ حزينٌ من القفصِ، ليعودَ إلى القفصِ عُصفُورٌ حزين.

IV

التَّائهُ الصَّغيرُ استقرَّ عندَ بابِ عروسِهِ، فَقَتَلَهُ الحُرَّاسُ على العَتَبَة.

V

تُشرقين أبكَرَ من أصيلِ الطُّفُولة.

VI

مُتكبِّرةٌ كلَوعةٍ محروقة.

VII

رَبَطتُ لحبيبتي بين السِّنين. ربطتُ على مفارقِ الخجلِ. أبحرْتُ كجاسوسٍ تحتَ الماءِ. لم يَرَني خفيرٌ. لم يكشفْ طويَّتي بصَّار. لم تشعرْ حتَّى حبيبتي.

وصلتُ إلى شاطئِها، فتضايقتْ. وإذ وَزَنَتْ كلامي، رقَّتْ. ولمَّا قُلتُ أُريدُها، جَفَلَتْ. أسرعتْ خلفَ الرَّوابي. نَزَلتْ تحتَ الرَّوابي.

ربطتُ لها بين الشُّهُبِ والشّيم. وكُلُّ مَكمَنٍ كان مُحْكَماً، وأمامَهُ سياج.

لكنَّ حبيبتي أطلقتْ كبرياءَها، أطلقَتْ من كبريائِها ذِئباً على وجهي.

غابَ وجهي.

أغارُ

أغارُ عليكِ من الطِّفلِ الذي كُنتِ ستلدينَهُ لي.

من المرآةِ التي تُرسلُ لكِ تهديدَكِ بجمالِكِ.

من شُعُوري بالنَّقصِ أمامَكِ.

من حُبِّكِ لي.

من فنائيَ فيكِ.

ممّا أكتبُ عنكِ، كأنَّني أرتكبُ فضيحة.

مِن العذابِ الذي أُعانيهِ فيكِ، مِن العذابِ الأكثرِ بلاغة مِن المُتعذِّبين.

مِن صوتِكِ، مِن نومِكِ، مِن وَضْعِ يَدِكِ في يدي.

مِن لفظِ اسمِكِ.

مِن جهلِ الآخرين أنيِّ أُحبُّكِ، مِن معرفةِ الآخرين أنيِّ أُحبُّكِ، مِن جهلِ الآخرين أنيِّ أغارُ عليكِ، مِن معرفةِ الآخرين أنيِّ أغارُ عليكِ.

مِن سعادتي بكِ، مِن سعادتِكِ بأيِّ شيءٍ، مِن وُجُودِكِ حُرَّة.

مِن وُجُودِكِ عَبْدَة.

مِن وُجُودِكِ لحظة.

أغارُ عليكِ مِن غَيْرتي عليكِ.

مِن أوَّلِ مساء.

مِن عطائكِ لي.

مِن تعلُّقي بكِ أشَدَّ أشَدَّ.

أغارُ عليكِ، لأنَّكِ تقرئينَني، وأنا أُريدُ أنْ تحفظيني.

لأنَّكِ قد تحفظينَني وتحفظين سواي.

لأنيِّ لا أرى غيرَ حَمْقى،

لأنيِّ لا أرى غيرَ أذكياء.

لأنيِّ أُحاصِرُكِ، وأتعهَّدُكِ كالوحش.

لأنَّ حُبِّي يخنقُكِ.

أغارُ عليكِ ممَّا أشتهيكِ أنْ تكوني، وممَّا تشتهين أنْ تكوني، وممَّا لا تقدرين أن تكوني.

مِن المرأةِ، لأنَّكِ امرأةٌ، ومِن الرَّجلِ، لأنَّهُ يراكِ.

مِن الجنسِ، لأنَّهُ حتَّى يعودَ يجبُ أن يتوقَّف.

مِن كُلِّ ما سيكسرُهُ نَظَرُكِ.

أغارُ عليكِ، لأنيِّ خَطَبْتُكِ جاهلاً عددَكِ.

لأنيِّ أخنقُكِ بحُبِّي، وأنتِ لا تقدرين أنْ تُحبِّيني وأنتِ مخنوقةٌ بحُبِّي.

لأنيِّ ساخطٌ، لأنَّكِ أجملُ النِّساء.

لأنيِّ أمدحُكِ، فأخافُ أنْ تسمعِي في مديحي أصواتَ آخرين.

أغارُ عليكِ مِن الأشياءِ التي يكبرُ فرحُكِ بها، لأنَّكِ تُحبِّينني.

مِن نُبُوغِ جَسَدِكِ.

من عابري السَّبيلِ، ومِن الذين جاؤوا ليبقوا، ومِن الأبطالِ والشُّهداءِ والفنَّانين.

مِن إخوتي وأولادي وأصدقائي.

مِن الأقوياءِ، لأنَّهُم يأخذون الإعجابَ، ومن الضُّعفاءِ، لأنَّهُم يبدؤون بأخذِ الشَّفَقَة.

من لَبُؤَةِ الرَّجاءِ النَّائمة.

من الأنغامِ والأزهارِ والأقمشة.

من انتظارِ النَّهارِ لكِ، ومن انتظارِكِ اللَّيل.

من أقصى الماضي، إلى أقصى الماضي.

من الكُتُبِ والهدايا، ومن لسانِكِ في فمِي.

من إخلاصي لكِ فُرادَى وجماعات.

من الموت.

أغارُ عليكِ أَجَنَّ أَجَنَّ كلَّما تضايقتِ من غَيْرتي عليكِ.

أغارُ عليكِ من جميعِ الأعداءِ، ومن جميعِ الحُلفاء.

من الحياةِ الرَّائعةِ التي نقدرُ أنْ نعيش.

من ورقِ الخريفِ الذي قد يسقطُ عليكِ.

من الماءِ الذي يُتَوَقَّعُ أن تشربيه.

من الصَّيفِ الذي تخترعينَهُ بعُرْيك.

من الطِّفلِ الذي كُنتِ ستلدِينَهُ لي.

من الطِّفلِ الذي لن تَلدِيهِ أبداً ...

حتَّى السَّعادة

ساقاكِ حميمَتَان كَنَهْدَيْكِ
وذكائي يُحرقُ حُبِّي القديم
مُعطِياً حُبِّي الجديدَ مَجْدَ العُصُورِ المجيدة.
سَاقَاكِ حميمَتَان كَنَهْدَيْكِ
وسَاقَاكِ لكِ كَنَهْدَيْكِ
لكِ ولمجدِ العُصُورِ المجيدة.
وأنتِ مَولُودةٌ، لتُغلَقَ الكُتُب
مَولُودةٌ، لتمتقعَ التَّماثيل
مَولُودةٌ، لتأخُذي مفاتيحَ العاصمة
مَولُودةٌ، لتصيري عاصمةَ الذين يجبُ أنْ يصيرُوا فيكِ
مَولُودَةٌ، لتُصحِّحِي الحياة
مَولُودَةٌ، لتعرفي جميعَ يَدَيْك
مَولُودَةٌ، لتُصحِّحي الطَّهارة.
سَاقَاكِ هاجمَتَان كَنَهْدَيْكِ
مُستقبلَتَان كَنَهْدَيْكِ

أيَّتُها المرأةُ، نَفِّذي جمالَكِ، نَفِّذي فَضِيْلَتَكِ
وكُوني زُجاجةَ الخمرِ، وكُوني خمرَ الزُّجاجة.
دَمِّري دَمِّري
ولترتفعِ القَداسةُ من نارِ سَاقَيْكِ
والحقيقةُ من الفضيحة
ولتنطلقْ دُرُوبُ المدارسِ من غاباتِ الجُنُون
وَسِّعي وَسِّعي الآفاق
ولَذَائِذُنا تنتظِرُ، كي تتَّسعَ آفاقُها، أنْ تتفرَّجَ علينا الأرض
في العَرَاءِ المَدهُوشِ بحُرِّيَّتِنا
وقد احتَشَدَتْ هُناكَ الأنظارُ من كُلِّ صَوْب
تأمَّلْ كيف، بعدَ البُرْقِ الحَنُونِ، وبقيَّةِ الفُنُون، خَلَقْنا الحُبَّ
ضدَّ الهَلَعِ والموت
ضدَّ التَّفَاهَةِ والموت
ضدَّ الحُبِّ المُضادِّ والموت
ضدَّ الغَيْرةِ والموت
ضدَّ الخوفِ والموت
ضدَّ الطَّبيعةِ المُضادَّةِ والموت
ضدَّ البُكاءِ والموت
ضدَّ السَّماءِ والموت

ضدَّ الصَّقيعِ والمَنْفَى والحصار
وأوراقِ خريفِ الفُصُولِ الأربعة
والألحانِ المتُآمرة
والمِمْحَاةِ التي تمحُونا باسمِنا
والوُحُوشِ التي لها أسنانُ أطفال
ضدَّ إرهابِ الزَّنبقةِ الدَّجَّالة
ضدَّ الأخلاقِ المُضادَّةِ للأخلاق
ضدَّ الكَبْتِ المُصَعَّدِ بالصَّلاةِ والرِّياضةِ والكَدْحِ والحضارة
ضدَّ الحضارةِ التي أغلَقَتِ الحُدُود
ضدَّ الحُدُود
ضدَّ الأيدي التي تشنقُ الأيدي، والأقدامِ التي تكمُّ الأقدام
ضدَّ أُمناءِ السِّرِّ والمتَاحِف
ضدَّ الزَّمانِ السَّابقِ تاريخنا
ضدَّ التَّاريخِ المُعارِض تاريخنا
ضدَّ الحُمَّى الضَّائعةِ في الأجساد
ضدَّ الأجسادِ الضَّائعةِ فوقَ حواسِّها
ضدَّ الأقدامِ التي تهدُرُ تُرابَ الوقت
ضدَّ الأرواحِ المَسكُونةِ بالأرواح
ضدَّ الحَسَدِ الاتِّهامِ الشفقة

ضدَّ العذابِ والموت

ضدَّ الموتِ الموتِ الموت

حتّى السعادة

سعادةٍ أروعَ وأكبر

أكرمَ وأكرم

نخترعُ لها أبديَّةً، نتخطَّاها إلى الأبد

نحو الله

في داخلِ الله

أبْعَدَ من الله

نحو الله

الذي هو عَرَاءُ الكون،

وأنا وأنتِ والحُبُّ

حُبٌّ يُعيدُ إلى البلادِ الله

الذي يَملكُ ولا يَملك

الذي يَحْرِصُ، والذي يُبيح

الذي يَفرحُ، والذي يُفرِح، والذي كان قتيلاً في ضمائرِنا الحَيَّة

في ضمائرِنا البَلْهَاء

الذي رَبَطُوهُ في البئرِ، كي لا يُحرِّرَ الماء

الذي لا يَشقَى

الذي لا يخاف
الذي لا يُحَدُّ
الذي لا يُستعْبَد
الذي يُولَد من حريق حُبِّي القديم
الذي يُولَدُ فوقَ العالمِ القديم
الذي يُولَدُ من جميعِ يَدَيْك
الذي يُولَدُ من قديمِ جَسَدِكِ، وآتي أجسادِكِ
الذي يُولَدُ عندَ نهرِ عاصمتِكِ الزَّرقاء
الذي يُولَدُ على سريرِكِ
وسَاقَاكِ حميمَتَان كَنَهْدَيْكِ
وتجيءُ العُصُور
ومجدُ العُصُور
وفي النَّاسِ الرَّعشة.

الكَنارُ يُطلِقُ النَّارَ على نَفْسِه

كنّا نَحسبُ الفراغَ نبيذاً

كان صوتُكِ هضبةً، تُغطِّيها المياه
وكانتْ مراكبُنا سُوداً
أراضينا بُوراً
شُمُوعُنا صُخُوراً.
كنَّا نُخطِئُ بالصَّغيرةِ والكبيرة
نَحسبُ الفراغَ نبيذاً
والرَّملَ على الرَّمل: القمحَ والذَّهب.
وكُنَّا نحفظُ الأوراقَ، لنَحفَظ
ونَعبدُ الآثار، لنعبد
ونُخبِّئ، لنُخبِّئ،
حتَّى جئتِ
فلم ننظرْ إلى ما كان
غيرَ نظرة!
ولمَّا البِحَارُ تشقَّقَت
وأشَعَّ صوتُكِ

هوينا إليهِ كَمِيَاه.

صِرتِ المياه

صِرتِ المطر.

ونَزَلَ الوقت

نُزُولَ الرُّعاةِ من الهضبة.

مرَّ إعصارٌ، فلم يقتلعْ شَجَرَةً

لو أخَذْتُ وَرَقَةً وقَلَماً
وسَعَيْتُ إلى الرِّزْق
لو تذكَّرتُ اللهَ أو نسيتُه
وضَرَبْتُ بالمِعوَل
لو غَرِقْتُ في الأحراج
وتصيَّدْتُ في الغُيُوم
لَمَا استطعْتُ أنْ أفعلَ غيرَ الحُبِّ
فإنيّ لا أُخطِئُ، ولا أُصيبُ إلَّا فيه.
وحين أكبرُ أو أصغر
وتخطبُني المسرَّاتُ أو السَّأم
ويُمسِكُ بخِنَاقِي حادث
أجلس
آخُذُ وَرَقَةً وقَلَماً
إلى آخرِه.
أحببتُ

ومرَّ إعصارٌ، فلم يقتلعْ شَجَرَة

لذلك عُدتُ، فأحببتُ

ولم أنصبْ فوقَ رأسي خيمة

ولا حاولتُ أن أفصلَ بين الأرضِ الصَّخريَّةِ والأرضِ الزِّراعيَّة

لأنَّهُ

إذا كانتِ الطَّبيعةُ تحتاجُ إلى آلافِ السِّنين لتُحوِّلَ الصَّخرَ أرضاً زراعيَّة

فالحُبُّ يحتاجُ إلى لحظةٍ وإنسانٍ ليُحوِّل

لحظةً أُخرى وإنساناً

إلى السَّعادة.

وأُضيفُ أنِّي على رغمِ آلامي كُنتُ سعيداً

فلن أنسَى كيف وَهَبَتْنِي

فَمَهَا الذي يمتصُّ الرُّوحَ، ليُجدِّدَها.

أُحِبُّ كلمةَ «مُحرِّض»، وتُحبُّني

ولكنْ، لا أسمعُ في الأخبارِ عن الحُبِّ

لأنَّ الحُبَّ يُحرِّضُني كَثَائِرٍ يُحرِّضُ الجماعة

والأخبارُ لا تُذيعُ عن الحُبِّ

كي لا تُذيعَ عنِّي.

وإنِّي مُغتبطٌ بهذه المُعاملةِ السَّيِّئة

فهي تُعطِيني غذاءً للحقدِ على البُؤسِ العامِّ.

ولهذا

عندما أجلسُ أمامَ وَرَقَةٍ وقَلَم

كما قلتُ

دائماً ...

الذِّئبُ

في قصصِ الكبارِ للصِّغارْ
ذئبٌ يكونُ دائماً
وراءَ أحجارٍ
وراءَ أسفارٍ
وراءَ أشجارٍ
وراءَ بُستانٍ من الأزهار.
ويهجمُ الذِّئبُ
في قصصِ الكبارْ
ليأكلَ الصِّغار.
وذَهَبَ الكبارْ
وأقْبَلَ الصِّغارْ
وذَهَبَ الصِّغارْ.
ويومَ لم يعدْ
يأكلُني الذِّئبُ، لكي أنام
بكيتُ عشرين سنة

ومتُّ من شوقي إليكْ

يا ذئبُ

من شوقي إليكْ!

كيفَ والله

ألا يَتعبُ الرِّجالُ ويُهاجرون، بعيداً عن، بعيداً عن؟

كأنْ تقول: قُضاةٌ أرْهقَتْهم آذانُهُم، فاستحالوا عَوْسَجاً أو حاناتٍ؟

إنَّ التَّغييرَ حقٌّ أكيد.

والله كيف يتحمَّلُ القُضاةُ أمرَهُم، لا حقَّ هناك، لأنَّهُ لا حقَّ حقّاً.

فلا ظُلمَ واللهُ هناك ...

من مظاهرِ الفردوس

اشتاقتِ السَّيِّدةُ، واستوحَشَتْ

أبصرَها الجنيناتيْ

أتاها.

عادَ إلى الأزهار

وعادَتِ إلى الأحلام

أمْسَكَتْها

تسلَّقَتْها

قبَضَتْها.

وبرأفة

وعُنف

كمحراثٍ ومجاذيف ...

صاحَ الأولادُ: «يا! يا»

قالتِ الصَّغيرة:

- أنا أضعُ القنابل

تحتَ أبوابِ الرَّأسماليِّيْن

لأنيِّ شُيُوعيَّة

وأنتَ؟

غَمَرَهَا بحنانِ خيبتِه

وعَيْنَيْهِ العميقَتَيْن.

تطلَّعَ إلى كَنْزَتِها

وكُتُبِها تحتَ إبطِها

وذَكَرَ لها عن العُمر

الذي بين لحظةٍ ولحظة

بين رجلٍ وامرأة

أو بين رجلٍ وفتاةٍ صغيرة.

قالتِ الصَّغيرة:

- أنا أُوزِّعُ المناشير

ضدَّ أعداءِ الشَّعب

وأنتَ؟

وَقَفَ شَعْرُ خُبثِهِ على قلبِه

وقال لها

كيف لم يعدْ صغيراً

وكيف يعملُ في أشغال

ناشفةٍ، لكنَّها مُهمَّة.

تطلَّعتْ إليه

سَكَتَتْ

طويلاً قليلاً

ومرَّ ملاك.

وقالتْ:

- كُنتُ أظنُّكَ مع الشَّعب

صوتُكَ دافِئ

عَيْنَاكَ عميقتان،

لكنكَ رأسماليٌّ

ولن أراكَ.

في ما بعد

عَرَفَ أنَّ الصَّغيرةَ قتلَتْها الشّرطة.

وفيما كان الرَّجلُ العميقُ العَيْنَيْن
يفكُّ حُزنَهُ بالخمرةِ الرَّأسماليَّة
كانتْ طهارةُ الفتاةِ القتيلة
تعصرُ قلبَهُ
وكانت براءتُهُ العاجزةُ وهو حَيٌّ
تعصرُ قلبَهُ
وكانت ذكرياتُهُ المُضحِكَةُ
تعصرُ قلبَهُ
حتَّى لم تعدْ في قلبِهِ نُقطةٌ
من دمِهِ الرَّأسماليِّ
نُقطة
من دمِها الشُّيُوعيِّ
نُقطة
من دمِ إنسان.
مَلأ قلبَهُ الحقدُ
وقَسَمَ العالمَ قسمَيْن:
الأولادَ الذين ضدَّ العالم
والعالمَ الذي ضدَّ الأولاد.
وعَملَ خادماً، ليَسُرَّ الأولاد

حَمَلَ إليهم العالم

ليلةَ عيد

وَضَعَهُ تحتَ أقدامِهِم

حدَّثَهُم عنهُ

صاحُوا: «يا! يا!»

وخافُوا.

عندئذٍ أشعلَ الرَّجلُ العميقُ العَيْنَيْن

العالمَ الذي ضدَّ الأولاد

بعودِ كبريت

فَهَبَّ الحريقُ إلى السماء

حتَّى سمعتْهُ الصَّغيرةُ التي قَتَلَتْها الشّرطة

ومن هُناك

شاهدتُ حُبَّه

وكُلَّ أولئك الأولاد

يخدمهم لأجل سُرُورهم

وقالت:

«كان لا بدَّ أن يُعيِّدَ الأولاد. أحسنتَ!»

ونَظَرَ الرَّجلُ العميقُ العَيْنَيْن

ليرى إذا نسيَ شيئاً خارجَ الحريقة

فلم يَرَ

ولمَّا أبصرَ الأولادَ فَرِحِين

وصاروا أحراراً من الخريطة

أغْمَضَ عَيْنَيْهِ العميقَتَيْنْ

وسَدَّ أنفَهُ

وارتمى في النَّار.

فلنقعْ فريسةَ الجزيرةِ

لمَّا ماتَ الأميرُ هَرَبَ البستانيُّ الفقيرُ من بَطْشِ الخليفة.

تسلَّلَ في اللَّيلِ من أبراجِ السُّورِ، وسافرَ مجموعَ ليالي السَّفرِ. دلَّتْهُ نجمةُ العطشِ على جزيرةٍ، حيثُ استراحَ.

وسَمِعَ أصواتاً، ورأى حُدُوداً. ودلَّتْهُ نجمةُ الجُوعِ، فَأَبْصَرَهُنَّ.

كانتْ في تلك البلادِ عشرون ومليون امرأة.

وبساتين.

وشُهرةٌ لطيفةٌ لرجلٍ، إنْ أتى أتى، وإنْ لم يأتِ أتى.

وكُنَّ يغزلْنَ الصُّوفَ، ويرمينَ الصُّحُونَ في الأنهر،

ويأكلْنَ التُّفَّاحَ قبلَ أوانِهِ، إذ هو جاهزٌ على الدَّوامِ في الجزيرةِ. وكُنَّ يتعلَّمْنَ اللُّغاتِ والمبادئَ والضَّحِكَ والشَّوقَ والعُلُومَ والغرائزَ.

أعانتِ النِّساءُ راعيَ البساتينِ على الإقامةِ. خصَّصْنَ له راتبَ مَلْبَسٍ جديدٍ، لكنَّ راتبَ المأكلِ كان قديماً، وأيضاً راتبَ الخمرِ. فمثلُ جسدِ الإنسانِ ورُوحِهِ مثلُ بدءِ الخليقة.

وصارَ راعي البساتين راعي النِّساء، وصارتِ النِّساءُ خِرَافَه.

أعْطَيْنَهُ الأرضَ، فَأَخْصَبَهَا. أعْطَيْنَهُ الحقلَ، فروَّجَ فيه العبيرَ. أعْطَيْنَهُ

العُشبَ، فعلَّمْهُنَّ ما فيه من كواكبَ. أَعْطَيْنَهُ البراريَ، فزيَّنَها باللَّعِبِ والأنغام. بَلَّلَ عُيُونَهُنَّ، وقَصَفَ التُّرابَ بعواصفِهِنَّ.

حفظْنَ عليه اللَّذَّةَ قبلَ الحسابِ، والسَّعادةَ قبل التاريخ.

واللَّواتي لم يكُنَّ جميلاتٍ صرنَ جميلات.

لقد هَرَبَ تحتَ اللَّيلِ حتَّى وَصَلَ. لكُلِّ هاربٍ تحتَ اللَّيلِ نجمةٌ فوقَ اللَّيل.

وبعدَ مماتِ الأميرِ هو البستانيُّ أمير.

لقد أسَّسَ هُناك حياتَهُ لنا.

والنِّداءُ هو: لنهرُبْ وراءَهُ تحتَ اللَّيلِ. فَلْنَقَعْ فريسةَ الجزيرة! ...

المِعطَفُ في الصَّقيعِ كلمةٌ

أُكتُبْ زيارتَكَ على المواسم. أُكتُبْ قُبلتَكَ على الخبزِ والخمر.

أُكتُبْ على المُفاجأة.

أُكتُبْ.

أُكتُبْ شهوتَكَ على، وطَيْفَكَ على، وأحلامَكَ على الغارِ والنَّار.

أنتَ عائدٌ غداً إلى سيِّدِكَ.

أإلى فَرَحِ سيِّدِكَ؟

إلى سيِّدِكَ.

أإلى غضبِ سيِّدِكَ؟

إلى سيِّدِكَ!

أإلى رحمةِ سيِّدِكَ؟

إلى سيِّدِكَ! ...

أُكتُبْ.

أُكتُبْ وَهْمَكَ وعُبُورَكَ على المصادرِ والنَّوافذ.

أنتَ لستَ الرَّبيعَ الذي يجيءُ كلَّ ربيعٍ. أُدخُلْ، وأُكتُبْ.

أُكتُبْ ألفاظَ البرِّ والبحر. أُكتُبِ النَّخوةَ والتَّعَبَ، الحَجَلَ والحَجَرَ،

الرِّفقَ والبَطشَ. اُكتُبِ المُمَثِّلَ والشَّهيدَ، السَّريرَ والضَّميرَ. أدْمِنْ يَدَيْكَ، واترُكْ يَدَيْكَ على الينابيع.

أيُّها الرَّجلُ، أنتَ تموت.

اُكتُبْ!

اُكتُبْ!

اُكتُبْ!

نقمَتَكَ على الثَّلجِ، غَضَبَكَ على النُّحاسِ، حَنَانَكَ على الشَّمس. اُكتُبْ حُبَّكَ في العُيُونِ جميعاً.

ليُصبحَ عودُ الثِّقابِ في العَتْمِ كلمةً، والمِعطفُ في الصَّقيعِ كلمةً، والنَّسيمُ في الحَرِّ كلمةً، والغُربةُ واللِّقاءُ كلمةً، والنَّهرُ والفمُ كلمةً.

لِيَنَمِ الرِّجالُ بعدَكَ مع الكلمة.

لِتَنَمِ النِّساءُ بعدَكَ مع الكلمة.

لِتَكُنِ الكلمةُ بَعدَكَ أنتَ!

الحياةُ حُرَّةٌ

أشكرُ الذين يسهرُون، وقريباً منِّي نوافذُهُم مُضاءةٌ بعدَ الغيابِ العامِّ.

الحُبُّ الذي يشدُّني إليهم هو بلا وجه. إنَّهُ يشدُّني إلى بشرٍ، لا يدخلُون في مسؤوليَّتي.

هم الأحبَّاءُ الغَفِلُون من التَّوقيعِ، بيني وبينهم مسافةُ التَّأمُّل. يسيلُ لُعابي لظِلالِهِم على شَراشِفِ أسِرَّتِهِم، ولمشهدِ امرأةٍ (قد تكونُ امرأةً) تروحُ وتجيءُ بشكلٍ مشبوهٍ وراءَ هدفٍ، لا بُدَّ أنْ يكونَ هدفي.

وأكثرُ الفرحِ في الأمرِ أنَّهم يسهرُون لي دون أنْ يعرفُوا. أتدفَّأُ فوقَهُم دون أنْ يعرفُوا. ينطفِئُون دون أنْ أكونَ الإطفائيَّ.

جزيلُ الشُّكْرِ للَّذين بين نافذتي ونوافذِهِم خطٌّ رغبَتي يتشمسُ في ضوءِ القَمَر.

الرُّؤيا من طَرَفِ العين.

النَّاسُ طيِّبون من نافذةٍ إلى نافذة.

الحياةُ حُرَّةٌ من ثَقْبِ الباب!

أنتَ

اذهبْ إلى الطَّبيعةِ ثلاثة
أنتَ، المرأةُ، هو.
يتحابَّان، وأنتَ
حُرَّاً
تتحابُّ
وتعبدُكَ الطَّبيعة!

ابني الحبيبُ

ما أهمّ شِعْرَاً سيُكتب. يُطلُّ ويضيعُ كَسَيْرٍ على الأقدام.

دائماً سيظلُّ هناك «قديماً».

وقديماً كُنتُ للظّلامِ مَكْمَناً، وللنُّورِ فخّاً. قديماً أصيرُ إلهاً.

لم أكنْ واعياً، في القِمارِ كُنتُ أربحُ. لأنَّ السُّلطانَ يخسرُ بحُرَّاسِه.

ما أبسطَ الشِّعْرَ النَّاعسَ في المُمكنِ النَّائمِ في المُستحيلِ. يبدو ذلك عبارةً هزليَّةً! لكنْ، عظيمُ قولِكَ هذا الشِّعْر. لو وصلتُ إليه، لأكلتُه، ثمَّ رددتُه إلى المُستشارين، ليُنقِّحوه، فأشتاقَه إذ يتجدَّد، فأستردَّه، لآكلَهُ، وأردَّه.

وأنهضُ عليه في أغانٍ وبعضِ النساء، يمْنحُك أنَّ ما سوفَ تنتظرُه، يحدثُ الآن!...

إنْ كتبتُ شِعْري، فلأنَّهنَّ. ويقيناً إنْ لم أكتبه، فلأنّهنّ.

آهِ، المرأةُ امرأةٌ، ولا مَنْ يعرف، تجلس، ولا مَنْ يضعُ يداً على يدِها. العالمُ الباني، الوقتُ الضائعُ، ليأتِ ليأتِ، ويتعلَّم النِّساء! الرَّجلُ الطَّاغيةُ عبد. المرأةُ العبدةُ طاغية. المرأةُ السَّاكنةُ، الوقتُ الضائعُ، لتتعلَّمَ يَدَيْها اللَّاعبتَيْنِ، وفَمَهَا النَّاضحَ بالنِّسيان، ولسانُها تدورُ عليه

الأرض. إنَّهم هنا بجميعِ الأساليبِ إلَّا الأسلوبَ الرَّائع. والمرأةُ تجهلُ أن الشيطانَ ملعونٌ، لأنَّهُ لم يجرؤ أن يكونَ رجلاً، ولا تَجاسرَ أنْ يصيرَ امرأة!

أينَ كنتِ، أيَّتُها المرأةُ؟ أينَ حَبَسَتْكِ الملائكةُ والأبالسةُ؟ وأينَ حَبَسُونا معكِ مُنذُ ذلك العهدِ الذي ما بَدَأ حتَّى انتهى؟

ألا فَلْتَكُنْ ملعونةً آدابُ الحُبِّ النَّائح! عقيماً لِيَصِرْ نباتُها؛ لِتتكسَّرْ فضائلُها على كُهَّانِها! لِتسقطِ السُّدودُ، ولِيحملِ الإنسانُ حيثُ يذهبُ مَجْدَ جسدِهِ ورُوحه. وليبدأْ من جديد عهدُ الجنَّةِ الذي كان فجأةً عطَّلَهُ عُطلٌ طارِئ، وها قد أصلَحَهُ العطَّار، وصوتٌ من السَّماءِ يقولُ: هذا هو ابني الحبيبُ الذي به سُررتُ!

ما أجملَ الشِّعْر أتركُهُ فيهنَّ. أترك فيهنَّ حُرِّيَّة البشر.

ومن أينَ توجدُ هؤلاء النِّساءُ، لولا الذي فيهنَّ، ولن أقولَهُ؟

الواوُ والفاصلةُ

من أجملِ ما يُمكنُ أن يَحْدثَ هو أنْ ترميَ نفسَكَ كُلَّ يومٍ من النَّافذةِ بتلذُّذ مُتجدِّد واكتشافاتٍ فاتنة.

أنْ تُكاتِبَ امرأةً مجهولةً، فتُحِبَّها، وتشتهيَها، ثمَّ تلتقيَ بها، و، نَقْضاً لتخوُّفاتِكَ، تجدُها مُذهِلَة.

أقولُ ذلك على سبيلِ المثالِ في ما يتعلَّقُ بما نُسمِّيه الصُّدْفة، أي الحَتْمِيَّة.

إنِّي، كالخاضعِ لنُفُوذِ المُخدِّرِ اللَّطيفِ، عظيمُ التَّفاؤلِ، في لحظةٍ من لحظاتِ التَّشاؤمِ الأقصى، عظيمُ التَّفاؤلِ بما لا بُدَّ من حُصُولِهِ في المُستقبلِ الذي يرعى ذِكرياتي.

عظيمُ التَّفاؤلِ بما وراءَ التَّأييدِ والإنكارِ، عظيمُ التَّفاؤلِ بما وراء المُتناقضاتِ، عظيمُ التَّفاؤلِ بالفردوس.

أيّ فردوس لا أعرفُ. ستكونُ فيه امرأةٌ آتيةٌ باستمرارٍ من الشَّمال، كي أمنَحَهَا جَسَدَهَا، كي أمنَحَهَا كيانَنا، كي أمنَحَهَا الحُرِّيَّة، وأكونَ ملكَ العبادةِ والاستعباد.

كلامي ليس مُشرِقاً أو جَلِيَّاً، لكنِّي عرفتُ ماذا تقصدُون منه.

الصَّقْرُ الذي أَكَلَ

وَلدٌ وفتاة

فَرْخُ صَقْرٍ وقُبَّرَة

الفتاةُ تُطعِمُ الولد

لأنَّ الطَّير

يُصادُ بالطَّير.

صبيٌّ وصبيَّة

ريشُ الصَّغيرِ اشتدَّ

وجناحُ الصَّغيرةِ لاَنَ

مثلَ فَرْخِ الصَّقْرِ إذا صقر

والقُبَّرَةِ التي تظلُّ قُبَّرَة.

رجلٌ وامرأة

عَمَّرتْهُ فَقَتَلَهَا

لأنَّ فَرْخَ الصَّقْر

الذي أطعَمَتْهُ القُبَّرَة،

عندما أصبحَ صَقْراً

أَكَلَ القُبَّرَة.

عصافيرُ هاربةٌ

صرْنا نُفتِّشُ عمَّا نقولُ، حتَّى بعدَ حين نصيرُ مُرتبطين.

وكلَّما تنفَّسْنا خَنَقَتْنا الكلمات!

قريباً يكونُ الذين ألمتُهُم بعيدِين، لا أقدرُ أنْ أشرحَ لهم. وسوفَ أسهرُ على وجهي.

صَنعْتُ حربي، فكم أودُّ لو أصنعُ سلامي.

أفظعُ ما شاهدتُ في عُيُونِهِم عصافيرُ هاربةٌ تعني أنيِّ خَيَّبْتُهُم.

صَنَعْتُ شوقي، فكيف أُوْصِلُ حُبي؟!

صَنَعْتُ حُبِّي، فكيف أُعطي عَطَائي؟!

الدِّينارُ القَمَرُ

رجلٌ اسمُهُ حافظ
عَلَّقُوا عليه الآمال
فَوَقَعَتْ.
فَرَّ من آمالِهِم
عَبْرَ بابِ الخدَّامين
أَبْصَرَتْهُ امرأةٌ واقفة
تحتَ ثيابِها العَالية
على الشُّرفَةِ الشَّفَّافة
وفي فكْرِها طفل
تحبلُ به من أيِّ مُغامر
فحملتْ طفلَها إلى الرَّجل
الذي اسمُهُ حافظ.
من شُرفتِها نَزَلَتْ إليه
الذي هَرَبَ من بابِ الخدَّامين.
قالتْ له سيعرفُون
أنَّكَ والدُه

يا حافظُ، أيُّها الجذَّابُ الفاشِل
اليومَ الأحد
شمساً جعلتَهُ في النَّفَق
أنزلْتَني عن رأسِ الحائطِ أوْجَدت
أباً لابني
وفَشَلاً لفَشَلي
يا حافظُ احفظْنِي
خُذْني
ضَعْني كالدِّينار في فَجوَةٍ من أعماقِ تفاهتك اللَّذيذَة.
رجلٌ اسمُهُ حافظ
علَّقُوا عليه الآمالَ، فَوَقَعَتْ
وَقَعَتْ عليهِ امرأة
عَلَّقَتْ عليهِم آمالَهَا، فَوَقَعَتْ
وَقَعَتْ عليه امرأة
حَفِظَهَا كالدِّينار
صارَ الدِّينارُ في حجمِ القَمَر
صارَ القَمَرُ تعليقة
عَلَّقَ عَليهَا حافظُ حُبَّه
عَلَّقَتْ عَليهَا المرأةُ حُبَّهما
فَوَقَعَ من التَّعليقة

حَجَر
شَقَّ الأرض
تحت
احتقاراً.

يا بابَ الجاريةِ

افتَحْ، أيُّها البابُ المُؤدّي إلى ثوبِ امرأةٍ فاتحٍ، إلى وجهِ امرأةٍ فاتحٍ، إلى نظَرِ امرأةٍ مفتوحٍ عليه الخيال.

افتَحْ، يا بابَ الملجأِ، فالضَّربُ ضاربٌ على المدينة.

إنَّهم دائرُون، يتصيَّدُون الشَّاردَ والماردَ، وما من أحدٍ عندَ الشِّدَّةِ يفتقدُ الشَّاردَ والماردَ.

في الخارجِ الفناءُ، افتَحْ، يا بابَ الجاريةِ الحسناء!

ساقيةٌ تنحدرُ

كان لي شكلُ البلادِ التي يُسافرُون إليها، وأصبحتُ لا يَنبُتُ شوكٌ في حُقُولي.

سَافِرِي

حيثُ لا تسمعين صوتَ الكنارِ، يُطلِقُ النَّارَ على نفسِه.

أنا ساقيةٌ تنحدر

اِذهَبي عن الضِّفَّةِ، ولا تَفقِدِي رغبَتي بين الأشجارِ، فأنا باقٍ فيكِ

كما يومَ كان لي شكلُ البلادِ التي يُسافرُون إليها.

اللَّوزُ والجوزُ

نهرٌ وشَجَرَةٌ وعُصفُورٌ ووَرَقَةُ شجَرةٍ.

نهرُ الشَّجَرَةِ ينامُ قُربَ العُصفُورِ تحتَ ورقةِ الشَّجَرَة. شَجَرَةُ الفضاءِ تنامُ قُربَ الوقتِ فوقَ ظلِّ الشَّجَرَة. خُذْي مِحْبَرَةً لمنقارِ العُصفُور، يَحُفُّ يَحُفُّ يَحُفُّ، يحتفلُ وحدَهُ بذكرياتِ أسنانِك.

يومَ نَبَشْنا الشَّجَرَةَ، ورأيْنا كيف تعشَقُ واحداً منَّا. يومَ أنجبتُ للصُّبحِ ولداً، وولداً للظُّهْر، وللمساء ولداً، ثمَّ صرتُ لهم أيضاً ولداً.

شَجَرَةُ كلِّ هذا، بفضائِها وشعبِها. نمْنا عَليهَا، ولم ننتبهْ أنّنا نامُ أمامَها! وحوَّلتْها الغَيْرة تنِّيناً.

ألَذُّ ما في الخَبَرِ (ليس، لا، ليس أنَّ شَجَرَةً ...) ألَذُّ ما فيهِ أنَّكِ تفهمينَ الأمرَ أكثرَ منِّي.

يحتاجُ حُبِّي أنْ يَفُكَّ عُقدةَ ملابسِ الشَّتويَّةِ، ويَفلِتَ، ونَركُضَ معاً وراءَهُ.

يومَ الصَّيفِ! الشَّجَرَةُ، الشَّجَرَةُ التي تمرَّدتْ على الطَّبيعةِ، فَهجَرَتْها، وغَدَتْ لنا أثيراً ونظراتٍ وحنيناً وعِناقاً، التي حَمَلَتْ صليبَنا، ورَمَتْهُ من فوقِ الجبالِ، وتَبِعَتْنا سريراً لنا، ولقاءً، عَبْرَنا، لكُلِّ السَّعادة.

أمَّا العُصفُور، فطيرُ الخطرِ السَّاذج، الواقعُ حتماً كالقيامة. وأمَّا الظِّلُّ، فَظِلُّ أنْ ننسانا وننجوَ منهم.

يومَ صارَا!...

أُحِبُّ أنْ أحتفظَ بشُعُورِ الخوفِ من فُقدانِكِ، كي يكثرَ فرحي عندما أدفُنُ نفسِي في جنسِكِ السَّريعِ وجنسِكِ الهادئ.

شَجَرَةٌ، شَجَرَةٌ، لأنَّها الوحيدةُ على أرضِ الوحداتِ الوحيدة.

لأنَّها انفراجٌ لنا بالطُّولِ والعَرْضِ والعُمْقِ والعُلُوِّ.

أكان الصَّيفُ؟ أكان الرَّبيعُ؟ لِيَكُنْ. كانتْ فيه أرقامٌ وساعاتٌ وأجراسٌ وعُطُورٌ. كان فيه الشَّجَرَةُ والنَّهر.

وأنتِ ترمين لي لوزَ العطاءِ وجَوزَ الشَّهيَّة ...

يكتبُ ويقرأُ

كانتْ يَدٌ
كانتْ يَدَان
كانتْ يَدَان صغيرَتَان
لم تفعَلا غيرَ الظِّلِّ
والثَّلج
والجَمْر.
كانتْ شَفَة
كانتْ شَفَتَان
كان فم
لم يفعلْ غيرَ الحُبِّ.
كان جبين
فسيح
لم يفعلْ غيرَ السَّفَر.
كانتْ عَيْنَان
لم تفعَلا غيرَ السِّجْن.
كان شَعْر
وبَرْق.
كان صوت

كان
صوتٌ كاليد
لم يفعلْ
غيرَ النَّوم.
كان جَسَد
كالهواءِ بين نارٍ وماء
لم يفعلْ
غيرَ نارٍ وماء.
كانتِ امرأة.
كان
هناك رَجل
لم يفعلْ غيرَ كتابتِها
لم يفعلْ غيرَ قراءتِها
لم يفعلْ غيرَ الجُلُوسِ فوقَ الشُّرفة
فوقَ المدينة
فوقَ الحقيقة.

الفَرْقُ

رأينا شَهْيال

والملكَ الأزرق

والشَّابَّ المليحَ يُقاسي الأهوال،

بديعةَ الجمالِ ودولةَ خاتون والمدينةَ المُزيَّنة،

الكحلَ الأصفر،

خاتمَ لبَّيْك لبَّيْك،

قديمَ الزَّمان،

اللَّيالي غيَّرتْ عهدَ الهوى

القميصَ الرِّيش

جزائرَ واقِ السَّبعِ جزائرُ فيها عسكر

المغارة،

شبحاً أسْوَدَ من اللَّيلِ سَدَّ ما بين المشرقِ والمغرب،

قَمر الزمان،

كَنْزَ شدَّادَ بنِ عادٍ الذي

عَمَّرَ إرَمَ ذاتِ العِمادِ التي

لم يُخلَقْ مثلُها في البلاد،

القضيبَ والطَّاقيَّة
كلَّ ليلة
فوقَ كُلِّ ليلة
حتَّى أصبحَ الصَّباح ...
فلمَّا أوْصَلَني أبي إلى هناك
حُكِيَ واللهُ أعلم
أنِّي مَلَكْتُ البلادَ، وحَكَمْتُ بشَبَابي بين العِبَاد.
حتَّى صارَ ما صارَ مع العبدِ الأسود
فَطَلَبْتُ من الوزيرِ أنْ يأتيَني
على عادتي مُنذُ سنين
بِبِنْتِ ليلةً، وأقتلَها
فراحَ، وما وَجَد
فاقترحتْ ابنتُهُ شهرزادُ أنْ تُمثِّلَ بناتِ البلاد
وجاءتْ
وقالتْ.
أَحْبَبْتُهَا، أَحَبَّتْنِي
قَتَلْتُها.
والفرقُ بيني وبين شَهريَار الأبله
أنَّها
أيضاً
قَتَلَتْنِي!

قبلَ أنْ يموتَ

قَاتَلَ الوقتَ حتَّى قتَلَه
لكنَّ الوقتَ قبلَ أنْ يموت
تَرَكَ لهُ الحُبَّ.
من الآن فَصَاعِداً
لا تَضحَكُوا
إذا أخطَأَ، فَظَنَّ
أنَّ حبيبَته
هي حبيبَتُه!

عندما يَفتحُونَهُ عندما يُغلِقُونَهُ

سَأطبعُ كتاباً
لِتعرفِي أنَّكِ
سَأطبعُ كتاباً
لِيقُولُوا عندما يفتحُونَهُ:
«كنَّا نحسبُهُ شخصاً آخر»
سَأطبعُ كتاباً
لِيقُولُوا عندما يُغلِقُونَهُ:
«لم نكنْ نعرفُ أنَّهُ
كنَّا نظنُّ أنَّهُ»
سَأطبعُ كتاباً
لأنَّ عَيْنَيْكِ لأنَّ يَدَيْكِ
سَأطبعُ كتاباً
لأنِّي لا أُصدِّق
لأنِّي لا أُصدِّق
لأنِّي لا أُصدِّق.

عُودُوا، أيُّها الأعزَّاءُ

المَيتُ، بعد قليلٍ، أَيرجِعُ؟

أليس كلُّ ما على الأرضِ يتغيَّرُ؟

الميتُ، بعد قليلٍ، أَيرجِعُ؟

لعلَّهُ انتهى سببُ الضَّحِكِ، وما زلْنا نضحكُ. لعلَّهُ انتهى سببُ البُكاءِ، ولا نزالُ نبكي.

هل يَرجِعُ الذَّاهبُ؟

كلُّ ما على الأرضِ يتغيَّرُ، فَلْتَتَغيَّرِ الأرضُ!

لِيَعُدْ لِيَعُدْ أولئكَ الشُّجعانُ الذين اجتاحُوا

الصَّمتَ الأسْوَدَ. عُودُوا، أيُّها الأعزَّاءُ، لقد حَضَرَ المُستقبلُ!

... لكنَّهُ الأملُ أن يكونَ ساحرٌ موجوداً وراءَ القوانين.

فهل يَرجِعُ الميتُ بعدَ قليل؟

أوراقُ الخريفِ مريمُ العذراءُ

الكآبةُ التي كانت تسكُنُني ماتت
حلَّ محلَّها، برياحِهِ وأمطارِه،
السَّيِّدُ الوقت.
صرتُ أستغربُ الشِّعْر
أقولُ عن الأطفالِ أطفال
عن رُكبةِ امرأةٍ رُكبةِ امرأة
وعن غُصْنِ حَوْرَةٍ مَقطُوعٍ غُصنِ حَوْرةٍ مَقطُوع.
ولم أكنْ عهدَ الضَّبابِ الدَّامع،
أتداولُ أسماءَ المُسمَّياتِ المُتداوَلَة
لا تكبُّراً وحدَه
بل لأنِّي كُنتُ شاعراً،
فكُنتُ، عهدَ الكآبةِ، أُسمِّي
مثلاً
أوراقَ الخريفِ مريمَ العذراء.
كم كُنتُ أُحسُّ ذلك!
وما كُنتُ كما قلتُ

أُسمِّي هذه الأشياء

بل أراها

وآه، كُنتُ غنيّاً

كلُّ ما يَلْمسُني يَسحَرُني

كلُّ ما ألمسُ أسحَر

ولم أكنْ أجهل

لكنْ، لم أكنْ أعرف

وظننتُ صُبْحَ يومَ من الأيَّام

أنَّني خالد،

حتَّى

فَاحَتِ الكآبةُ التي كانت

والتي لم أعرفْ كيف

مَاتَتْ كالمِسْك.

تحتَ حَطَبِ الغضبِ

ما عدتُ أحتملُ الأرض
فالأكبرُ من الأرضِ لا يَحتملُها.
ما عدتُ أحتملُ الأجيال
فالأعرَفُ من الأجيالِ يَضيقُ بها.
ما عدتُ أحتملُ الجالسين
فالجالسُون دُفِنُوا.
ريشةٌ صغيرةٌ تهبطُ من عُصفُور
في اللَّطيفِ الرَّبيع
تَقْطعُ رأسي.
مُتعَبٌ ومليءٌ، مُتعبٌ وجميلٌ، مُتعبٌ تحتَ حَطَبِ الغضب.
لأنيِّ بلغتُ المُختار
لأنَّ امرأةً رَبَّتْنِي على تُرابٍ شفَّاف
لأنيِّ عَثَرْتُ على الحُدُود
فَتَحْتُ الحُدُود.
لأنيِّ وَجَدْتُها، وألغيتُ الحُدُود.
لم يعدْ لي صبرٌ على مَنْ ورائي

ولا على الأحبَّاءِ السَّابقين.

عندما حَصَلْتُ على الأكثرِ من أحلامي، حَصَلْتُ على الأكثرِ من الصَّحراء

وبعدما صَعِدْتُ العرشَ والشَّجَرَ الخاليةَ منه الدنيا

حَوَاني شَجَرُ البَرْد

ولم أتحطَّمْ، لكنِّي تعبْتُ.

ولن يُبكيَني أحد

حقَّاً

ولن يرتعشُوا لغيابي

حقَّاً كما كُنتُ حاضراً

ولن يَستوحِشُوا مثلَ برح

ولن يمُوتُوا عليَّ موتاً يُضاهِي حياتي.

أخذتُ ما يُؤخَذُ، وما لا يُؤخَذُ، وتركتُ ما يُترَكُ، وما لا يُترَك

وإنيِّ خَرَجْتُ

وامرأةٌ باقيةٌ بعيدة

تُكلِّمُني تُلامِسُني

وكم أرغبُها، وكم أيضاً وراءَ الموت!

وإلى المُهتمِّين:

أنا أعظمُ مَنْ عاش

لأنيِّ أعظمُكُم في الأُنسِ والمنفى

بل لأنيِّ أعظمُ كائنٍ عاش
كالنَّسْرِ في البَصَرِ، كالحبرِ في العَمَى
عظيماً في الصَّيدِ، وفي الغَفْلَة
وشاهدتُ نجمَتي، فأخبرتُكم خُلاصَتَها
بسرعةِ النَّمرِ وبياضِ الحَمَام
حتَّى تعبتُ وغضبتُ
لأنيِّ تجاوزتُ الفُنُونَ والعُلُوم
واختصرتُ ظاهرَ العَقْلِ وباطنَه
ومَلَكْتُ العَصَبَ، وبدَّدتُه
وكسرتُ الصَّاروخَ والرُّوح
ثمَّ اقترفتُ بكلامي ذَنْبَ التَّواضع
لأنيِّ فكَّرتُ أنَّهُ العالمُ يستحقُّ التَّواضع.
ووَقَعَ كلامي في شلَّال
وهو نادمٌ غيرُ نادم
لكنَّهُ يُعلِنُ لكم
كلامي يُعلِنُ أنا الكلام
مُنذُ قليلٍ ومُنذُ كثير
أنا الكلام وآخرُ الكلام
وأوَّلُ ضَرْبٍ على صدرِ الحياة
وسوفَ تُفتحُ لكُم الحياة

سوفَ تُفتحُ الخزائن

سوفَ تُفتحُ الحياة

ولن أكونَ بينَكُم

لأنَّ ريشةً صغيرةً من عُصفُور

في اللَّطيفِ الرَّبيع

ستُكلِّلُ رأسي

وشَجَرُ البَرْدِ سيَحْوِيني

وامرأةٌ باقيةٌ بعيدةٌ ستبكِيني

وبُكاؤُها كحياتي جميل.

أقسم أن أكونه

لعبتك ومغلوبك

أقسم أن أطاول استحقاق

نجمتك على كتفي

أقسم أن أسمع

نداء

عينيك ناعسي حكمة

شفتيك. أقسم أن أنسى

قصائدي لأحفظك. أقسم

أن أركض وراء حبي

وأقسم أنه سيظل

يسبقني

1975

الرَّسولةُ بشعرها الطَّويل حتَّى الينابيع

[illegible]

سَاعِدْني
ليكنْ فيَّ جميعُ الشُّعَراء
لأنَّ الوديعةَ أكبرُ من يَدَيَّ.

هذه قصَّةُ الوجهِ الآخرِ من التَّكوين.
وَجَدْتُها وعَيْنَاي مُغمضَتَان
فالطَّريقُ حبيبتي.
قادمٌ من انتظارِها لي
قادمٌ من رُجُوعِي إليها.
هذه قصَّةُ الوجهِ الآخرِ من التَّكوين
اسمَعُوا
لا تُغلِقُوا الأبواب
الموجُ يحملُ الرِّسالةَ إلى الرِّيح
والرِّيحُ إلى الشَّجَر
والشَّجَرُ إلى الدَّفاتر.
يا شُيُوخَ الدِّيارِ وفتيانَ الحَارَات
اجلسُوا اللَّيلةَ أمامَ العاشق
أيُّها المُسرِعُونَ: هل ذهبتُم حقًّاً لتعُودُوا؟
اكسرُوا اللَّيلةَ لحظة
هَلُمُّوا إلى حلقةِ حولَ الشَّاهد.

يا حبيبتي، صَلّي لي، كيْ أُحسِنَ دَعْوَتَهم إلى العيد.
طُيُورُ المواسمِ تَعْبُرُ
ونورُكِ لا يسحبُ يَدَيْهِ من أمامي.
أنا المُلَملِمُ ألفاظَ صَدَاكِ
اقرئِيني قبلَ أنْ يعرفُوني، فأصلَ باكراً إلى القلب.
هذه رُؤياكِ بلُغتي المُنحنية
هذا كَنزُكِ بلُصُوصِ يَدَيَّ
هذا بَحرُكِ من مَركِبي الصَّغيرِ، فانظُري إلى بَحْرِكِ من مَركِبي،
وعَيْنَاكِ عليَّ شراع
أنتِ التي تُغيِّرُ الحياةَ بجهلٍ صاعق
أنتِ المضمُونة
تُغيِّرين الحياةَ دونَ انتباه
بعُرْيِ النَّقاءِ الذي لا تستسلمُ الأسرار
إلَّا لشَهوتِه
هي قصَّتُكِ
قصَّةُ الوجهِ الآخرِ من التَّكوين
في اليومِ السَّادس
جَلَسَ اللهُ يتأمَّل
قال:
«خلقتُ كُلَّ الأشياءِ الجميلةِ وأنا أملِكُ سِرَّها

لكنَّها بحاجةٍ إلى مَن لا يملكُ سِرَّها

فتكونُ له جنَّةً، ويكونُ لها دَهشة

وخَلَقَ اللهُ الإنسان

ذَكَراً وأُنثى، خَلَقَه

لأجل أنْ تبقَى السَّماواتُ والأرضُ جميلة

في سَعيِ مَنْ لا يملِك

في ارتباطِ مَن لا يَربط

في دهشةِ مَن يعرِفُ ولا يَعرِف

في سلامِ مَنْ لا يهزُّ سلاماً إلَّا لتسقطَ منهُ تحيَّة

في حُرِّيَّةِ مَنْ لا يَعرِفُ أنْ اسمَها حُرِّيَّة

في سعادةِ مَنْ أُعطيَ جَسداً في شكلَيْن

ليُعطى جميعَ أشكالِ السَّعادة.

وَدَخلَ اللهُ يستريحُ تارِكاً وكيلَهُ ذَكَراً وأُنثى.

وما إنْ دَخلَ حتَّى انشقَّ الرَّجُلُ عن المرأة

كاليابسةِ انفصلَ عن الماء

كالشَّجَرِ اقتَلعَ نفسَهُ من اليابسة

تحتَ الطَّمعِ انشقّ

لأنَّهُ ظنَّ استراحةَ اللهِ فراغاً

شقَّ نفسَهُ، قَسَمَهَا

خَسَفَهَا.

كان واحداً.
كان ذَكَرَاً وأُنثى واحداً بالحُبِّ
كان جنسَينْ بلا هُوَّة، كان جنسَينْ باتِّحادٍ دونَ انقطاعٍ مثلَ كلِّ شيء.
أسعدَ ممَّا كان لم يكن
لكنَّهُ بَدأ، ولم يُكمِل.
باحتقارٍ تحوَّلَ إلى الجنَّة
قالَ إنْ الوكيلَ قليلٌ، وأصيلاً سيكون
مالكاً وحدَه
وبغيرِ شبيهٍ سيكون.
وانشقَّ عن أُنثاه
سَحَبَهَا كمِنديلٍ، وكَسَفَهَا
وأبعَدَهَا، رَماهَا، ليهجمَ بارتياح
ليتفوَّق
ليهجمَ في مركبٍ أخفَّ ثقلاً، إذ أفرغَهُ من نصفِ حِمْلِه
إذ أفرَغَهُ من الرِّقَّة.
وكانت الرِّقَّةُ قويَّةً، تمنعُ جُنُوحَ المركب
شديدةً تمنعُ المُصيبة.
رَمَاهَا، انسحبَ الرَّجلُ من المرأة
النَّسرُ استلَّ من صدرِهِ العُصفُورة
قال: الضَّعيفةُ هذه وتُشارِكُني؟

الضَّعيفةُ، لأنَّهُ فكَّرَ الظَّاهرَ هو المَكنُون.
رَمَاهَا، ومِن بين الأوراقِ نادَتْهُ كعُصفُورةٍ بيضاء
فَنَظَرَ إليها كالنَّسرِ الأسودِ، لا ليراها، بل ليَسْكَرَ بظِلِّه
لأنَّهُ شاهدَ نفسَهُ كبيراً في عَيْنَيْهَا
وشاهدَهَا صغيرةً في عَيْنَيْه.
وقال: لأكُنْ عَليهَا إلهاً!
وكَسَرَهَا
ومِن شَفَقَتِهَا عليه انكَسَرَتْ
وطَرَدَهَا إلى الأسْر
فأطاعَتْ، لئلَّا تلفِتَ غضبَ اللهِ إليه
وبَسَطَ يَدَيْهِ تحتَ صوتِهِ الصَّارخ:
لا شَريكَ لي!
وافتتحَ سُلطانَهُ هكذا نصفُ الإنسان
إذْ شدَّ المرأةَ من حنانِها، وخَنَقَهَا
وصارَ النَّاقصُ هو السَّيِّد.
ونادى اللهُ الرَّجلَ: ماذا فعلتَ؟
فَشَكَاهَا: يا اللهُ، فَرَّقَتْني، أَغْوَتْني، جَرَّتْني إلى الشَّرِّ.
وَلَمْ يَسمعْ جوابَ اللهِ الذي أدارَ للجبانِ صمتَه.
وحَزِنَ اللهُ، وقرَّرَ أنْ يكونَ للرَّجلِ خلاصٌ رغمَ ذنبِه
فالتفتَ إلى الأسْر

وكما أرسلَ ظلَّهُ فوقَ الغَمر.
أرسلَ هواءً جديداً إلى الأسْرِ قائلاً:
رَفْرِفْ على أمرِ السَّيِّدةِ السَّجينة.
وكان ذلك الهواءُ هو الحُبَّ.
انعطفَ اللهُ على الصَّغيرة
في الحُبِّ وَضَعَهَا الله
وعريسُها وَضَعَهَا على الصَّليب.
ومَضَى العريسُ في الطُّغيان
والعرُوسُ مَضَتْ في الرِّضى.
ادَّعَى عَظَمَة، وغصنُ زيتونٍ لم ينحَنِ له
ادَّعى مُلْكاً، وتحسَّسَ رأسَهُ، فأينَ التَّاج
ظنَّ هَزَمَهَا، وما هَزَمَهَا، بل تَرَكَتْهُ يفرحُ بأوهامِه
لأنَّهُ الضَّعيفُ، ولأنَّها القويَّة.
للعُصفُورةِ البيضاءِ قُوَّةٌ، وللنَّسرِ الأسودِ إرهاب
عُصفُورةُ الميثاقِ حَفِظَتْ ميثاقَها
وحَضَنَتْ عذابَها، لتحضنَ مُعذِّبيها
فالكاذبون أطفالُها، ولو تزوَّجُوها.
لم تحقِدْ كناحيةٍ قاحلة
ولا طَلَبَتْ شفقةً، فالنَّبعُ لا يطلبُ ماء
وبقيتْ في الأسْر

مُنذُ الخليقة
وجهُها ينتظرُ كالبُحيرةِ المسحورة
والعريسُ فوقَ الخيل
فوقَ الدَّم
هائمٌ يُتمِّمُ عهدَ القتل
واصلاً الجبالَ بالجحيم
لَعْنَتُه تَهدُرُ في سُلالتِه
يَقتُلُ كبهيمةٍ، ويَقتُلُ كعاقِل
يَقتُلُ كَبَاغٍ، ويَقتُلُ كعادل
يَقتُلُ كمُخيفٍ، ويَقتُلُ كخائف
الجبَّارُ الشَّقِيّ
يُطارِدُ الموتَ، فيَقتُلُ الحياة
يشرَبُ دَمَهُ، ويفترسُ شبابَهُ
العريسُ القاتِلُ شُهُودَ عُرسِه، ليقتُلَ شُهُودَ خيانتِه
ليَقتُلَ نُفُوسَهُ، فلا تُحدِّقْ فيه
العريسُ المُنزِلُ طوفاناً، ليُطفِئ شمعة
العريسُ المُلْقِي عروسَهُ هجراً تحتَ اللَّيل
سَجَنَهَا، طَوَاها تحتَ اللَّيل
وهي تقومُ، وتُغطِّيهِ في اللَّيل.
وبقيتْ في الأسْر

التي تحتَ قَدَمَيْهَا الأرضُ مأمونة
بقيتْ في الأسر
وجهُها ينتظرُ كالبُحيرةِ المسحورة
أنْ يتعبَ الوقت
أنْ يَعْبرَ الوقتُ صُخُورَ الوحشيَّة
ويتقدَّمَ نحوَها قائلاً:
«السَّلامُ عليكِ
أنا الصَّدى إلى الصَّوت
أنا القطيعُ إلى الرَّاعية».
بقيتْ في الأسْر
مُنذُ الخليقة
وجهُهَا ينتظرُ كالبُحيرةِ المسحورة
أنْ يَجيءَ
أنْ يَجيءَ
أنْ يَجيءَ وقتُهَا في حبيبتي.
اسمحْ لي، يا الله
أن أتذكَّرَ خطيئتي
أنْ أتذكَّرَ عن جميعِ آبائي
أنْ أتعَذَبَ نَدَمَهُم وأنهارَ تَوْبَتِهِم
أمامَ حبيبتي.

يا حبيبتي.
أوانُ العدلِ يكتملُ فيكِ، فليفتَحُوا العيد
الحياةُ كُلُّها تركعُ فيَّ عندَ قَدَمَيْكِ
أختصرُ إليكِ توبةَ الزَّمانِ، وأسجدُ إليكِ طاعةَ الأعمار
وأغسِلُ عَتَبةَ بابِكِ بدُمُوعِ الخليقة.
أنا هو الشَّيطانُ، أُقدِّمُ نفسي:
غَلَبَتْني الرِّقَّة
اشتدَّتِ الغُيُومُ وراءَ الأقفالِ، والحُجُبُ انشقَّتْ
المَطَرُ يستسلمُ للأرض
غَلَبَتْني الرِّقَّة، حبيبتي أَحَبَّتْني
حبيبتي أطلَعَتْني من عُمقِ البحرِ، فشاهدتُ الكونَ مُنذُ البداية
حبيبتي عَقَدَتْني في النُّورِ، كَنَبِيٍّ على تقاطُعِ الطُّرُق
حبيبتي خيَّمَتْني في المَصْدَر
حبيبتي تَلاقَتْني، وحَضَرَتْني.
إذا أنا رأسُكِ، يا حبيبتي، فأنتِ الهالةُ حولَ رأسي
أنا رأسُكِ، وأنتِ التَّاجُ على رأسي
أنا الهجرةُ والعودةُ بين هلالَيْكِ.
حُبُّكِ حَيَّاني في الاضطرابِ، واستقبلَني في اليقين
أدخلَني، وخلَّصَني
حَرَّرَني من الصِّراعِ الأحمقِ، وسَقَاني خمرَ العُرْس

صَفَّاني، وأبْدَعَني

أطفأَ ما يشتعِلُ، وأشعَلَ ما يَنطفِئ

فلا يَنطفِئ

وقالَ لي مَنْ أنا بيَدَيْكِ،

والصَّدى القليلُ الباقي بين النَّاس

راحَ يكبُرُ كشُعُوبٍ، ويَضِجُّ كَصُنُوجٍ، ويُردِّدُ كَدُفُوفٍ لِيَدَيْكِ:

هَلِّلُوليَا!

كانت الفضائلُ تَعْبُرُ حولي كضبابٍ مَهزُوم

كُنتُ أتكلَّمُ صحيحَ اللُّغاتِ، لأُجنِّدَ لُصُوصاً، وأستهويَ زمنَ الرُّعْب

كُنتُ خَلاً في جَسَدِي.

وبكلمةٍ منكِ أقولُ، فلا يعودُ يفصلُ الأشياءَ غيرُ العطر

كُنتُ أُخاطِبُ الحُبَّ وبابي مُقفَلٌ في وجهِهِ

كُنتُ أُخاطِبُهُ وذراعاي تُعانِقَان لُغة

وصرتُ بكِ الحُبَّ، حَرَقْتُ فمي، فَقَامَ وفيهِ فَجْرٌ كثير

وعوضَ اللُّغاتِ صرتُ دُمُوعاً

فللنِّعمةِ دُمُوعٌ، كما للجزيرةِ أمواج.

وبعدما كان جيشيَ جبَّاراً، وأرضيَ مَكسُورة

صار جيشي مَكسُوراً بصداقةِ الحياةِ وأرضي جبَّارة

وألقيتُ جسرَ دُمُوعي متيناً فوقَ الهاوية.

صيَّادُها يَسقط

والعُصفُورةُ البيضاءُ تُصلي له، فيَنْجو،
يجلدُها المتسلِّط، فتسألُهُ عن ضَناه، كأنَّهُ الضَّحيَّة
المُحتلُّ، وتهدأ
اليائسُ، وتهدأ
الطَّاغيةُ، وتهدأ
لأنَّها أرضٌ، والأرضُ سماءٌ، والغُزاةُ سحَابة.
مَنْ تكونُ التي أُغنِّيها؟
أقولُ هي، وأُريدُ أنتِ
أجمعهُنَّ فيكِ، لأنَّكِ المُفردة
ولا وُجُودَ لهنَّ إلَّا فيكِ.
مَنْ تكونُ التي أُغنِّيها؟
حبيبتي التي رأيتُ الشَّمسَ تحت عَيْنَيْهَا قَمَرَاً في نهرٍ تحتَ صَفْصَاف
المجنونةُ، لأنَّها الملكةُ، وعَطْفُها اختارَ الفقير
المجنونةُ، لأنَّها الكُلِّيَّةُ الجَمال، الصَّالحةُ تماماً
الخارقةُ الطَّبيعة ترجَّلتْ بين الأنقاضِ، لتُشفِقَ عليَّ
المرأةُ الواحدةُ الضَّابطةُ الكلّ
مَفْقُودي مُنذُ الجنَّة
الدُّرَّةُ المصقولةُ بتَوالي عذابِ الأجيال
بكمالٍ وَصَلَتْ مُختارةً دونَ نقيصة

بكمالٍ مُختارة
ومُجهَّزةٍ بعُرسٍ، لا شقيقَ له
التي أندمُ إليها بضمائرِ جميعِ الرِّجال
يَندمُون إلى جميعِ النِّساءِ مُنذُ الأزل
لأنَّها وارثةُ البهاءِ المسجونِ في خزائنِ العهدَيْن
لأنَّها الرَّسولةُ بشَعْرِها الطَّويلِ حتَّى الينابيع.
وإنِّي أدقُّ أدقُّ أدقُّ، فافتحُوا
أُمحُوا ما قَبْلَه
الرَّاوي فَلْيَرْوِ، والعَصِيُّ فَلْيُصْغِ
السَّاحرةُ بيضاءُ، وما من ساحرةٍ سوداء
الغابةُ شقيَّةٌ بالأسدِ، رضيَّةٌ بالفراشة
الغابةُ خضراءُ، لأنَّ الفراشةَ خضراءُ، ومرآتُها الغابة.
من شَفَتَيْكِ
وعلى أذيالِ نُبلِكِ، رأيتُ الوجهَ، رأيتُهُ، يا حبيبتي
وفي رضاكِ بحُبِّي، رأيتُ العطاء
وعليكِ رأيتُ الكلمة.
منكِ أتعلَّمُ خيرَ اللَّحظةِ وخيرَ الشُّعُوب.
تسهرين فيَّ كَسَجينةٍ في البُرجِ، تُضيئُهُ بحُرِّيَّتِها
فيطيرُ من نوافذِهِ، ويُصبحُ هواءً للبساتين
تَسهرين فيَّ كاللَّهَبِ في السِّراج

كالعنايةِ فوقَ المُسافر.
وَجَدْتني بين الوَحْلِ والشَّوكِ، فَتَبَنَّيْتِ الشَّارد
وصارَ مُشعَّاً.
ما أكرمَ مَنْ تحفظُ هكذا
صورتي خصبةً في جسدِها
ما أغبى مَنْ يختالُ مثلي جاهلاً أينَ القُوَّة
وأنَّ الكُلَّ بسيطٌ وجميل
لأنَّكِ تقولين: أُحبُّكَ
وأنَّ كُلَّ شيءٍ يبتسمُ لي
لأنَّ نَظَرَكِ عليَّ
وأنِّي مُطمئنٌّ
لأنَّكِ تتحمَّلين القَلَق
وأنِّي مُطمئنٌّ
لأنَّكِ لا تُعطين إلَّا الطُّمأنينة.
جَسَدُكِ يُحيي الجوهرَ، وجَوهرُكِ يُحيي
تغارين قويَّةً، فيرتاحُ الضَّعيف
وتغارين ضعيفةً، فأسيرُ كسَيِّدٍ، يحملُ المفاتيح
وتُخفين الغَيْرَةَ، فأظُنُّكِ جاهلة.
تعرفين وتظلِّين نقيَّة
تغارين غَيْرَةَ الملكة

وتُحرِّرين تحريرَ المالكة
افتتاحُ شَفتَيْكِ عيد
وشَفَتَاكِ نبيذُ السَّيِّد
فَمُكِ مُحْمَرٌ بشمسِ جبينِك
الأغصانُ تُغنِّي في النَّارِ، لأنَّ سَمْعَكِ تتويجُ
يدي يدٌ لكِ، ويَدُكِ جامعة
حَسَرْتِ الظِّلَّ عن شَجَرَةِ النَّدَم
فَغَسَلَ الشتاءُ نَدَمِي، وحَرَقَهُ الصَّيف.
أنتِ الصَّغيرةُ كنُقطةِ الذَّهب
تَفُكِّين السِّحْرَ الأسود
أنتِ السَّائغةُ اللَّيِّنةُ، تشابكتْ يَدَاكِ مع الحُبِّ
وكُلُّ كلمةٍ تقولينَها تتكاثفُ في مجموعِ الرِّياح.
أنتِ الخفيفةُ كريشِ النَّعَامِ، لا تقولين تعال،
ولكنْ، كلَّما صادَفْتُكِ كُلَّ لحظةٍ، أعودُ إليكِ بعد غيابٍ طويل
أنتِ البسيطةُ، تُبهرينَ الحكمة
العالمُ تحتَ نَظَرِكِ سنابلُ وشَجَرُ ماء
والحياةُ حياةٌ، والفضاءُ عرباتٌ من الهدايا
أنتِ هِدايتي. يا الله، أضِفْ عُمري إلى عُمرها
يا حبيبتي، أنتِ الوجهُ الآخرُ من التَّكوين
يا حبيبتي، أنتِ الحقيقة

يكونُ بكِ انفعالٌ وحكمةٌ لي
يكونُ بكِ لذَّةٌ وكرامة
يكونُ بكِ جُنُونٌ ولُجُوء
أنتِ عودةُ جَسَدَيْنا جسداً صالحاً للعناصر
أنا رأسُكِ، لكنَّكِ الهالةُ حولَ الرَّأس
لم تُعلِّميني كالرِّجالِ، ولا تتسلَّطين عليَّ
بل تسكتين كمريمِ العذراء
فأُطيعُكِ، وشَرِّي لخُضُوعِكِ يَخضَع.
منكِ أتعلَّمُ، وأنتِ لا تُعَلِّمين
كيف المَنيعةُ بالحُبِّ تحرسُ لقاتلِيها الحياة
كيف المنارةُ صغيرةٌ، والعَتمُ كبيرٌ، وكيف تفرشُهُ الصَّغيرة
كيف ذات الرِّفقِ عظيمةٌ، لا تشكو، وكيف الله
أعطاها الخوفَ علينا
وتَرَكَ للكاذبين الخوف.
أيُّها الرَّبُّ،
اِحفَظْ حبيبتي
أيُّها الرَّبُّ الذي قالَ لامرأةٍ، يا أُمِّي
اِحفَظْ حبيبتي
أيُّها الرَّبُّ إلهُ جُنُودِ الأحلام
احفَظْ، يا ربُّ، حبيبتي

مَهِّدْ أمامَها
تَعَهَّدْ أيَّامَها
مَوِّجْ حقولَها بعُشبِ الخيال
اجعلْ لها كُلَّ ليلة
ليلةَ عيدِ الغد
أيُّها الرَّبُّ، إلهُ المتُواعِدِيْن على اللّقاء وراءَ جسرِ الحُرَّاس
أيُّها الرَّبُّ، إلهُ الخواتمِ والعُقُودِ والتَّنهُّدات
يلتمسُون منكَ طعامَهُم
وألتمِسُ منكَ لحبيبتي البَرَكَة
يلتمسُون منكَ لديارِهِم، وما من ديارٍ غيرُ حبيبتي
شاطئي أطرافُ بَحْرِها، وبَحْرُها أمان
يذهبُ النَّاسُ إلى أعمالِهِم
ومِن حُبِّها، أذهبُ إليكَ
حنانَيْكَ، يا ربُّ، جَعَلَتْني إليكَ
أنتَ السَّابقُ صلاتي
بَارِكْها فوقَ ما ألتمسُ منكَ
فعطاؤُكَ فيضٌ على الرَّجاء.
جَعَلَتْني إليكَ
هي تقولُ، فأقولُ المجدُ لكَ
هي تعملُ، فتجري أنهارُكَ في قِفَارِي

هي تنظرُ، فأراكَ
هي تعملُ، فأتأمَّلُ في مُعجزاتِكَ
تنتهي لهم الأرضُ عندَ أعمدةِ البحر
وتنتهي لي بحُدُودِ قَدَمَيْهَا.
جَعَلْتَني إليكَ، فاعترفتُ لكَ، لأنَّها
رَنَّحَتْني بالصِّدْقِ كالسَّكْرَان
لأجلِ نفسي جَعَلَتْني إليكَ
أليس قليلاً مهما الْتَمَسْتُ لها؟!
إلى أنْ تُصبحَ جَدَّةً عتيقةً مثلَ كُبرى شَجَراتِ الزَّيتون
أطِلْ أيَّامَهَا، يا ربُّ
وجَدِّدْ، ثمَّ جَدِّدْ أرضَها
آمنتُ، ولذلك أطلب
طلبتُ، ولذلك آمنتُ
آمنتُ منها، يا ربُّ
احفَظْها، بارِكْها
هي تُشرِقُ، فأستنيرُ بكَ.
أُغنِّيكِ، يا حبيبتي
من أجلِ أنْ أُلامِسَ حياتَهم شيئاً ممَّا تُلامسين حياتي
من أجلِ أنْ أغمرَهُم بالأسرارِ التي تُضيءُ القلبَ، وبالقلبِ الذي
يُضيءُ الأسرار

بعضَ ما تغمرين قلبي وأسراري
من أجلِ أنْ أكونَ معهم في الصَّباحِ جُزءَ ما أنتِ لي:
شتاءَ نُجُوم
وشمسَ ينابيع
وشُعَاعاً يَخرِقُني من زُجاجِ كنيسة
ويَدَيْن شَافِيَتَيْن.
أعطاكِ الرُّوفى البيضاءَ، فغَمَرْتِني بها
أنتِ المُكبَّلةُ بأهلِكِ؛ بشعبِكِ
أعطاكِ جرَّةً، فتعدَّدتْ وصارتْ ينابيع
والواردُ إليها المُلبَّدُ بالشَّرِّ صارَ قيثارة.
أنتِ المُكبَّلةُ بأهلِكِ، بشعبِكِ
تُلاطِفين وجهَ الحجرِ، فيدفقُ نهر
وإذا الحجرُ فمٌ للقُبلة
تمسحين هَامَةَ الخائفِ، فيُصبحُ قُدوةَ الأحرار
تفتحين نافذةَ الرِّيحِ بالبِشَارَة.
أنتِ المُكبَّلةُ بأهلِكِ، بشعبِكِ
حَرَّرَكِ بآلامِكِ، حرَّرَكِ
وها أنتِ في قُيُودِكِ محسودةً من المُلُوكِ والملكات
ها أنتِ في قُيُودِكِ
يا جمرَ الصَّلاةِ الدَّائم

تُبكِّينني دُمُوعَ العودة.
أُحِبُّكِ، فكيف لا أُحِبُّ صَانِعَكِ
أُغنِّيكِ لنفسي، وأُغنِّيكِ عن العالم
فالتي تُعيدُني إلى سيِّدي تُعيد العالم
والتي تُحرِّرني وهي المُكبَّلةُ بأهلِها، وشعبِها
تُحرِّرُ العالم
والتي تلمسُني أنا المُعتَّق في الخطيئة نِعْمَتُها
تلمسُ نعمتُها العالم.
أيُّ عَلاءٍ جَعَلَ فيه النَّسْرُ وَكْرَه؟
وأيُّ صَخْرٍ جَعَلَهُ مَعْقِلَه؟
أيُّ بعيدٍ ترنو إليه عَيْنَاه؟
أيكونُ نَسْرَاً وعلاؤُهُ مرفوعٌ بدمِ القَتْلَى؟
أيكونُ عظيماً مَنْ يعلُو في الشَّمال ويهوي في الجنوب
ومَنْ يخترقُ الرِّيحَ، ولا تحتملُهُ وردة؟
أيكونُ سامياً مَنْ يصعدُ، ليكمنَ بنَظَرِه، فيصطادَ البائسَ؟
يا حبيبتي، أنتِ عُصفُورةٌ بيضاءُ، وأنا عُصفُورٌ أبيض
أنتِ عُصفُورةٌ زرقاءُ، وأنا عُصفُورٌ أزرق
أنتِ عُصفُورةُ المعونة
عُصفُورةُ حنانِ العَيْنَيْن حين تنظران إلى السَّجين.
فليكُونُوا نُسُوراً في رُؤُوسِ الجبالِ، ووُحُوشاً في السُّهُولِ والأودية

وليُطوِّقُوا أعناقَهُم بالرَّعد، وخُصُورَهُم بالزَّوابع

كُنتُ معهُم أجمعُ الحطبَ لنُحرِقَ الغابة

وَتَرَكْتُهُم، فكيف أبقى معهم

وحبيبتي لا تعرفُ أنْ تَجْمعَ غيرَ شملِ الينابيع؟!

افتحُوا العيدَ، وغَنُّوا مع العاشق

أُقبِّلُكِ، يا حبيبتي، على كُلِّ جهة

فأعمدتُكِ مُحيطةٌ بي

لكنِّي دَعَوْتُهُم إلى العيدِ، ونَدِمْتُ

فَمَنْ حين تُطلِّين لن يقولَ آه

وهل أنا قويٌّ وصالحٌ حقّاً، فأحتملُ غَيْرتي؟

الجبلُ أخفُّ حِمْلاً من الشَّوْق، والأرضُ أقصرُ من الغَيْرة.

أيُّ شَفَقٍ يشتهي الغوصَ كما أشتهيكِ

أيَّةُ مرآةٍ تشتهي أنْ تركضَ إليكِ كما أشتهيكِ

أيَّةُ صحراءَ تشتهي أنبياءَها كما أشتهيكِ؟

أيَّةُ استغاثةٍ تشتهي امتدادَ اليَدَيْن كما أشتهيكِ؟

وأغارُ

أدَّعي راحةً ورياحُ الغَيْرة تَسوقُني كالغبار

وأغارُ عليكِ خائفاً وظافراً ومتأخِّراً

وأغارُ قديراً، وأغارُ حقيراً

ولكنْ، شقائي مَهول، فلا نهايةَ لما أغارُ عليكِ
وهل ينتهي ما دمتُ أرى؟
هل ينتهي العالمُ والناسُ وحُبِّي؟
ومِن عينَيَّ أغارُ
فَمَنْ ترين فيهما، ولا أراهُ؟
لو صَدَقْتُ، لخبأتُهما، وجلستُ وحدي
فلا يشتهون سُهُولَكِ في عَيْنَيَّ
ولكنْ، أينَ أختبِئُ؟ وَمَنْ أُضلِّل؟
آهٍ، لماذا لا أملكُ عَيْنَيَّ وحدي!
حصانُ غَيْرتي ينهبُني، وظِلُّهُ أمامَهُ يَستزيدُه.
وأنتَ، أيُّها الصِّدقُ، اِختَنِقْ
لماذا تجرفُني والمُصطادُون حَولي؟
تَسامَحْ
لا تكْشِفْني، لِيسرِقُوني
لا تَعرِضْ غَيْرتي، ليتعلَّمُوا حُبِّي
سَاعِدْني، فأكتم
وسَاعِدْني
فلا ينفضحُ فيَّ المُستبدُّ المُقنَّع
لئلَّا تعرفَ حبيبتي مَنْ هناك

في عبدِها الكاذبِ الوداعة

الطامعُ هناك

يُمَزِّقُهُ جُنُونُ المُلْك

لئلَّا تَعرفُ

أنَّ الصَّارخَ ضدَّ آبائِهِ الجلَّادين، المُدَّعي خلاصاً من إثمِ التَّملُّك

قَلْبُهُ بَعْدُ قَلْبَان

ميراثُ الغَيْرةِ مربوطٌ حولَ عُنُقِهِ

ونَفْسَهُ تُشِعُّ وتُظْلِم.

سَاعِدْني، أيُّها الصِّدْق

تَرَفَّقْ بي

إلى أنْ أستحقَّها

إلى أنْ أُقبِّلَ غَيْرتي على جبينِ حصانِها الوَحشيِّ، وأُنهيَ النُّذُور

وأَفُكَّ طَوقَ الميراث

فلا أُعذِّبَ حبيبتي بالسَّطوة

لأنِّي أصيرُ عبداً بقلبٍ واحد

حُرّاً دون انشقاق

أصيرُ عبداً لسعادتِها

بقلبٍ واحد

قلبِ عبدٍ يخدمُها بقُلُوبِ الأحرار.

السَّاحرة

وتظنُّ نفسَها مسحورة

مِن طُغيانِ حُبِّها عليَّ

أنا هي

ونخنقُ الحريقَ حولَ البيت

حيثُ ينامُ حُبُّنا

نخنقُ الحريقَ حولَ الأرض

حيثُ ينامُ طفلُنا

حيثُ هناك وَسْط كلِّ شيء

غُصنُ حُبِّنا

يُورِقُ الغاباتِ والأنهار

يُورِقُ السعادةَ

يُورِقُ الحُرِّيَّةَ

يُورِقُ زَهْرَ الخُبْزْ

يُورِقُ خُبْزَ الزَّهْر

وغُصْنُ حُبِّنا إليك

يَحملُ، يا الله

من قاعِ النَّهرِ الجريح

يحملُ العالم

ثمرةً
مُغتسِلةً بشَوكِ التوبة
يحملُهُ بفَرَحٍ إليك
والنَّهرُ ضحكة
ولونُها وردة.
هذه قصَّةُ الوجهِ الآخرِ من التَّكوين
أكتُبُها
بحِبْرٍ ضاع
أكتبُ عكسَ الكلمة
أكتبُ
عكسَ الذَّاكرة
وكُلَّ شيءٍ صار
كيف صار.
كيف ذَهَبَ إلى الموعد بلا لقاء
عوضَ أنْ يذهبَ إلى اللِّقاءِ بلا موعد.
كيف انحدرتُ
وما كُنتُ لأَصْعَد
وكَرَّمُوني في الهاوية
فلماذا أصعد؟

عَبَدُوا مَآثِمِي، نَقَشُوا صُورَتي

وما كُنتُ لأصعد

كَتَبُوا الكُتُبَ، ولفَّني هتافٌ عظيم

فلماذا أصعد؟

وحين مَرَرْتِ فوقَ الجبلِ، وانْحَنَيْتِ

أدركتُ أنَّ أحداً لم يَنحْنِ من قبل

فوقَ هاوية.

ولم تقولي اصعدْ

ولكنِّي صَعِدْتُ

لأنَّكِ عالية.

وحملتُ الهاوية

فلمَّا رأتْكِ اعتَمَدَتْ في نهرِ الأردنِّ.

وَغَيَّرَتْنِي

كزنبقةٍ ارتميتُ عندَ قاعدةِ عرشِك

أنتِ الملكةُ وأنا الفقير

وماذا الملكةُ تطلبُ من فقير؟!

وأيَّةَ تضحيةٍ، ولم تفعليها؟

وأكبرُ تضحياتِكِ أنَّكِ أجملُ النِّساء.

كيف أُعطيكِ، فلا يغرقُ عطائي في عطائِك؟

وماذا أُعطيكِ،

يا صَمْتَ تَفَجُّرِ العطاءِ؟

ما أقلَّ حُبِّي، يظُنُّونَهُ كالسَّيلِ، ولكنِّي عرفتُ أن صوتَهُ أكبرُ من صمتِه.

ما أهديتُكِ شيئاً إلَّا اهتدى بكِ.

كم أفهمُ الآن شهوةَ الماءة أنْ تذوبَ في المُحيطِ، شهوةَ المَمْلُوكِ أنْ يمْلَكَ أشَدَّ، شَهوَةَ الغارقِ أنْ يَغرَقَ أعمقَ، وكم أفهمُ حسرةَ الظِّلِّ أنهُ لا يَقْدِرُ أنْ يصيرَ أكثرَ ظلّاً!

يا امرأةَ الأصلِ والبَيِّنات

ماذا أُعطيكِ؟

تُلَوِّحينني بالضَّوءِ، وتَذُرِّينني في الطِّيْنة

تُشَمِّسينني في الحُقُولِ العالية

وتجعلِينني تيناً وعنباً، لتفرحَ بي العصافير

مِن حُبِّكِ الشُّعْلَةُ الحنونةُ والقويَّة

من حُبِّكِ أكادُ قدِّيساً

أصيرُ من حُبِّك.

أصْغِ، يا ربُّ، إليَّ

من حُبِّها أجيء

هُم أعطوني عدوّاً، فنشبتُ كالرِّمح

وحبيبتي نَشَبَتْنِي قوسَ قُزَح

هُم دفعُوني كانحدارٍ في العَتْم

وحبيبتي حَطَّتْ رِحَاليَ في الغاية

اختَبأتْنِي كعُصفُورٍ من العاصفة

وأَطَلَّتْنِي

أَطَلَّتْنِي كجزيرةٍ للرَّاصدِ في أعلى السَّارية

كراصدٍ في أعلى السَّاريةِ صَاحَتْني: وَصَلْنَا! وَصَلْنَا!

من حنانِها آخذُ رِبَاطاً إلى الجميعِ، فيصيرون إخوة

أنا رعيتُ السُّوءَ، وحبيبتي رَدَّتْني

أنا تبعتُ الجوارحَ وأبراجَ بابل

ولاحتْ حبيبتي، فأصبحتُ صلاة

وحَفِظَتْنِي، فظهرتَ لي، يا ربُّ.

يا حبيبتي

أُقْسِمُ أنْ أكونَ لُعبتَكِ ومَغلوبَكِ

أُقْسِمُ أنْ أُحاولَ استحقاق نجمتكِ على كتفي

أُقْسِمُ أنْ أسمعَ نداءَ عَيْنَيْك، فأعصي حكمةَ شَفَتَيْك

أُقْسِمُ أنْ أنسى قصائدي، لأحفظَكِ

أُقْسِمُ أنْ أركضَ وراء حُبِّي، وأُقسمُ أنَّهُ سيظلُّ يسبقُني

أُقْسِمُ أنْ أنطفئَ لسعادتكِ كنُجُومِ النَّهار

أُقْسَمُ أنْ أسْكُن دُمُوعي في يدكِ

أُقْسِمُ أن أكونَ المسافةَ بين كلمتَي أُحِبُّكِ أُحِبُّكِ

أُقْسِمُ أنْ أرميَ جَسَدِي إلى الأبدِ لأسُودِ ضَجَرِك

أُقْسِمُ أنْ أكونَ بابَ سِجنِكِ المفتوحَ على الوفاءِ بوُعُودِ اللَّيل

أُقْسِمُ أنْ تكونَ غرفةُ انتظاريَ الغَيْرَةَ، ودُخُوليَ الطَّاعة، وإقامتي الذَّوبان

أُقْسِمُ أنْ أكونَ فريسةَ ظلِّكِ

أُقْسِمُ أنْ أظلَّ أشتهي أنْ أكونَ كتاباً مفتوحاً على رُكبَتَيْكِ

أُقْسِمُ أنْ أكونَ انقسامَ العالَم بينكِ وبينكِ، لأكونَ وَحْدَتَه فيكِ

أُقْسِمُ أنْ أُناديَكِ، فتلتفتُ السعادة

أُقْسِمُ أنْ أحملَ بلاديَ في حُبِّكِ، وأنْ أحملَ العالمَ في بلادي

أُقْسِمُ أنْ أُحبَّكِ دون أنْ أعرفَ كم أُحِبُّكِ

أُقْسِمُ أنْ أمشيَ إلى جانبي، وأُقاسمَكِ هذا الصَّديقَ الوحيد

أُقْسِمُ أنْ يطيرَ عُمري كالنَّحلِ من قَفيرِ صوتِكِ

أُقْسِمُ أنْ أنزلَ من بَرْقِ شَعْرِكِ مَطَراً على السُّهُول

أُقْسِمُ كلَّما عثرتُ على قلبي بين السُّطُورِ أن أهتفَ: وَجَدْتُكِ! وَجَدْتُكِ!

أُقْسِمُ أنْ أنحنيَ من قِمَمِ آسيا، لأعبدَكِ كثيراً.

يا ليلُ، يا ليلُ

إحمِلْ صلاتي

أصْغِ، يا ربُّ، إليَّ

أغْرُسْ حبيبتي، ولا تَقْلَعْهَا

زَوِّدْهَا أعماراً، لم تأتِ

عَزِّزْها بأعماري الآتية

أبْقِ وَرَقَهَا أخضر

لا تُشَتِّتْ رِيَاحَهَا

أبْقِ خيمَتَهَا عاليةً، فَعُلُوُّهَا سهلٌ للعصافير

عَمِّرْها طويلاً كأرْزَةٍ، فتمرُّ مواكبُ الأحفادِ تحتَ يَدَيْها الشَّافيَتَيْن

عَمِّرْها طويلاً كأرْزَةٍ، فتجتازُ أُعجوبَتُها مراكزَ حُدُودٍ بعيدة

عَمِّرْها طويلاً كأرْزَةٍ، فَتَتْبَعُها مثلَ توبَتي شُعُوبٌ كثيرة

أبْقِ بَابَها مفتوحاً، فلا يبيتُ الرَّجاءُ في العَرَاء

بَارِكْهَا إلى ثلجِ السِّنين، فهي تَجْمَعُ ما تَفَرَّق

أُحرُسْ نُجُومَ عينَيْها، فَتَحْتَهَا الميلاد.

وها هو المطَر

المداخنُ تَصْعدُ لاستقبالِ المجيء.

تُمطِرُ من قُبلة.

السَّماءُ أطلَّتْ

الأرضُ الصَّبيَّةُ أَرْبَتْ

المواسمُ تعلو
اِسمَعُوا دقَّةَ الحصاد
المملكةُ المُنقسِمَةُ اتَّحدَتْ
تاجُهَا الحُبُّ سلامٌ للملكة.
المُستحيلُ صارَ مَعيشَة.
تُمطِرُ من قُبلة
والمَنفَى ينهار
أُنفُضُوا على المنفى غُبارَ المَنْفَى
وتعالَوا
من أعماقِ اليأسِ ومشارفِ الصَّقيع
من أطلالِ الأمانيِّ، ورمادِ الصَّبر
تعالَوا
صِيرُوني كما صِرْتُكُم
أنا شَفَّافُكُم
أنا مَنْ سَقَطَكُم ومَنْ نَجَاكُم.
حبيبتي كَشَفَتْ عن الضَّائع
دلَّتْ على المَفقُود
الرَّسولةُ فازتْ بعُذُوبة
بشَفَقَة فازتْ على القُوَّات

وتَشْهَدُ تُعلِنُ العودة.

تعالَوا

المملكةُ مفتوحة

أسرابُ الحَسَاسِينْ عندَ بابِ المملكةِ تُسْرِع للتَّحيَّة

على بُعْدِ قُبلة، تقفُون من الباب

الكُنُوزُ وحيدة

الأرضُ وحيدة

الحياةُ وحيدة

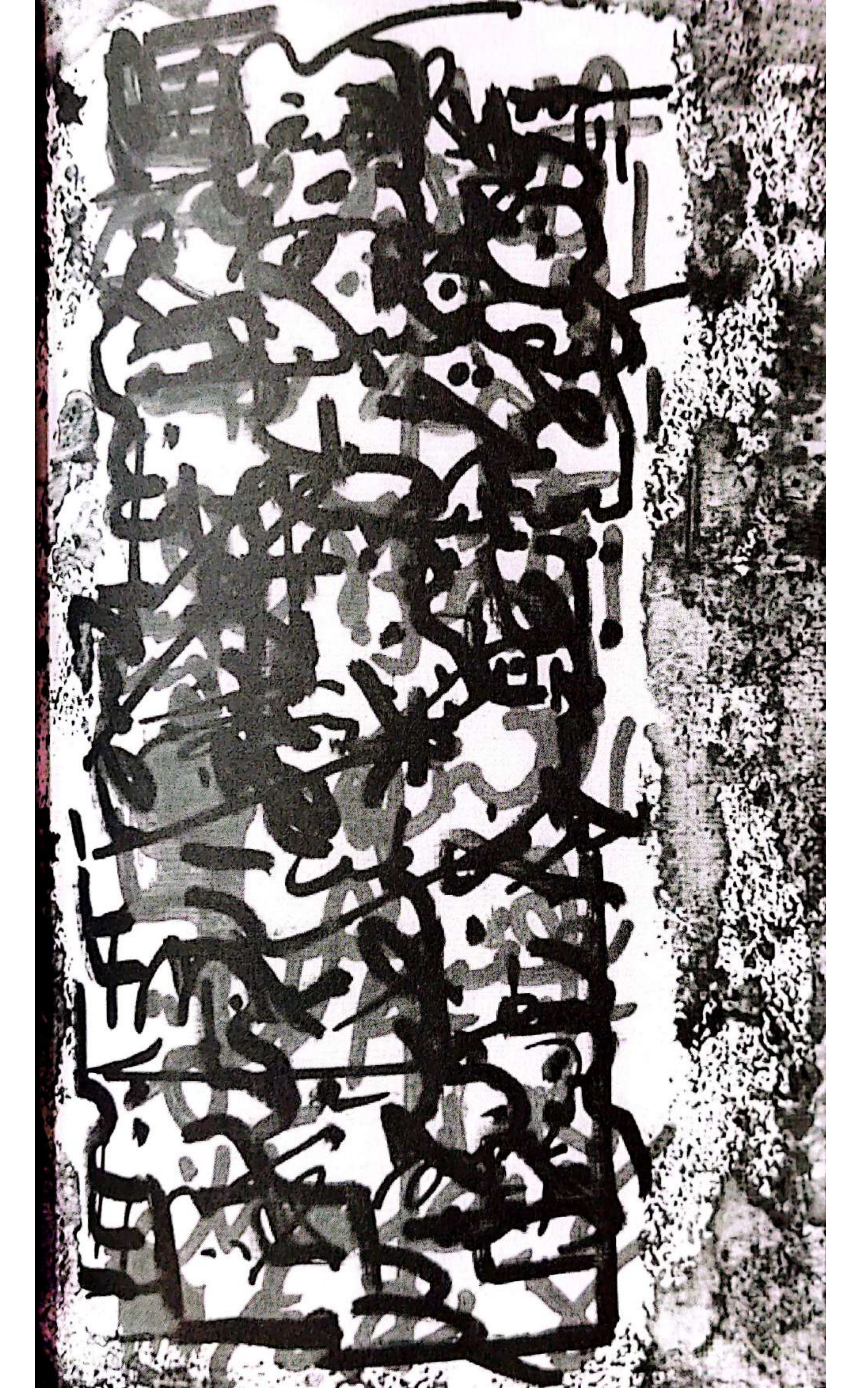
تعالَوا

كَلِّلُوا رُؤُوسَكُم بذَهَبِ الدُّخُول

وأحْرِقُوا وراءَكُم

أحْرِقُوا وراءَكُم

أحْرِقُوا العالَم بشمسِ العودة.



1994



-١-

يا شَفِيْرَ هَاوِيَتِي

تعريفٌ

كان الفَجْرُ روحَ الليل
والعمرُ سهماً مَسمُوماً.
ولمَّا انقشعَ الجبينُ، وتَطهَّرَ السَّهم
تحطَّمتِ الدنيا.
رانَ الهُدُوءُ أيَّاماً
وعادت الجحيم
بلا فجرٍ، ولا مساءٍ، بل بدوامِ ذاتِهِ المُتعاظِمَة
وبلا قوسٍ، ولا سَهْم
بل بعينَيَّ تحدّقانِ إلى الرُّعبِ تحديقَ وَلَدٍ عجُوز.
وبين الدَّهرِ والدَّهر
كانت تقطعُ عليَّ اشتعالَ رأسي
نشوةٌ أُمجِّدُها ولا أملكُها
وهَرَبٌ سائرٌ على قَدَري.
الحُبُّ زهرةُ الشَّفَقَة
السَّماءُ سَقْفُ السِّجن
ولكنْ، لا شيءَ يَخْنقُني

لأنَّ غُرفَتي بلا جدار
ومُعلَّقةٌ بين الأرضِ والسَّماء.
الجَمال مُفْقِدُني جَمالي
والشِّعْرُ التَّامُّ نسيانُ الشِّعْر
ولكنْ، لا شيءَ يُوقِفُني.
لأنَّ غُرفتي المعلَّقة
مُطوَّقةٌ بأمواجِ الأحلام
تَعلُو في هُدُوءٍ حَتْميٍّ
تَعلُو بلا رحمة
تَعلُو حتَّى النِّهاية.
أقومُ
ولا أُنادي.
أنزلُ بين النُّور والظَّلام
وقد تعانقتْ في صَدرِي الحياةُ وأشباحُها.
ومِن رأسي إلى رأسي
أرتمي
ولا تعرفُني بعدَ اليومِ عَيْنَاي.

كلُّ الحياة

تجلسين في ظلالِ الأحلامِ تحتَ قناطرِ الطِّيبة. نَغَمُ صوتِكِ يَحمِيْنا في بساتينِ الضَّياع.

واثقةٌ كالنَّسيم، أنتِ يدٌ تَلمُّ فقري وغنايَ، وترميهما في مراحمِ الهاويةِ، هاويةٍ وراءَ ظَهْر العمر، العمرِ الذي فَتَحَ أدراجَهُ، وأَطْلَقني من جديدٍ إلى بُحيراتِ الغَمامِ مَاحِياً ذاتَهُ من غيرِ أن يمحوَ، مُطعِّماً شجرةَ العُزلةِ بلقاح السَّفَر.

لم أَعرفْ أصغرَ منكِ إلَّا الرُّوح، ولن أعرف أقوى إلَّا الموت. كُنتُ إذا نَشَدْتُ الحُرِّيَّة أُغنِّي، وبكِ عرفتُ غناءً أَشدَّ اقتراباً، هو غناءُ اللحظةِ الأخيرةِ: آخر القلب، عندما يلتصقُ شُعُورُ الوداعِ بالحَلْقِ حتَّى الخَنْقِ، وتتَّحدُ اللحظةُ بالصِّدقِ اتِّحاداً، لا لَعِبَ فيه.

لا لَعِبَ فيه، وأنتِ لُعْبَةٌ، فكيف لا يتمزَّقُ المدى بخنجرِ التَّناقضِ؟! وكيف لا يلتهبُ الكون بجُنُون الحُبِّ؟!

تحملين في ضَحِكِ عَيْنَيْك استهتارَ البراءةِ وعِتْقَ البحر. ولينُ جسدكِ يجعلُني، حين ألتقي قَدَري، أجملَ من قَدَري.

يا لها حكايةً، لا تعرفُ السَّكينةَ! قبل أن أخيبَ، كُنتُ أحملُ لعنتي.

وقبلَ اكتشافِ اللعنةِ، كُنتُ جزيرةً، لا تُطاقُ، جزيرةٌ من الشَّفافيةِ والانخطافِ. وبعد الخيبةِ، لم يبقَ شيءٌ. أَشْبَهُ بموتِ ما بعدَ الموتِ. حتَّى الدُّمُوعُ فَقَدَتْ قدرةَ الشِّفاءِ، لا لأنَّها جفَّتْ، بل أيضاً، لأنَّها صارتْ بكاءَ مهزومٍ بين غُرباء. ولم أعدْ أَسْتَوقِف.

لكنَّكِ توقَّفتِ.

تَوَقَّفْتِ، لأنَّكِ حُبٌّ ثائرٌ، ولكنْ، أيضاً لأنَّكِ ذلك التَّواطؤُ الأخفُّ من الحُبِّ، وتلك الشَّراكةُ الأبعدُ من الحُبِّ. وأيُّ حُبٍّ، عطرُهُ عطرُ النِّسيانِ أكثرُ من هذا؟!

وسْطَ مُدُنِ الكلامِ المُنخفضِ أدنى من التُّرابِ أعرفُ الآن، كمُستيقِظٍ بين سَكْرَتَيْن، أنيِّ لم أُخطِئْ. ذُنُوبي ذُنُوبُ تَصَرُّفٍ، وبينها ما لا يُغْفَرُ. لكنِّي لم أخطِئْ حين رَسَمْتُ تلك الصُّورةِ التي وضعتُ فيها كلَّ شيءٍ تحتَ قَدَمَي امرأةٍ تنبثقُ للتَّوِّ، دائماً، على مَرِّ العُصُورِ، من أمواجِ خيالي. لم أُخطِئْ، فبين موجِ الخيالِ الذي ابتلعَني، وجسدِ موجِ الواقعِ، مصادفاتٌ أحياناً هنيئةٌ، لا تُصدَّقُ، هي كلُّ الحياة.

وهذه كلماتُ الفراقِ، وفي الوقتِ نفسِهِ، طلائعُ التَّحيَّةِ للشَّاطئِ الجديدِ. وإليكِ الفَضْلُ، يا بنْتَ المَوجَيْن، كدائماً، في أنْ ينسَى الإنسانُ أنه كيفما التفتَ يرى ما يُلوِّثُهُ، وأينَما أصغى يسمعُ كلاماً أمْحَلَ من الرَّمْلِ. وعَيْنَاكِ المُجَنَّحَتَان، وهما تفتكَانِ بطُمأنينةِ القلبِ، تُعيدان الأملَ، عبرَ عذابِ الهَوَسِ، في شيءٍ، يستحقُّ العذاب.

تجلسين في ظلالِ الأحلامِ تحتَ قناطرِ الطِّيبةِ. نَغَمُ صوتِكِ يَحمِيْنا في بساتينِ الضَّياع. كَعسَلِ الصَّباحِ، ذهبيةٌ تُعْمينَ الزَّمنَ. ذَهَبِيَّةٌ كمُفاجأةِ الحكايةِ، كجَمْرِ الأعالي، كإكليلِ العرُوسِ، كمُعجزةٍ في الخطيئةِ، ذَهبيَّةٌ يُبطِئُ النَّيزكُ نُزُولَهُ فجأةً، ليَدَعِكِ تُنْهين أُمنيَّاتِكِ.

لم أعرفْ أصغرَ منكِ إلَّا الرُّوح، ولن أعرفَ أقوى إلَّا الموت. عَذْبٌ هو التَّكرارُ، خَصْبةٌ هذه المسافةُ! توقَّفْتِ عندَ وحشتي، لأن الليلَ يستوقفُ الشَّمسَ. توقَّفتِ، لأنِّي تظاهرتُ بأنيّ لم أعدْ أنتظرُ أحداً.

وغداً تصبحين ذلك اللَّحنَ، أروعَ الألحانِ، حيثُ النِّسيانُ توأمُ الذِّكرى، يتبادلان، يتناوبان، يتخاصران، كلٌّ منهما يُطفِئ في الآخر حِمَمَ جحيمِه.

يا شَفِيْرَ هَاوِيَتِي

كَرِهُوا أُمَّةً، لأنَّها تبتسمُ، فراحَتْ تَضْحك

وقَتَلُوها، لأنَّها تضحكُ، فأخذتْ ترقص

ومَزَّقُوها، لأنَّها ترقص

فراحتْ عَيْنَاهَا تغصَّان بالوُعُود، وشَعْشَعَتْ نوافذُها.

قَطَعُوا يمُنَاها عن يُسْراها، لأنّ يَدَيْها قَلْبُ العالم.

شرٌّ من الكلامِ السُّكُوتُ، وشرٌّ من السُّكُوتِ الكلامُ، ولكنْ، تعالَيَ نستقرُّ ونسافرُ بينهما. هنالك. عندَ أُفقِ النَّظرةِ، وتحتَ نُجُومِ الشَّوقِ. وأمَّا الخريفُ، فبابٌ غامضٌ، وخَلْفَهُ ربيعُ الوَهْمِ البضّ.

إذا كان اللِّقاءُ أعجوبةً، فالحُزنُ أيضاً أعجوبةٌ. أليس عجيباً أن أحزنَ، بعدُ، يا لبنانُ؟ لم أكنْ أظنُّ، بعدَ اشتعالِ اللهِ، أني سأُولَعُ بغيرِ الحقدِ. وإذا بي لا أزالُ البحرَ الرَّهينَ بالقَمَر، والقَمَرَ الرَّهينَ بالشمس، والشَّمسَ الرَّهينةَ باللَّيل، واللَّيلَ الرَّهينَ ببلاغِ عَيْنَيْكِ.

وإذا بي مرَّةً أُخرى أنكسِرُ، أمامَ صَلْبِكَ انكسارَ قَلبِ الأمِّ.

يا ابني، يا حبيبتي، يا أُمِّي، اللعنةُ، ثمَّ البَرَكَةُ. ويدي الممدودةُ من ذاكرةٍ إلى ذاكرةٍ.

... وأمزجُ بينَكِ وبينَ لبنان، لأنكِ حليبُهُ وعسلُهُ. بينكِ وبينَهُ علاقةُ الزَّعترِ بالهواء. بينَكِ وبينَهُ سريري، وكلامُ سريري، وأغاني الجمالِ الأخير. وقد كُنتُ أعرفُكِ، ولكنْ، مَنْ يقول ليَ الآن مَنْ أنتِ؟

أعيشُ في ذكرياتِنا المُقبلَةِ كما يعيشُ الحَجَرُ تحتَ الماء.

عالمٌ يجبُ أن أحيا فيه، ولا يَدَعُونَني أصلُ إليه. عالمٌ من الذين يَسْبَحُون في أهواءِ التَّجاذب. عالمُ المسحورِيْن السَّاحرِيْن. أكرهُ ما عداهُ. وعندما تُلوِّحينَ لي قبلَ أن تنامِي، أعرفُ أننا لن نستيقظَ إلَّا لنَسكرَ بانخِطافِنا.

وَجَعِي من القتلِ يذوبُ أمامَكِ، ووَجَعِي على القتيلِ يصبحُ فيكِ قيامةً. يا شَفِيْرَ هَاوِيَتِي، يا مُغْرِيَتي وضَحِيَّتِي، أشهَدُ أنْ لا شُرُوقَ إلَّا من عَيْنَيْك، ولا ظُهُورَ إلَّا في عَيْنَيْك، ولا هُبُوبَ إلَّا على جبينِكِ، ولا هُدُوءَ إلَّا على جبينِكِ، أشهَدُ أنْ لا حياةَ إلَّا الموتُ فيكِ، ولا سلامَ إلَّا من شهوتِكِ، ولا مُستقبلَ إلَّا على جناحِ شَعرِكِ، تاجِ العالمِ، يا شَفِيْرَ هَاوِيَتِي.

أشهدُ أنكِ ما نمتِ إلَّا في حُلْمي
وما استيقظتِ إلَّا في حُلْمي
والذي يمشي على الأرضِ مُنذُ البداية
ليس أحداً
غيرُ وحشِ رغبتي فيكِ
وطفلِها.

المَقْتَلَةُ تقرعُ الأجراس
ووجهُكِ يقتحمُ حُرِّيَّتي، ويُرَفرِفُ مُنتصراً فوقَ حُطامِ خُلُوِّ البال.
وما يُفرِقُهُ الإنسانُ يَجْمَعُهُ الإنسان
والأرضُ التي يَحْرقُونَها
تُزهِّرِينَها، يا هَاوِيَةَ شَفِيْرِي
يا شَفِيْرِي القدُّوس، المَوزُون على إيقاعِ المعنى الوحيدِ للحياة:
البُلُوغُ بالنَّشوةِ إلى سَقْفِ المُطْلَق، رَفْعُ السَّقفِ، فَتْحُهُ، والمضيُّ
أبعدُ من الكواكب!
تُوحِّدِينَني حين تُصبحُ التَّجزئةُ جحيماً
وتُجزِّئِينَني حين يعودُ التَّوحيدُ مَنْفَى!
ومن تحتِ زُجاجِ التَّحطيمِ وغُبارِ الانهيار
تسحبُني وَقْفَتُكِ البيضاء
وبلا شيءٍ من يَدَيْكِ تَمسحين جبينيَ المُدمَّر
فأنهضُ وأطيرُ مُتلاشياً في خيرِ النَّشوة.
ليصلُ إلى الأخيرِ السُّقُوط

هنالك سطحيَّةٌ غنَّاء، سطحيَّةٌ صديقة، جوهريَّةٌ للمسافات، كَزُمُرُّدٍ، كيَاقُوتٍ وأزهارٍ في الشِّعْر، كَلَمْبَاتٍ كهرباءٍ مُلوَّنةٍ مُتلألئةٍ في العُلى وبين الثَّواني العابقة بالمُنى. أشمُّ وأنا أقولُ ذلك رائحةَ عطرِكِ الذي هو أنتِ أكثرَ ممَّا هو أنتِ قَلْبُك وجِلْدُكِ وعَيْنَاي. شيءٌ من الكذب، بل أشياءُ أهمُّ من الحقيقة. لا أُريدُ أن أنافِسَ، بل أن لا يكونَ

لي شبيهٌ. وأن لا يكونَ لأحدٍ شبيهٌ. أُريدُ أن تعطيَني ما ليس لي، فهذا ما هو لي. أُريدُ أن ينزلَ واحدُنا في الآخرِ كالمُعجزةِ في الجَسَدِ، كالقَدَرِ في اللَّحظةِ، كَيَدِ اللهِ في العَدَم. أُريدُ أن نبلغَ بتبادُلِنا المُطاردةَ إلى حيثُ ينتهي هَرَبُنا، فلا يعود بيننا غيرُ سِحْرِ اغترابٍ دائمٍ، يجذبُنا على الدَّوام.

اهتديتُ مُنذُ البدءِ إلى الصِّراط المُستقيمِ: هَوَاكِ، ويدورُ حولَنا ليلُ الأرضِ. وعرفتُ دائماً معناي: رَفْعُ السِّتارِ في نَفسي عن الحُبِّ، وإسدالُهُ، رَفْعُهُ وإسدالُهُ، ففي بياضِ ذلك وسوادِهِ زرقةُ السَّماءِ في القلبِ، لهفة الله، والقُوَّة المستعادَة ملءُ لا وعيها النّشوان، مُشعَّةً كنجمةٍ، تُغسَلُ من خِبَاءِ الدُّهُور.

كما أسمعُ كلامَ عَيْنَيْكِ يَعبرُ بي عُبُورَ الإنقاذِ، تسمعين طُفُولَتي تستنجدُ من أعماقِ البئرِ، من بين براثنِ اليُتْمِ الخالدِ.

هَلُمِّي نتبادل هدايا ألغازِنا، فما أطيبَ تسليمَنا مفاتيحِنا واحدنا للآخر! أليس هو اكتشافاً لذاكرتِنا الطَّبيعيةِ، ذاكرةِ الشَّلَّالات؟

نَظرَتُكِ إليَّ هي اليدُ التي تُنزِلُني إلى رُوحي مُتجاوِزاً تلك العتبةَ العسيرة.

نساءُ الحُلْم مَرَرْنَ في عَيْنَيْكِ، ومرَّ رجالُه.

غُرُوباً، فتحتُ بوَّابةَ الحديقةِ المهجورة. كان هناك الجدولُ الأصفرُ، شَجَرَاتُ الطُّفُولةِ، حُجُورٌ بين الحجارة مَودُوعةٌ فيها عواطفُ ملائكةٍ

سابقين. كان هناك شوكٌ رهيفٌ وأزهارٌ إرهابيَّةٌ تلتهمُ الحيطانَ. وطُيورُ العبورِ التي لا تقيمُ في بلدٍ، ولا في هُنَيْهَة، أقامتْ مراكزَها هنا في الشَّبابيكِ. كان هناك كلُّ هذا، والسَّماءُ، ولم أرَ غيرَكِ:

غيرَ نُقصاني منكِ، نقصاني التَّامِّ كالبدر
غيرَ ظمئي إليكِ، ظمأ الحاسدِ الظَّالمِ الحنَّان.
وككلِّ مرَّةٍ، هَطَلَتْ أمطارُ الحياة الجديدة
فهل تعودُ هذه المرَّةَ، وتجفُّ المياه؟
يا مَلاكَ التاريخِ، ابتعدْ!
يا ملاكَ العقل،
يا ملاكَ القوى،
يا ملاكَ العُصُورِ، ابتعدْ!
ليبعدْ عنِّي وجهُكِ
اختبِئي من تَبْكِيتِ عينَيَّ
من عينِ كلمتِي، أيَّتُها الأممُ ذاتُ الجريمةِ الجبانة
أيَّتُها المُرائيةُ السَّاخرةُ من القتيلِ!
أبصقُ في وجهِكِ حقداً
من دمِ كلِّ طفلٍ، ذَبَحَهُ ملاكُكِ الدَّجَّال
وهو يقولُ له: «انظرْ، ما أشقاكَ! كيف تذبحُ نفسَكَ بنفسِكَ؟!»
ويا أيَّتُها السَّماء

كما لم يمتْ لي حُبّ

لن يموتَ لي ثأر

حتَّى يصبحَ للحَمَلِ قُوَّةُ الذئب

وللحمامةِ قُدرةُ العُقابِ الكاسرة.

يدخلُ علينا الصَّباحُ مَدهوشاً. لم يكنْ يظنُّ أنه سيجدُ الوَجْدَ هيكلاً للبَغْضَاء.

نغمرُ الصَّباحَ بوشاحٍ من حريرِ لبنان. نهمسُ في أُذنِه كلماتٍ، كان يجهلُ. يضيءُ شمعةً في الهيكلِ، وينصرفُ كسائرِ المُصلِّين، راضياً مَرضِيَّاً عمَّا تنسجُهُ أحلامُنا الشِّرِّيرة.

لن يذهبَ ما لم يذهبْ

لن يأخذُوا ما لن يُعطَى.

قَهْراً قهرَني زمنُ الدَّجَّالين

ولكنّه مَقهُور أيضاً بحُبّي.

هو الخاطفُ تاريخي وأرضي

وأنا المالكُ مفاتيحَ الجنَّتَينْ،

هو الحارقُ غاباتي

وأنا الجُذُور اللَّاتُحرَقُ وخَصْبُ تُرابِ الجُذُور،

هو الضَّارِبُني برأسي، القَاتِلُني بجسمِي

وأنا الأبلهُ المُرتمي في كلِّ فخٍّ، ولكنِّي المعصومُ عن الموتِ لبساطةِ قلبي،

هو الثَّعلبُ العبقريُّ
وأنا الكناريُّ الذي له مجدُ الحياةِ والموتِ طَرَبَاً.
وأنتِ
أيَّتُها المُطِلَّةُ عليَّ من أعماقِ عينَيْها
يا امرأةَ السَّنابل
يا شَفِيرَ هَاوِيَتِي
تخترعينَ لي الحياةَ كلَّما انتهتْ،
وعلى الشَّاطِئِ المَهجورِ تجلسين، لترَقبي
طُلُوعِي من البحر
قارَّةً صغيرةً كظِلِّكِ
لا نهائيَّةً كظِلِّكِ
قارَّةً لانتصارِ الحياة
حُدُودُها انتظارُنا
وقلبُها وَحْدَكِ، يا حُرِّيَّة.

شفاهُ الينابيعِ

النّبعُ أكثرُ حُزناً من العطشانة
عندما تقصدُهُ، فتجدُهُ مُغْلَقاً بالحَجَر والشَّوك.
النّبعُ أكثرُ عَطَشاً.
وأنتِ العَطْشَانَةُ لا تبكي
قولي: «أيُّها النَّبعُ، أنا المُحتاجةُ إليكَ!».
ومن ثنايا الحَجَرِ والشَّوكِ سيُنْهِضُهُ جمالُكِ.
أيَّتُها العَطْشَانَةُ، لا تكتَئِبي
فَمُكِ هديَّةٌ، وجُوعُكِ عطاء
ولمثلِكِ تتجسَّدُ الآلهة.
نامي، وعندَ الصباح
الشَّوكُ مِزمَارٌ، والحَجَرُ قَصْر،
ويُشرِقُ النَّبعُ، وتأخذينَهُ.
فيا عَطْشَانَةٌ، أنتِ النَّبع
والينابيعُ شفاه.

السُّقُوطُ

أنا مَنْ يَسقطُ
من حافَّة عَيْنَيْك.
حَمَلُوني إلى السُّهُول
وسَقَطْتُ من حَافَّةِ عَيْنَيْك
أخذُوني إلى النَّوم
وسَقَطْتُ من حَافَّةِ عَيْنَيْك
رَفَعُوني كسبعِ الطَّيرِ، وسَنَدوني
وسَقَطْتُ من حَافَّةِ عَيْنَيْك
أمسَكُوني وأَغمَضُوا عينَيَّ
وأَبعَدُوني،
فَرُحْتُ إلى الأبدِ من حافَّةِ عَيْنَيْك
أسقطُ إلى اللقاء ...

إذا وَعَدْتُكِ أيضاً

إذا وَعَدْتُكِ أيضاً
فلأنَّ نشوتي بكِ تجعلُني كثيرَ الوُعُود
وإذا خالفتُ وعدي، فلأنَّ نشوتي بكِ تظلُّ تمتلئ.
وكلَّما ملأتْ فراغاً جَرَفَتِ الوعدَ الصغير، لتحملَ بوَعدٍ أكبر.
حتَّى لا يعودَ لِتَرَاجُعِي سوى معنى التَّقدُّم
ويصبحَ كلامي مثلَ المحطَّاتِ السَّابقة.

ميلادُ إلهٍ جديدٍ

بين الحُطامِ فَتَحْتُ عَيْنَيَّ

فأبصرتُ نُوراً كَوَهْجِ النَّمِر،

وبَدَل أن أستسلمَ للرُّقادِ تحتَ الحجَارة

نهضتُ

ورُحتُ ألمعُ على رُؤُوسِ الأعشاب.

أكرهُكِ كما كرهتُ دائماً كلَّ مَنْ أحببْتُ. ولا شيءَ يستحقُّ هذا الألم.

النَّظرةُ التي تحرقُني بندائِها الغامضِ، يجبُ أن أكسرَها بخداعٍ أعمق. الوجهُ الذي يُراوِدُني بنُورِهِ المُخدِّر، فلأقعْ في هَوايَاه، لا لأغرقَ، بل لأجعلَهُ، فجأةً، يَفْدِيني باختناقِهِ!

كانت ليَ النَّظرةُ الأولى، لكنَّ الثَّانيةَ لم تكنْ لي.

كما أنا جذورُكِ، أنتِ حُرِّيَّتي.

وكما أنا الذَّاكرة

أنتِ مُوقِظةُ الكلماتِ في كُهُوفِ الذَّاكرة.

وكما أن الصَّقيعَ نارُكِ

النَّارُ صقيعكِ

ناديتُ لاعناً جمالَكِ، وها أنا أغرقُ فيه!

ألْوَتْ بيَ ابتسامتُكِ كما يلوي البَرْقُ في السَّحاب. الدَّهرُ انزاحَ عنِّي. كُلُّ الأعمارِ لهذه النَّفْسِ، ولا عمرَ لها. ميثاقُ الوَهْمِ ميثاقي، حُدُودُهُ جُفُونٌ، لا حُدُودَ لها، في اليقظةِ، ينجو بي من اليقظةِ، وفي النَّومِ، ينجو بي من النَّومِ. طيري بي، ولا تُلقيني. نَظْرَتُكِ تَفصِلُ بين حياتي ومَوتي، كما يجمعُ حُبِّي بين سمائي وجحيمي. يَدُكِ مُلتقَى الطَّريقَيْنِ، كما أنا مُلتقى المَلاكَيْنِ. مَرَحُكِ يُومِضُ في النَّفْس كما يرتعشُ الإنسانُ للمُعجزةِ. أيُّ غَلَبةٍ أكبرُ من احتوائِكِ لي؟! هَزَموني في الأرضِ والنَّاسِ، أحْرَقُوا شراعَ عَيْنَيَّ، فَتَنُوا بيني وبيني، دماً وبؤساً أحاطوني ...

ولكنْ، جمرةُ اللِّقاءِ تسطعُ أبداً تحتَ رمادِ الجريمة

وحزامُ الماضي يشدُّ وَسْطَ الحاضر

ورِباطُ الحياةِ البسيطُ يَسْخَرُ من خُطَطِ العباقرة

وبسمةُ الحنانِ تهزمُ، بجبروتِ كرامتِها،

جُيُوشَ التَّمزيقِ والإبادة

وماءُ العذابِ المُشترك

يسقي ترابَ الفَرَحِ المُشترك.

ولا أحدَ يركعُ غيرُ المُصلِّين!

ويعودُ الشِّراعُ، وينتصبُ فوقَ العُيُون،

وفي قلبِ الدَّمِ الشَّاسع

وبين الجُوعِ والجُوع

كُلُّ لحظةٍ عُرسٌ ومُعجزة،

وبراءتي تُشرِقُ نجمةً في صحراءِ التِّيه

ونورُ وجهِكِ

نورُ وجهِكِ الذي جَعَلَني رُوحاً فوقَ الغَمْر

زَكَّاني بين الآلهة.

وما نَجَوتُ وحدِيَ، بل أنتَ

كلُّ أنتَ

كلُّ مَصْلُوبٍ ومَغدُورٍ ومَحسُودٍ على نعمة

نجا بي

فلم يقتلُوا غير الجثَّة

ولم يخنقُوا غيرَ الفراغ.

وعادت أرضُ حُبِّنا، لتكونَ هي الأرض

وضعفُ حُبِّنا، ليكونَ هو القُوَّة

وعلى مَركبِ شهواتِنا الطَّافي فوقَ آلامِ الاختيار

حَمَلْنا وطناً، وهَرَّبْنا شَعْباً

وفي نُجُومِ عُيُونِنا أسْكَنَّا الهواءَ الهارب.

أأنتَ وطني أم وطني غُربتي؟

أأنتَ وطني

أم لا وطنَ لي، يا إلهي

غيرُ قصيدةٍ خارجَ الشِّعْر
وامرأةٍ خارجَ النِّساء
وبلدٍ في ضبابِ رأسي؟!
الطِّينُ لِيَدَي الخالق
الطَّيرُ للسماء
العنبُ للخمر
وللإنسانِ الحُبُّ.
وكما ليَ الخيال
لكِ البُرْهان
وكما وجه واحد يملأُ القلب
كذلك كلمةٌ واحدةٌ تملأُ الكون.
في ظلامِ النِّهايةِ جلستُ أكتبُ البداية.
في دمِ الأرضِ غمستُ ريشةَ السماء.
وأقولُ للموتِ الدَّاخل:
ادخُلْ! لن تجدَ أحداً هنا
غيرَ بوَّابةٍ مفتوحةٍ على الحُبِّ.
وحينَ يدخُلُ الموتُ بجلالِهِ العظيم
سينسى جلالَهُ العظيم
وسينسى الموتَ!
وسيأكلُ معنا من خُبزِ الملائكة

ويشربُ من خمرِ الشَّياطين

ويرقصُ ويُغنِّي ويضحك،

وسينتهي الموت!

ولن يعودَ الموت! ...

وها أنا أُقيمُ الغارق من مَغيبِه

أُعيدُ دماءَ الوَهْمِ المقدَّسةَ إلى عُرُوقِ الأشجار،

وأنا وأنتِ

ميلادُ إلهٍ جديد

فوقَ أرضٍ جديدة

شعبُها الحُبُّ

وحُبُّها حريقٌ لا ينتهي.

سَمَّيتُكِ سِرِّية

سَمَّيتُكِ سِرِّية.
دَعِي الخزائنَ مُقفَلَة.
أغارُ من أسرارِكِ
وغَيْرتي تُضيئُني في العَتْمَة.
اهرُبي حين تَهربين
فلن يزدادَ إلَّا شَغَفي.
الكَنزُ لا يضيع
لكنَّهُ يختبِئُ، ليمتحنَ جوهره
والكَنزُ يعرفُ لمَنْ يُعطي ذاتَه
والكَنزُ هو يختارُ الرَّاعي، وليس الرَّاعي يعثرُ على الكَنْز.
اركضي، وارمي المِفتاحَ في البراري
فإذا وجدتُ المِفتاحَ، فلن آخذَه
لأنَّ الغابةَ المُبلَّلةَ بالمطر
بأيِّ عذابٍ تستنير
إنْ لم يَطعَنْها البرق
والهادمَ كنيسةَ أسرارِكِ

بأيٍّ ممكنٍ يعودُ يحلم
وهو يَعبدُكِ
يا سِرِّية؟.
وحتَّى لو قرأتُ غُمُوضَكِ في الشمس
ستظلُّ وراءَ السُّطور طُيُور
تَغيبُ في الضَّبَاب
وحتَّى لو هَدَمْتُ السُّور وعرفتُ سرَّكِ
مَنْ يَجْمعُني بسرِّكِ
تحتَ أنقاضِ السُّور؟
اهربي، سترجعين
ارجعي، ستهرُبين
سمَّيتُكِ سِرِّية

فِي أحدِ الأيَّامِ سيرجعُ الكونُ جميلاً

ما تظنِّينَهُ جُنُوني هو جُنُوني
ما تظنِّينَهُ سُكُوتي هو نَهَمي
ما تظنِّينَهُ صفائي هو ظلُّكِ على جبيني
ما تظنِّينَهُ حُرِّيَّتي هي تلك الحَفْنَة من القَشِّ
لعلَّكِ تُشْعِلِيْنَها ذاتَ يوم،
ففي بلادِنا أنا وأنتِ
العاشقُ لا يُهدي حبيبتَهُ أقلَّ من حياتِه.
ما كانت شَبَّابتي، لو لم تكوني الصَّوت!
ما كان وجهي، لو لم تنظرِي من عينَيَّ!
رقَدَ الصُّراخُ بين البَنَفْسَج
شَعْري ناعمٌ من السَّعادة.
يا جَمالَهَا، أعطِنِي يَدَيْكَ
يا سَرابَهَا، أعطِنِي يَدَيْكَ
وُلدتُ، لأنكِ النَّبتةُ الصَّبيَّةُ في الأرضِ العجُوز
وُلدتُ، لأنكِ ماءُ الصُّخُورِ المُغْلَقَة.
في أحدِ الأيَّامِ سيرجعُ الكونُ جميلاً

بوُجُوهِ ناسِهِ وعُيُونِهم
بصَدَأِ صَحَارَاه الذهبيّ
وظلامِ غاباتِهِ النَّائمِ على ذكرياتِنا.
في أحدِ الأيَّامِ سيرجعُ الكونُ جميلاً
بعد أن يرى تماماً أنَّ القسوةَ هي الموت.

كلُّ قصيدةٍ كلُّ حُبٍّ

كلُّ قصيدةٍ هي بدايةُ الشِّعْر
كلُّ حُبٍّ هو بدايةُ السماء.
تَجذَّري فيَّ، أنا الرِّيح
اجعلِيْني تراباً.
سأُعذِّبُكِ كما تُعذِّبُ الرِّيحُ الشَّجَرَ
وتَمتصِّينَني كما يمتصُّ الشَّجَرُ التُّراب.
وأنتِ الصغيرة
كلُّ ما تُريدينَه
يُهدى إليكِ إلى الأبد.
مَربُوطاً إليكِ بألمِ الفرقِ بيننا
أنتزعُكِ من نفسِكِ
وتنتزعِينَني،
نتخاطفُ إلى سكرةِ الجوهريِّ
نتجدَّدُ حتَّى نضيع
نتكرَّرُ حتَّى نتلاشى
نغيبُ في الجُنُوح

في الفَقْدِ السَّعيد
ونَلجُ العَدَمَ الوَرديَّ خالصَيْن من كلِّ شائبة.
ليس أنتِ ما أُمسك
بل رُوحَ النشوة.
... وما إن توهَّمتُ معرفةَ حُدُودي حتَّى حَمَلتْني أجنحةُ التَّأديبِ
إلى الضَّياع.
لمَنْ يدَّعي التُّخمةَ، الجُوعُ
ولمَنْ يُعلِنُ السَّأمَ، لدغةُ الهُيام
ولمَنْ يصيحُ «لا لا» ظُهُورٌ مُوجِعٌ لا يُرَدّ
في صحراءِ اليقينِ المُظَفَّر.
ظُهُورٌ فجأةً كدُعابة
كمسيحةٍ عابثة
كدُرَّاقةٍ مُثلَّجةٍ في صحراءِ اليقين،
ظُهُورُكِ يَحني الرَّأسَ بوزنِ البديهةِ المُتجاهَلَة
فأقولُ له «نعم! نعم!»
وإلى الأمامِ من الشُّرفةِ الأعلى
كلَّما ارتميتُ مسافةَ حُبٍّ
حرقتُ مسافةً من عُمرِ موتِكَ
كائناً مَنْ كنتَ! ...
ترتفعُ

ترتفعُ جُذورُكِ في العودة

تمضي
واصلةً إلى الشَّجَرَةِ الأولى
أيَّتُها الأمُّ الأولى
أيَّتُها الحبيبةُ الأخيرة
يا حريقَ القلب
يا ذَهَبَ السُّطوحِ وشمسَ النَّوافذ
يا خيَّالةَ القَدَر
يا خيَّالةَ البَرْقِ المُبْصرِ وجهي
يا غزالتي وغابتي
يا غابةَ أشباحِ غَيْرتي
يا غزالتي المُتلفِّتة وسطَ الفَرير، لتقولَ لي: اقتربْ،
فأقترب
أجتازُ غابَ الوَعْر كالنَّظرة
تتحوَّلُ الصَّحراءُ مَفاجرَ مياه
وتُصبحين غزالةَ أعماري كلِّها،
أفرُّ منكِ، فَتَنْبُتِينْ في قلبي
وتفرِّين منِّي
فتُعيدُكِ إليَّ مرآتُكِ المُخبَّأةُ تحتَ عَتَبَةِ ذاكرتي.
يداكِ غُصُونُ الحرب

يداكِ يدا الثَّأرِ اللّذيذِ منّي
يَدَا عَيْنَيْك
يَدَا طفلةٍ تَرتكب
يداكِ ليلُ الرَّأس.
تُسكتِينَنِي، كي لا يسمَعُونا
ويملأُ الخوفُ عَيْنَيْك
مُدَلَّهَاً مُختلجاً بالرُّعب
كطفلٍ وُلدَ الآن.
تنسحبُ الكلماتُ عن جسدِكِ
كغطاءٍ ورديٍّ.
يَظهرُ عُريُكِ في الغرفة
ظُهُورَ الكلمةِ الأوحد
بلا نهائيَّة السَّرابِ في قبضةِ اليد.
مَنْ يَحميني، غابَ النهار؟!
مَنْ يحميني، ذَهَبَ الليل؟!
ليس أيَّ شوقٍ، بل شوقُ العُبُور
ليس أيَّ أملٍ، بل أملُ الهاربِ إلى نعيمِ التَّلاشي.
فليبتعدْ شَبَحُ الخطأ
ولا يقتحمْنا باكراً
فيخطفُ ويُطفِئ

ويقتلُ ما لا يموت
لكي يعيشَ بعد ذلك قتيلاً.
الحُبُّ هو خلاصي، أيُّها القَمَر
الحُبُّ هو شقائي
الحُبُّ هو موتي، أيُّها القَمَر.

لا أخرجُ من الظُّلمةِ إلَّا لأحتميَ بعُرْيِكِ، ولا من النُّورِ إلَّا لأسكرَ بظُلمَتِكِ.

تَربَحُ عَيْنَاكِ في لعبةِ النَّهارِ، وتربحان في لُعبةِ اللَّيلِ. تَربَحَان تحتَ كلِّ الأبراجِ، وتَربَحَان ضدَّ كلِّ الأمواجِ. تَربَحَان كما يَربَحُ الدِّين عندما يَربَحُ وعندما يَخْسَرُ.

وآخذُ معي وراءَ الجمرِ تذكارَ جمالِكِ أبديَّاً كالذَّاكرةِ المَنْسِيَّة،
يحتلُّ كلَّ مكانٍ، وتستغربين
كيف يكبرُ الجميعُ، ولا تكبرين.
ذَهَبُ عَيْنَيْكِ يسري في عُرُوقي.
لم يعدْ يعرفُني إلَّا العُميان
لأنَّهُم يرون الحُبَّ
ما أملكُهُ فيكِ ليس جسدَكِ
بل روحَ الإرادةِ الأولى
ليس جسدَكِ
بل نواةَ الجَسَدِ الأوَّل

ليس رُوحَكِ
بل رُوحَ الحقيقةِ قبلَ أن يغمرَها ضبابُ العالم.
الشمسُ تُشرِقُ في جسدِكِ
وأنتِ بردانة
لأن الشمسَ تَحرِق
وكلُّ ما يَحرِقُ هو باردٌ من فرطِ القُوَّة.
كلُّ قصيدةٍ هي قَلْبُ الحُبِّ
كلُّ حُبٍّ هو قلبُ الموتِ، يخفقُ بأقصى الحياة.
كلُّ قصيدةٍ هي آخرُ قصيدة
كلُّ حُبٍّ هو آخرُ الصُّراخ
كلُّ حُبٍّ، يا خيَّالة السُّقُوطِ في الأعماقِ، كُلُّ حُبٍّ هو الموتُ حتَّى آخره،
وما أُمسكُهُ فيكِ ليس جسدَكِ
بل قَلْبَ الله
أَعصرُهُ وأَعصرُهُ
ليُخدِّرَ قليلاً صُراخُ نشوتِهِ الخاطفة
آلامَ مذبحَتِي الأبديَّة.

II
سَرَاحُ اللَّيلِ

لنذهبْ

قبلَ أن يمرَّ حصانٌ يرفسُ الطّاولة.

قبلَ أن يقومَ البشرُ، ويُسْحَبُ القُطنُ من آذانِنا.

قبلَ أن تعودَ الحياةُ والموتُ والحياة.

أخافُ أن أعرفَ

أجْمَلُهُ ما بين الجهلِ والمعرفة. أكثرُه ألَماً وأشدُّه اعتصاراً. لا أعرفُ ما ستُقرِّرين. عَيْنَاكِ اللَّتان في لونِ ثيابِكِ ثابتتان في دوختي ثباتَ الحَيْرةِ المُنقِذةِ في العذاب.

كذَّابٌ هذا الصقيع، كذَّابٌ ذلك البحرُ التَّافه، كذَّابٌ أيُّ انهماكٍ كانَ: سوفَ أنساكِ. كذَّابٌ أنا، لو كان لي أنْ أنساكِ لَمَا فعلتُ، لأنكِ، أنتِ أيضاً، لستِ لي. وكيف أنسى مَنْ ليست لي؟!

كان يكونُ مريحاً لو.

لكنّي كذَّابٌ أيضاً. أرفُضُ هذه الرَّاحةَ. يحدُثُ ما يحدُثُ، وما لا يجبُ أن يحدثَ، وما لا يحدثُ. أحِبِّيني، لا لأنيِّ أُحَبُّ، بل لأن عَيْنَيْكِ تُحِبَّان طريقَتَهُما في إحراقي.

يوم وُلِدْتِ كُنتُ كبيراً. أمس كُنتُ صغيراً يوم كبرْتِ. ولولا الضَّوءُ، لَمَا رأيتُ من عمري سوى الرَّعشة. صغيراً كالبداية، وأنتِ كبيرةٌ ككُلِّ ما يجعلُ النِّهاياتِ تبدأُ من جديد.

أنتِ لسواي، ككُلِّ مَنْ أحْبَبْتُ. لسوايَ، ككُلِّ ما هو لي. قَدَرُ المُشتهي مُقتَنَى غيرِه، قَدَرُ حاملِ الفتنةِ، قَدَرُ الزَّائرِ الغريب، قَدَرُ ناشرِ الاضطرابِ والحُرِّيَّة، قَدَرٌ جميلٌ هو قَدَري.

وبين الجهلِ والمعرفةِ مصيري، وأخافُ أن أعرفَ ما سيصيرُ.

أجْمَلُهُ ما بين الجهلِ والمعرفةِ، تُدَلِّلُكَ أحلامُ القَلَق، وتغدرُ بكَ.

والويلُ لكَ من جمالِ تنكيلِ تلكَ الحَيْرَةِ، والويلُ لكَ من اليقينِ!

فأنتَ مولودٌ تحتَ التَّاجِ والسُّمِّ.

الأوَّلون آخرون

أنا صَديقُ الأشياءِ المَنْسِيَّةِ، وحين يَطْلَعُ النَّهارُ تكْتشِفُ النَّوافذُ بيانَ اللَّيل.

عندئذٍ أنامُ، تاركاً للنَّهارِ ذاكرةَ الخُبثِ المُرهِقةَ هذه.

ولا أُغادِرُ نظامَ تلك المناطقِ المقلوبةِ إلَّا لجناحَي مَلاكٍ، يأخذانني حيثُ لا يُسْمَحُ للملائكة.

هناك، حتَّى الأشياءُ العاقلةُ كالخزائن والطَّاولاتِ، بل وأساتذةُ الحكمةِ، لا تتكلَّمُ، عندما تَخْلَعُ عنها الطَّاعةُ، سوى لُغةِ السُّقُوطِ والنَّدَمِ.

وكما العاقلِ عَقْلُه يُجنِّنُهُ، كذلك فإنَّ المجنونَ جُنُونُهُ يَهْديه.

والرَّابحُ يَخْسرُ، والخاسرُ يَرْبَحُ.

الغُيُومُ الوسيطةُ

في كلِّ مرَّةٍ رميتُ بنفسي من أعلى الجبلِ، ليبتلعَني الوادي

كانت تستلقيني.

العُيُونُ، أحضانُ المعجزة.

الغابةُ الواعيةُ

عندما تُضْرَبُ الخادمةُ في ساعةٍ مُبكِّرة
أتذكَّرُ لحظةَ القُرْبَانَةِ الأولى.
الخادمةُ إذا ضُرِبَتْ
فالشَّمسُ لا يهمُّها
لكنَّ المُناوَلَةَ الأولى
تنكسِرُ كالشَّمس.
ضَحَّكُوا الخادمة
الغابَةُ الواعيةُ في حسناء!

دُغوشُ الغيابِ

تجلسُ أمامَ النَّافذةِ المُفتوحةِ، وتَشْرعُ في الذَّهاب. المدينةُ مِدْخَنةٌ طويلةٌ، تُصَعِّدُ الرَّغوة.

بعيداً ما، في المبنى المقابلِ، رَجُلٌ يذهبُ إليها وهو وراءَ نافذتِهِ. يَجهلُ واحدُهُما الآخر. وسيبقيان، بإذنِ الله.

وكلُّ يومٍ تقريباً.

هذا هو الحُبُّ كلُّه.

البابُ المرصودُ

من طَيَّاتِ ثوبِكِ المَشقُوق
تروحُ
ظِلالٌ طليقة
ومن بياضِ عَيْنَيْكِ ينفصل
بُرُود
يفتحُ الحُدُودَ من جديد
ويُغْلِقُها ..

جاذبيَّةٌ

تَهْربُ إليَّ ضمائرُهُم، أَحملُ بذراً سيموتُ، إنْ نَقَصَ ليلة، وتُفْلتُ منِّي صورتي.

أقولُ «أنا المُجرمُ» لأنَّهم سيتخيَّلونَني مَخدُوعاً لو عرفُوا؛ وأنيِّ، كالطِّفلِ الذي يعتقدُ أن أبوَيْه إلهان، أُريدُ أن أنزل.

الحركاتُ العَمياءُ

- بيني وبينكِ البحرُ، ولا شيء.

- أعْمَقُها، الحركاتُ العَمياء.

- بيني وبينكِ تمثيلي وما تَحْتَه.

- بيني وبينكَ أنتَ. لا أحدَ يتعثَّرُ مع الحركاتِ العَمياءِ، ولو ذَهَبَ ولم يَعُد.

- بيني وبينكِ نسماتُ أيدينا.

- الحركاتُ العَمياء، لا أفواهَ لها.

- بيني وبينكِ خُسُوف.

- تعالَ نجلس فيه.

- وأيُّ غيمةٍ ستأخذُنا إليه؟

- دخانُ القلبِ المحترق.

اللُّججُ السَّحيقةُ

قَامَتْ وذَهَبَتْ
لأنَّه لم يتكلَّم
وكان لا يتكلَّم
لأنَّهُ لا يريدُها أن تذهب.
قَامَتْ وذَهَبَتْ
لأنَّهُ كان يتكلَّمُ كثيراً
وكان يتكلَّمُ كثيراً
لأنَّهُ لا يعرفُ ماذا يقول
كي تبقى، ولا تذهب.
قَامَتْ وذَهَبَتْ
لأنَّهُ كان تارةً يتكلَّمُ، وطوراً يسكت
وهو كان يتكلَّمُ، ليُسلِّيَها، فلا تذهب
ويسكتُ ليُعطيَها الكلامَ، فلا تذهب.
قَامَتْ وذَهَبَتْ
لأنَّها وجَدَتْهُ مُرتاحاً
ففكَّرتْ ليس في حاجةٍ إلى وُجُودها.

وهو كان مُرتاحاً

لأنَّها جاءت

ولأنَّهُ لا يريدُها أن تذهب ...

مِن الذراعين

نازلةٌ مع الهواءِ شَعْرُها
يطولُ من رُموشِها نحيبي.
تضحكُ لأنيِّ الأَضْعَف
أضْعَفُ لأنَّها تَضحك.
لا شيءَ في آثارِها.
وكلَّما حَلَتْ ضِحْكَتُها ...
في براري اللُّفاحِ بَنَتْ لرجُلٍ قَصْر ذراعَيْه، حيثُ رَكَضَتْ
وحيثُ وَقَعَتْ
بدونِ تدخُّلٍ من الشِّعْر!

باقٍ

باقٍ...
أسأتُ وَدَاعَكِ، وما حَمَلْتُ دَمْعَكِ.
أقلعتْ عربةُ القارِ والصَّقيعِ، وما هَتَفْتُ لكِ.
تسمَّرتُ. أُسْلِمْنا إلى جحيمِنا.

باقٍ.
تذهبين. تمدِّين يَدَيْكِ، وتَبكين.
تصمتين، ذبيحةً كاملة.
طاهرةً تمضين في اندفاعةِ حُبِّكِ
وأنا، مُنذُ أوَّلِ دَوْرٍ لي، أنْحَتُ ذكريات!

سياجُ العَرَاءِ الأخضر

عليكُما بالغابةِ أيضاً، ينهمرُ ليلُكُما في أحضانِ يَدِها الهائلة.

القَصْعين والوزَّال والطَّيُّون، في مملكة الصَّنَوْبَر، رفاقٌ بلا حَسَد، منازِهٌ تَرْصدُها صفوةُ الخطايا، ومُخادع يَغْمرُكَ، إذ تَغْمرك، عَبَقُ المُجُون الخَبِيءِ في التُّراب. وقبَّةُ الصَّنَوْبَرَاتِ وأسوارُ أفيائِها تَبْسِط عليكُما، أيُّها المُستلقيان على الصَّخرةِ المَلساءِ كالسَّماءِ، حمايةَ الحُرِّيَّة ...

النَّجمَتان

كلُّ شيءٍ توقَّف.
في هذه السَّاعةِ الجداولُ تُصغِي والثَّلجُ سهران.
كلُّ شيءٍ توقَّفَ، والهُزءُ المُعتادُ، عُلِّقَ.
فثمَّةَ نجمتان، حَطَّمَتَا النِّظام
وتنطلقان للاتِّحاد
بعد لهيبِ المسافةِ وأوجاعِ الحُرِّيَّة.
ها هما
واحدةٌ ترمي عنها الأسماء
وأُخرى الأعشابَ والصُّخُور
فتلبسان اللَّهفة
وظلال الصُّلبان
وخوفَ العُيُون.
تشدُّ النَّجمةُ إلى النجمة
تراكضان
تقطعان ملايين السِّنين في لحظة
وترتمي الواحدةُ في الأُخرى

انهياراً واحداً.

وفي الفُسْحَةِ الصَّغيرة

بين اليدِ واليد

بين لحظةٍ ولحظة

تعودُ تمرُّ

ناعمةً كالأفعى

ملايينُ السنين ...

سُؤددُ العَتَمَات

نتبادلُ التَّخلّي واحدُنا عن الآخر،

نرفعُ الغطاءَ، ندنو من الهيكلِ، وندخلُ على ما نستسلمُ إليه، في سُؤددِ عَتَمَاتِنا المُحلِّقةِ بأجنحةِ العيبِ، إلى نُورٍ أنقى، سعادةً تَبْحثُ عن عَيْنَيْهَا.

العطاءُ السِّرِّيُّ

وَحْدَكَ، دائماً.

هذا هو اللِّقاءُ بينكُما معهم.

سَرَاحُ اللَّيلِ

بينكَ وبينهنَّ - حين يَكُنَّ غريباتٍ كجارياتٍ من بلدٍ آخر - جاذبُ السَّديمِ اللَّذيذِ إلى السَّديمِ الألَذِّ، بلا قَمْعِ المعرفةِ، ولا ضَلالات التَّعارف.

وما النعيمُ سوى نَشوةٍ بلا وجهٍ، أو بوُجُوه الخيالِ. نشوةٌ تختلسُها بكلِّ مهابةِ الجوهرِ، وتمارسُها، وحدَكَ أو وحدَكَ، بفالتِ الرأسِ، رأسِكَ الذي مع كلِّ جُنُون، بَدَلَ أن يُفْرَغَ، يظلُّ يَخزنُ كالنَّحْل.

وإذا النَّعيمُ أحياناً سَكْرةٌ بلا وجه، فهو، أحياناً أيضاً، شهوةُ الوجهِ الذي يُغيِّبُكَ، الوجهِ المطمئنِّ، المحدِّقِ كتمثالٍ مُفترِس، والمُعتلي عرشَ التَّهتُّك بهُدُوءِ الأجيال. شهوةُ الوجهِ الذي يُحرِّرُكَ من وجهِكَ، فتتهاوى وتَدْفُق من قمَّةِ رأسِكَ حتَّى أخمصِ أعماقِ عَدَمِكَ.

بينكَ وبينهنَّ لا غَزَلٌ ولا بَدَلٌ، بل فوراً، بمجَّانيَّةٍ لا وُجُودَ لها إلَّا هنا.

بينكَ وبينهنَّ حُرِّيَّة أجملُ من الحُبِّ.

نُجُومُ الصَّباحِ

أصابعُ يديكِ هي نُجُوم الصَّباحِ في أغربِ المُدُن، تلك التي أبوابُها مُرصَّعةٌ بنياشينِ الكبتِ الخافضِ العُيُون إلى ملكوتِ الحُرِّيَّة.

فليكنْ بيننا وسيطاً ستارُ الكلْفة، مَلاَكُ الخطايا الرَّزين!

القَدَرُ

القَدَرُ ابتسامتُكِ الواقفة على كتفي
القَدَرُ لقاؤُنا غيرُ المستَحَقِّ على حافَّةِ كلٍّ منَّا
القَدَرُ جُمودُكِ عندما أَسْكُتُكِ، فَتَغْلين
القَدَرُ غُربتانا، تُعانقُهُما صحوةُ نومِنا
القَدَرُ هو الصَّفحةُ البيضاءُ تنظرُ إليَّ
فأقع منها كَنَسْرٍ يُلاعِبُ الفراغ
وأرتفعُ كرُوحٍ من تحتِ الماء.

رَجُلٌ يغوصُ

رأيتُ الرجُل يُصَعِّدُهُ الشَّكُّ كالدُّخان.

رأيتُهُ يقْتلع الظِّلَّ.

رأيتُ الرَّجلَ يُنزِلُ وجهَه، يُنزِلُ صوتَه، يُنزِلُ تيَّارَ خوفِه.

رأيتُهُ لا يجدُ صُراخَه.

رأيتُ الرَّجلَ يغوصُ في مياهِ العذابِ المُنخفضة.

رأيتُهُ حَصاةً في ذاكرتِك.

رأيتُ الرَّجلَ عَرَبةً لِكسَلِكِ، عطراً لخيالِكِ،

نافذةً لِصباحِكِ، وفريسةً قاتلةً لأحلامِكِ.

رأيتُهُ يُصَعِّدُهُ اليقينُ كالدُّخان ...

سَحْقاً للشُّعَراء!

سَحْقاً للشُّعَراء!
لولا ضَجَرِي منهم
لَمَا كتبتُ الشِّعْر
ولو لم أكتبِ الشِّعْر
لكُنتُ بقيتُ
كما كُنتُ في مَطلعِ العُمر
مجموعةَ أشعارٍ غامضة
لا أسمحُ بالاقترابِ منها
إلَّا لمَنْ يُعطيني كلَّ شيء ...

وفاء العصافير

أنسابُ كالماءِ بينَ الصُّخُور.

جلستُ لأنظِمَ

فرأيتُ الأوزانَ عصافيرَ تبكي في أقفاصِها.

أكان يُمكنُ أن أتركَ العُصفُورَ حزيناً

من أجلِ أن أُزيِّنَ بيتي؟

وتركتُ الأوزانَ لأشدَّاءِ القُلُوب.

وكم أنا مُعجَبٌ ببراعَتِهِم!

وكم يُطرِبُني الغناءُ المَنظَّم!

وكُنتُ أودُّ لو أكونَ مثلَهم

ولكنْ، ما حيلَتي

إذا خَلَقَني اللهُ ضعيفاً أمامَ الحُرِّيَّة

فَضَيَّعْتُ الأوزانَ، وضَيَّعَتْني

ولم أربحْ غيرَ وَفَاءِ العَصَافِير؟!

مِن الألفِ إلى الياءِ

وَقَعْتُ على شَوْكِ الكلماتِ من قلبِي كعُصفُورٍ، وما لا يَحدُثُ أحدِثُتُه.

مِن كِسْرَةِ الخبزِ، أطعمْتُ، ومن قَطْرَةِ الماءِ، غَمَرْتُ، ومن الألفِ إلى الياءِ، حَمَلْتُ.

أنا الرَّجلُ الأمُّ.

الدَّائمُ الكذبِ

ليس ممَّا أَفْلَتُّ للمُستقبلِ إلَّا قديمَ الرَّغبات، تلك الخزانةَ المتلألئةَ بالفراغ ...

... أمَّا ما لم يُفْلَتْ، فإنْ قلتُهُ بين الحنينِ والحنينِ، فَمِنْ بابِ السَّلامِ على الذَّاتِ الوحيدة.

ولا يتجدَّدُ الرَّأسُ بتَخْضِيبِ الشَّعْر. الوداع.

... بلى، يتجدَّدُ بتَخْضِيبِ الشَّعْر! ...

ورأسي هو لونُ شَعْرِكِ الدَّائمِ الكذبِ على العُمرِ، الكذبِ على الموتِ، والكذبِ المقدَّسِ على الحياة.

الأشياءُ المسكونةُ ...

الأشياءُ المسكونةُ بما لم نكن ندري أنه سيبقى، الأمواتُ الذين يُنادون أنْ أعيدَهم إلينا، الأحياءُ الذين يسيرون نَحوي، لأُحقِّقَ لهم مَوتَهُم، الكُتُبُ، الأشرطةُ، الصُوَرُ، الألحانُ، الوُجُوهُ، النِّيَّاتُ، الوُجُوهُ، العُيُونُ، الأصواتُ التي، الوجنةُ وطرفُ العين، الأصواتُ، العُطُورُ، الوُجُوهُ، الوُجُوهُ التي لم تكنْ كما هي، بل كما تسلَّلتْ بين غُيُومِ الانبهار، ولبثتْ بين سُطُورِ الأسفلِ والأعلى أشدَّ احتداماً من الشَّمسِ وأعمقَ من الخوف.

يومٌ بعدَ المَطَرِ

- أينَ، مع الشَّوق؟

- إلى الضِّفَافِ، صفصافة.

- ما هو العِطْر؟

- جنِّيَّةٌ ترمي الشَّائعات.

- مَنْ تنتظرين في العاصفة؟

- أنسى.

- ما هو الوعدُ؟

- يومٌ بعدَ المَطَر.

- ماذا تقطُفِين في بستانِ العالم؟

- البستانَ والعالم.

- ماذا تتركين لهم؟

- صوتَ الصَّيفِ، ليناموا.

- ما اسمُكِ؟

- اسمي على الشاطئ.

- متى نلتقي؟

- في غيابٍ آخر.

III - الهاربُ

الهاربُ

إرهابُنا تَحقَّقَ ضدَّنا.

الذين هُم يجبُ أن يُقْتَلُوا، سَرَقُوا منا المِفتاحَ، وقَتَلُوا.

وبعدَما زيَّفُوا الخَلْقَ، ها قد زيَّفُوا القتل.

كَبَتْنَا عُنْفَنَا، وسَكِرْنَا كالرُّؤْسِ البيضِ، ولم نعدْ نملكُ سوى أملٍ مُتلاشٍ بأن يُسعِفَنَا، إذا أمكنَ، رَجْعُ صدىً لحِقْدٍ ما. ولكنَّهُ هو الآخرُ ينسابُ هارباً، يختفي طائراً كمَلاكٍ مَأمُورٍ فجأةً بالعودة.

قَمَرُ الشِّعْرِ

أَشعارُهُم سُهُولٌ وَسيعةٌ، ومُفرداتُهُم أَغْزَرُ من ثمَرِ القِطَاف.
ينزلُون كالأمطارِ، ويَحصُدُون كالآلهة
وحُرُوفُهُم تَلْمَعُ كرُنُودِ الحطَّابين.
... أَحْسدُكُمْ، أيُّها الشُّعَراء!
وإنيِّ قريبُكُم البعيد.
وَهَبَتُ ذاكِرتي ولم أَحفظْ بيتاً
ولا غدوتُ إلى صَيدِ المُجلَّداتِ الغفيرةِ الطَّرائد.
وصرتُ أرى ما أراهُ، فأراه.
وحين أُريدُ أن أكتبَه
يبقى وراءَ عَيْنَيَّ.
يداي مَليئَتَان بالرُّوحِ، وخَالِيَتَان من كلِّ كلمة.
لَيتَنا أنا، أيُّها الشُّعَراء!
أجلسُ على عشبِ لبنانَ المحروقِ وكُليِّ مَوت
ولم يبقَ فيَّ مِنْ حياة
غيرُ الألم
كيف تلكَ الدَّهشةُ أَصْبَحَتْ بلَونِ الوَدَاع.

قَمَرُ الشِّعْر انكسَر
ولا أحملُ منه إلَّا شَظَايَا.
... لكنَّهُ غداً في الشَّهرِ المُقبل
يعودُ
فلأختبِئْ وراءَ غابة
أنتظرُ الشَّهرَ المُقبِل.
فلأختبِئْ وراءَ زُجاجٍ يُريني ثأراً، يُرمِّمُ رُوحي!
لَمَّعَني الصَّمتُ، وجمَّعَني
ولمَّا جئتُ أقول
وَجَدْتُ قلبي جُثَثاً كثيرة
فلم تخرجُ كلماتٌ، بل أشباح
ولم أُرسِلْ حياةً، بل تَهْلُكَة.
قَمَرُ الشِّعْر انكسَر
وغَرِق في دماءِ لبنان.
وغداً لن يَطْلَعَ في الشَّهرِ المُقبِل
إلَّا بعدَ الثَّأر،
ثأرِ الحِقْد
أو ثأرِ الغُفْران،
وكلُّ الذين قتلُوني
سيُوصُون أن يُدفَنُوا في تُرابي!

هل أستطيعُ أن أنظرَ ثانيةً إلى الدُّنيا
وأقبلَ بعودةِ الطَّيرِ والخير؟
الآلهة في ليلِ أعماقِها
تُبرِّدُ خيانَتَها بأرواحِ الضَّحايا.
أيُّ هواء يُنقَّى بعدَ الغَدْر؟
أيَّةُ أيْدٍ تُغْسَلُ بعدَ الصَّلْب؟
... ولكنْ، مهلاً
هل الحربُ أكثرُ من فَصْلٍ ويَمُرُّ؟
فَلْنَنْتَظِرْ مُرُورَهُ، وبَعْدَهُ إلى الغنَاء!
وهل هي أكثرُ من دَورةٍ للحَسَدِ والجريمة؟
فَلْيَنْفَجِرْ بُركانُ الحَسَدِ والجريمة.
وبعدَ أن يُفرِغَ حُمَمَهُ، ويرتاح
نُعاوِدُ مسيرةَ النِّعمةِ، تُؤجِّجُ في قايين نارَ الحَسَد،
والإشراقُ يُلهِمُ في الأفعى نُبُوغَ الجريمة!
فَلْنَخْتَبِئْ وراءَ مَوتِنا ...
فَلْنَنْتَظِرْ مُرُورَ الزَّمنِ الصغير!
ولْنَدُسْ بأقدامِ احتقارِنا جِبَاهَ عبيدِهِ القَتَلَة ...
ولْنَنْشُرْ أشرعَتَنَا نحوَ خَيالِنا
ذلك الرَّبيعُ الجديدُ أبداً
حيثُ أنتَ تَعْلَمُ ولا تَعْلَم

تُنبِئُ من دونِ أن تُنبِئ
تَفْعلُ كالنَّائمِ الغائب
وتُغيِّر وتُحوِّلُ كجسدٍ بلا رأس!
أنا الخالدُ المُدَجَّجُ بالموت
أنا الإلهُ المُقنَّعُ بالعَجْز
دُرْتُ حولَ بَلَدي دَوْرةَ الأبديَّة
حولَ بَلَدِي الأكثرِ مَسيحاً من المَسيْح،
حَمَلْتُ مَشاعِلَ الغضبِ وشُمُوعَ الرِّقَّة
سَكِرْتُ بالرِّيحِ، واختنقْتُ من السُّكُونِ الضَّاري
حَوْلَ بَلَدِي المَطعُونِ أكثرُ من الحقيقة
دُرْتُ دَورةَ مَلِكِ الملائكةِ وأميرِ الظَّلام
فإذا الرُّؤيا أكبرُ من الفم
والسُّقُوطُ أكبرُ ممَّا تستوعبُ الهَاوِيَة.
وكما قلتُ أُعيدُ:
إرهابُنا تَحقَّقَ ضدَّنا
إرهابُنا نحنُ الصِّدِّيقين
نحنُ العصافيرَ المستقيمي الفتنة
تَحَقَّقَ ضدَّنا،
زُوِّرَتْ براءَتُنا
اختُلِسَتْ أختامُنا

وما خَلَقْنَاهُ كأُعجُوبة
تجمَّعَتْ عليهِ المُسُوخ
يتقدَّمُها الخِنْزِيْرُ البرِّيُّ مُتوَّجاً بتقاليدِه.
ومُنذُ بدءِ تقاليدِه
وأنا كلَّما قَتَلَنِي الخِنْزِيْرُ البرِّيُّ
أقومُ في الشَّهرِ الثَّالث
أو أقومُ في اليومِ الثَّالث
لمجدِ النُّورِ ولأجلِ الظِّلال.
وتعودُ دَوْرَةُ النِّعمةِ والحَسَدِ والإشراقِ والجريمة،
وتعودُ دَوْرَةُ الحياةِ والموت،
وأنا سيِّدُ الحياة
وأنا المُشفِقُ على الموت
وأنا قَمَرُ الشِّعْر
وأنا وَطَنُ السُّكْر
وأنا ثَأرُ الحِقْد
وأنا ثَأرُ الغُفْران.
وفي تُرابي المخمَّرِ بالسِّرِّ والحُرِّيَّة
سأحتضِنُ برَحْمتي المجنونة
جميعَ الذين قتلُوني.

غدٌ

هذا التَّعَبُ ...

عندما أنظرُ إلى الأعمدةِ، من قاعدَتِها أم مِن أعلى، تنبعثُ إليَّ حرارةٌ لمزيدٍ من الانطواء.

هذا التَّعبُ ...

لا أستطيعُ أن أمدَّ يدي إلى وجهِكِ. وجهُكِ في عينَيَّ، ولا أصِلُ إلى عينَيَّ.

هذا الهُبُوطُ ...

لا كشيءٍ قديمٍ، بل كشيءٍ من المُستقبل.

في الغدِ، الجديدُ هو عَجزٌ، كأنَّه.

وهذا التَّعَبُ الغامرُ ... خُذْني. النَّومُ، يا إلهي!

في ماءِ الإغماضةِ السَّاخنِ، في اللَّذَّةِ العفيفةِ، والمطرُ، والسُّطوحُ الدَّاخليَّةُ، والغَلْغَلَةُ ...

ورائي

أُريدُكَ صديقي، أيُّها العالَم
وعندما أنظرُ إليكَ
أهربُ منكَ!
وإذا جدَّدَ الإلهامُ خَلْقِي
ونظرتُ إليكَ، لأراكَ بِكْرَ المَشاهد
ألقاني في مُحيطٍ غريب
كلَّما توغَّلتُ فيه، تضاعفتْ غُربتي
فلا مألوفاً تكونُ صديقي
ولا جديداً.
وما يدريني
لعلَّكَ أنتَ أيضاً هاربٌ منِّي
أنا الذي كان يظنُّكَ تركضُ ورائي
ولم أفطنْ أنيِّ لا أجرُّ ورائي
غيرَ كيسِ كلماتي الخفيف!

أيَّتُها التَّشابيهُ

الزَّمانُ يُلغيكِ، أيَّتُها التَّشابيهُ
لكنَّ الوُجُوهَ القديمةَ تموت
لتتجدَّد
مُعطيةً في عُمرِها الثاني الحياةَ
لمَنْ لم يعودُوا يتبادلُون الحياة
فتُحيِّيهِم تحيَّةَ الإبحار
من جديد
في مياهِ التَّجاذبِ الخالدة.

مُنتهى الواقعيَّةِ

لو لم أكنْ نائماً، لكُنتُ هائماً

البقيَّةُ الباقيةُ من اليقظةِ أهيمُها حتَّى النَّوم.

وأتعاملُ معكُم، وأنا نائمٌ، بمُنتهى الواقعيَّة.

وإذا لم تفهمُوا، فليس لأنيِّ غامضٌ، بل لأنَّكُم تقرؤون.

وكان يجبُ أن تنامُوا.

لو كنتَ مكاني

يتكَلَّمُون يتكَلَّمُون

ويتكَلَّمُون

حبَّذا لو يسكُتُون!

يسكُتُون يسكُتُون

ويسكُتُون

أوَّاهُ! أرجوكُم! تكَلَّمُوا! ..

كلامُهُم كان يجبُ أن يُرِيْح

ولا يُرِيْح

سُكُوتُهُم كان، إذنْ، يجبُ أن يُرِيْح

ولا يُرِيْح!

وتفترضُ أنَّ بين كلامِهِم وسُكُوتِهِم

استراحة

تُرِيْحُ حقَّاً،

فتتوقَّفُ، لتكتشف

أنَّ هذا الملجأ هو أيضاً

مَقْصُوفٌ بكلامِكَ، أنتَ الذي لا جوابَ عنه

وبسُكُوتِكَ أنتَ الذي لا سُؤالَ عنه!

لو كنتَ مكاني

لعرفتَ أن تتصرَّفَ، كي تتخلَّص.

وهو هذا ما يقهرُني

فأنا كُنتُ أُريد

وأنا أنا

أن أكونَ أنتَ! ..

الصَّديقُ

على كلِّ حالٍ، لن يُصدِّقَهُ أحد.

ليشرحْ، لن يُصدِّقَهُ أحد.

في السِّجنِ كان معهُ لصٌّ ساحرٌ، يُحرِّكُ يَدَيْهِ، فيُطْلِعُ وردةً على غيمة.

وحين كان الذي لن يُصدِّقُوه يبكي في السِّجنِ، كان اللِّصُّ السَّاحرُ يعملُ له من الهواءِ مِنديلاً، يُجفِّفُ به دُمُوعَه.

ولم يُصدِّقْهُ، لم يُصدِّقْ قصَّتَهُ الخرقاءَ غيرُ اللِّصِّ السَّاحر.

المُذْنِبُ هو خيرُ صَديقٍ للبريءِ.

الزَّائرُ

أعمقُ لوحةٍ في غرفةِ الانتظارِ الحائطُ عارياً.

بهذا أعرفُ أن حَدَثاً قد يَرتسِمُ، ويدعوني.

الحائطُ العاري يُراقِبُني، ليعرفَ إذا كان سيُلبِّيني.

الحائطُ العاري، الظِّلُّ الأملسُ المُتجمِّدُ، السِّتارُ المُغْلَقُ تماماً كالسَّماءِ الصَّافية

الوَصِيُّ على عرشِ طُفُولَتي.

الرَّحَّالةُ

رَكَضَ وفَتَحَ وقَفَزَ وهَبَطَ إلى فلورانس، المدينةِ المَسمُوعةِ، مع أنَّها مرسومةٌ وراسمةٌ، بكمنجاتٍ وفيولونسيلاتٍ، تمتقعُ لها الذِّكرياتُ شهوةً، إنْ لم يكنْ حَسَداً.

رَكَضَ وفَتَحَ وقَفَزَ وهَبَطَ.

إلى باريسَ، المكحَّلةِ حولَ عُيُون شُعَرائِها، الأَعْيَقِ بين نسائنا، التي كنائسُها أشباحٌ ذاتُ تهديدٍ جنسيٍّ.

رَكَضَ وفَتَحَ وقَفَزَ وهَبَطَ إلى لبنان، المُمْتَحَنِ للخرابِ الأوسعِ، المضروبِ لفرحتِهِ، المدمَّر لصوتِهِ الجميلِ جدَّاً.

رَكَضَ وفَتَحَ وقَفَزَ وهَبَطَ وصَعِدَ وراح.

وفَتَحَ.

ودَخَلَ.

وفي الصَّالةِ السِّينمائيَّةِ المُظلِمةِ، جَلَسَ وعادَ إلى بطنِ أُمِّه.

١٧ - الوليمةُ

المُتفرِّجُ المجهولُ

صبرُكِ الجبَّار، القدِّيس، كيف استحال فخّاً.

(وأنتَ، لا نهائيَّتُك، ماذا تخفي؟ أتكونُ أنتَ أيضاً مثْلَها، مثْلَهم؟).

هذه السُّهُولُ الخضراءُ كيف صارتْ جحيماً؟ هذا الهواءُ كيف صارَ مَغْرَقاً؟ هذا الفراغُ اللَّذيذُ كيف عَجَّ قاعُهُ بالخناجر؟

لم أكنْ أعرف.

وأنَّ الوليمةَ التي دعوتُ إليها بغباوةِ ألمي، لعنةٌ ودمار.

وأنَّ الوليمةَ التي دُعِيْتُ إليها هي رُوحي وجَسَدِي!

أيُّها المُتفرِّجُ المجهولُ على أفعالي، هل يرونكَ أكثرَ منِّي؟

هل يَعرفُونَكَ أفضلَ منِّي؟ أتكونُ مثْلَهم وأكونُ مَنبوذَكَ أنتَ أيضاً؟!

أكثرُ ما أُحِبُّ في عَيْنَيْكَ اللَّتَيْن لم أرَ، ليسَ وَهْجَ المجدِ، بل عَكَرَ الحنوِّ الفائض.

لا تُشْبِهْ خلائقَكَ، أرجوكَ. لا تُشْبِهْ هذه الليلةَ، ولا البارحةَ، ولا شيءَ. كُنْ أنتَ ديمومةَ ذلك الوَهْمِ الذي أحْبَبْتُ مَنْ أحببتُهُم بفضلِهِ. ليثبتْ عليكَ ذلكَ الوَهْم!

يا إلهي!

الوليمةُ

تُريدُون شِعْراً؟

ومتى كان الشَّاعرُ يكتبُ شِعْرَاً؟

تُريدُونَهُ في سِرِّهِ؟ في تأليفِهِ؟

تُريدُون تلكَ الظِّلالَ، وذلكَ التَّجديدَ؟ وتُريدُون الرُّمُوزَ والأشكال؟

والمُوسيقى؟

والصُّوَر؟

اِذْهبُوا! اخْرُجُوا من هذه الغرفة! ...

كان شِعْر، ولم تكن عفويَّة

وكانت عفويَّة، ولم يكنْ شِعْر

وكان الشِّعْرُ والعفويَّة، فَظَلَّ مكانٌ

مكانٌ إلى الإمام

جائعٌ

جائعٌ، تَسمَعُون؟! جائع.

وتقدَّمتُ

لا للشِّعْرِ، ولا للعفويَّةِ، ولا لأجلِكُم

تقدَّمتُ، لأنِّي في الحُبِّ!
وأصبحتُ الطَّعام
أصبحتُ طعامَ الحُبِّ
أَكَلَني
حناناً شَفَقَة
نشوةً غَيْرَة
شَكّاً نَدَماً
افتراساً اِنصِلاباً
غَبَاوَةً تنازُلاً
خَوفاً قَهْراً
فَشَلاً غُربَة
من كتفَيَّ وعَيْنَيَّ وقلبي، ومن أسناني
وجَعَلَ في رأسي خلخالَ العذاب
جَعَلَ رأسي يدورُ، ويرنُّ بين يَدَيَّ، ويرنُّ بلا يَدَيَّ، ويرنُّ بلا وقت
لأنِّي أُهْديتُ حتَّى النِّهاية، وتقدَّمتُ بعدَ النِّهاية.
مَنْ أنتُم؟
مَنْ يكونُ هناك خارجَ الرَّأس؟
تطلبُون؟ تَعيشُون؟ تُحاسِبُون؟ تَقرؤونَني؟
لا؟ لم تَسمعُوا بي؟

ليس لي إخوةٌ إلَّا ضحاياي الذين جَلَدُوني
ليس لي إخوةٌ إلَّا جَلَّاديَّ الذين حطَّمتُهُم
وما أشقاهُم إخوة!
وأقولُ «لأنيِّ في الحُبِّ»
وأقولُ «أصبحتُ طعامَ الحُبِّ»
ولكنْ، أيُّ حُبٍّ؟
ضوءُ القَمَرِ يَلْمعُ، ليُضلِّلَ الباحثين عن فَحوَى ظَلامِه
وظَلامُ القَمَرِ جزءٌ ضائعٌ في ظلامِ الله!
لا تَبحثُوا عنِّي في كلمة
ولستُ في شيء.
اِحرقُوا هذه الكُتُب!
خيانةٌ! ... خيانةٌ! ...
ليس شيء.
لقد تقدَّمتُ مفتوحَ الحواسِّ
وشربتُ اللَّيل.
أنا هو أنا
مَنْ يُناديني؟
مَنْ أنتُم؟
كيف أصفُ أينَ مَرَرْتُ وأظلُّ أحتملُ الشِّعْرَ، ويحتملُني؟

من أيِّ عَيْنَيْن تخرجُ ذكرياتُ النِّعمة؟

وأيُّ لسانٍ يُردِّدُ صَدَى السُّقُوط؟

أينَ أنا؟

وأيُّ جِلْدٍ يستوعبُ هذه الرُّوحَ التي تستلقي على جُرُوحِها، وترى، بعيداً قريباً، عالمَ أحلامِها يتحقَّقُ تحتَ سُلطتِها الوحيدة

أو لا يتحقَّق؟

وعندما يتحقَّقُ تكون

وهذا أغربُ ما يكون

سعادةٌ للقتيل وسعادة للقاتل

أيُّ جِلْدٍ يستوعبُ هذه الرُّوح؟

لم أقلْ يوماً تماماً ما هو الحُبُّ لي

وما هي الحياة

أنا السَّطحيُّ باطنيٌّ جدَّاً

أنا المُحِبُّ كارهٌ عميق

أنا الشَّاعرُ لستُ شاعراً

خُذُوا! خُذُوا فُنُونكُم!

ما لي ولهذا الكَلام؟

بَعْضُه يُشْبِهُهُم! يُشبِهُكُم! ..

حماقةٌ تُخَوِّنُني نفسي

مُجاملةٌ تُهوِّرُني، فأجنح.
لستُ معكُم
لا تُدخِلُوني!
أنا مُحتاجٌ أن يُشبِهَني كلامي
دائماً، بلا تسامُح.
أُريدُ رأسي! ...
وسأحتفظُ به! ...
وبغُصَّتي هذه
حيثُ أنا
وحيثُ أرى الجميعَ كما هُم، ومرارتي أكبرَ منهم.
أنا في غُصَّتي هذه
ولن أُرتِّبها في كلمات
لأنَّ حقيقَتي أصْغَرَ أو أكبر
لكنَّها ليست حيواناً في حديقةِ اللُّغة
فلا فنَّ يَعْشَقُ ما فيَّ
ولا كائنَ يُجدِينِي أن يَعْرف.
أغلقُوا عليَّ الباب
سيظلُّ بيني وبينه فاصلُ كلمة
ولن أقولَهَا لأفتحَه.

سأختنقُ

فهذا هو الأفضل

هذا هو الشِّعْر

والجوابُ

والوحشُ الذي لا يعيش

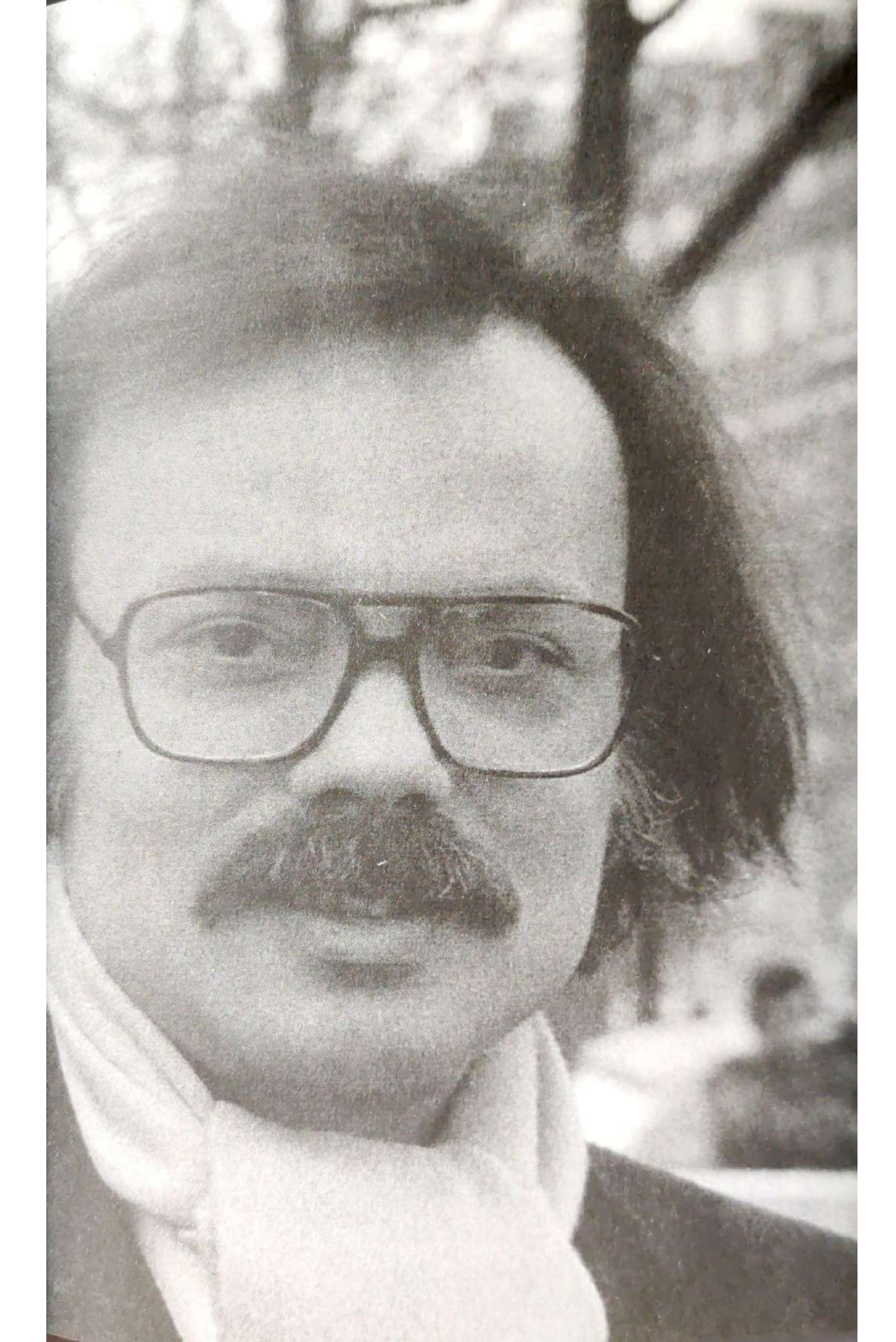
إلَّا على الطَّريقِ التي سيسلكُها

كلُّ مَنْ يختنقُ في ما بعد

عِوَضَ أن يختنقَ وينجو

قَبْلَ أن يُولَد! ...

فهرس الكتاب



كلُّ قصيدةٍ هي قَلْبُ الحُبِّ
كلُّ حُبٍّ هو قلبُ الموتِ، يخفقُ بأقصى الحياة.
كلُّ قصيدةٍ هي آخرُ قصيدة

اسمحْ لي، يا الله

أن أتذكَّرَ خطيئتي

أنْ أتذكَّرَ عن جميعِ آبائي

أنْ أتعَذَّبَ نَدَمَهُم وأنهارَ تَوْبَتِهِم

أمامَ حبيبتي.

يا حبيبتي.

أوانُ العدلِ يكتملُ فيكِ، فليفتَحُوا العيد

الحياةُ كُلُّها تركعُ فيَّ عندَ قَدَمَيْكِ

أختصِرُ إليكِ توبةَ الزَّمانِ، وأسجدُ إليكِ طاعةَ الأعمار

وأغسِلُ عَتَبَةَ بابِكِ بدُمُوعِ الخليقةِ.

أنا هو الشَّيطانُ، أُقدِّمُ نفسي:

غلَبَتْني الرِّقَّة

ISBN 979-12-80738-92-9

